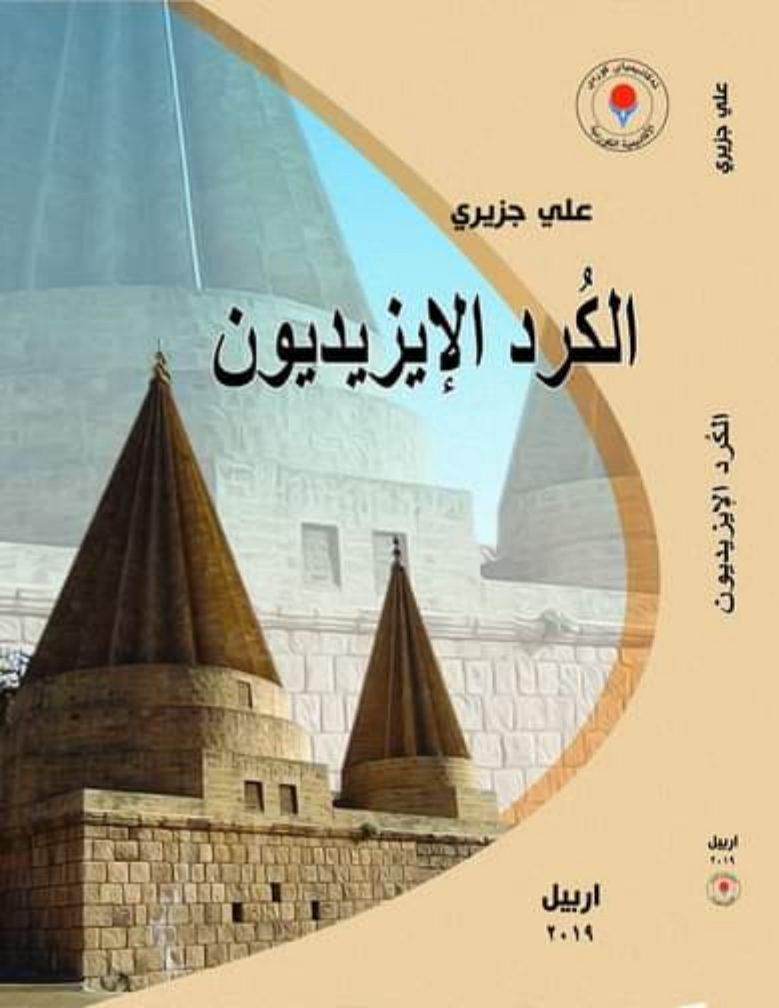

علي جزيري

الكُرد الإيزيديون

اربيل
٢٠١٩

علي جزيري

الكُرد الإيزيديون

دراسة سوسيولوجية تاريخية
تتناول حجم معاناتهم والنكبات التي حلت بهم

اربيل - ٢٠١٩

الأفكار الواردة في الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف،

ولا تعكس بالضرورة اتجاهات الأكاديمية الكوردية.

* عنوان الكتاب: الكُرد الإيزيديون
* الكاتب: علي جزيري
* المشرف الفني والغلاف: عثمان بيرداود.
* تصميم: عصام محسن.
* من مطبوعات الاكاديمية الكوردية، العدد (٣٩١).
* مطبعة جامعة صلاح الدين – اربيل.
* رقم الايداع في المديرية العامة للمكتبات في اربيل (٣٧) لسنة ٢٠١٩
* جميع حقوق الطبع محفوظة للاكاديمية الكوردية، ولا يجوز اعادة طبع الكتاب بدون موافقتها.

الإهداء إلى:

- **أخوتنا وأخواتنا، ضحايا نكبة شنگال (٣ آب ٢٠١٤).**
- **الدكتور نورالدين زازا، المثقف الذي كان شاهداً على إنكسار أحلامه، ورمز المثقف الكُردي الذي أجهضت آماله.**
- **الأكاديمية الكُردية في اربيل، وأخص بالذكر رئيسها الاستاذ الدكتور عبدالفتاح علي بوتاني، الذي راجع هذا الكتاب، وأثراه بملاحظاته القيّمة وآرائه السّديدة.**

الفهرس

المقدمة	٩
الفصل الأول	١٣
المبحث الأول: استغوار التاريخ	١٥
١ـ حملات التشويش	١٦
٢ـ ما هي حقيقة الإيزيدية؟	٢٤
٣ـ الحرب امتداد للسياسة لكن بوسائل أخرى	٣٤
٤ـ وهمٌ مازلنا أسراه منذ قرون	٣٨
المبحث الثانى: وعاظ السلاطين	٤٨
١ـ أحمد بن تيمية	٤٩
٢ـ أحمد تيمور باشا	٥٥
٣ـ روجيه ليسكو	٥٦
٤ـ جيجو والأقنعة التنكرية	٥٧
٥ـ الأب أنستاس الكرملى	٦١
الفصل الثانى	٦٣
المبحث الأول: كتبهم، طبقاتهم، أعيادهم، اماراتهم، طقوسهم	٦٥
١ـ كتبهم المقدسة	٦٥
٢ـ طبقاتهم (مراتبهم)	٦٨
٣ـ عباداتهم وأعيادهم	٧٠
٤ـ اماراتهم	٧٢
٥ـ عاداتهم وطقوسهم	٧٧
المبحث الثانى: النكبات التى حلت بالإيزيديين	٧٩
الفصل الثالث	٨٩
المبحث الأول: إيزيديو كُردستان ـ سوريا أنموذجاً	٩١
تمهيد	٩١

أولاً ـ محافظة الحسكة (الجزيرة العليا) ٩٤
١ـ تربه سبى ٩٤
٢ـ الحسكة ٩٥
٣ـ عامودا ٩٦
٤ـ رأس العين ٩٧
ثانياً ـ محافظة حلب/ Çiyayê Kurmênc (عفرين) ٩٨

المبحث الثانى: الواقع والحل ١٠١

الخاتمة ١١٣

فهرس الملاحق

١ـ مكتب مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الانسان، ومكتب حقوق الانسان في بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق. نداء من أجل حماية الإيزيديين الناجين من الأعمال الوحشية التي ارتكبها داعش ـ آب ٢٠١٦. ١٢١

٢ـ سنجار (شنكَال) خلال نصف قرن، دراسة وثائقية عن سياسة التعريب والصهر العرقي من عام ١٩٤٧ـ ٢٠٠٢. ١٥٣

٣ـ قصة الفتاة الكُردية الإيزيدية، التي إلتقت بمختطفها في المانيا. ١٦٥

٤ـ وثيقة صادرة عن محكمة "شرعية" لتنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام في ولاية الموصل، تثبت كيف تم بيع فتاة كُردية إيزيدية. ١٧١

٥ـ اعلان ولاية البركة (الحسكة) في الدولة الاسلامية، اجراء مسابقة في رمضان لحفظ سور من القرآن ينال فيها كل من الفائزين الثلاثة الأوائل سبية إيزيدية. ١٧٣

٦ـ اعلان ولاية حمص في الدولة الاسلامية، اجراء مسابقة دينية لشراء سبية إيزيدية بالظرف المختوم. ١٧٤

المقدمة

منذ صباي، كنتُ أحترم أتباع الديانات الأخرى وأجلهم، فكان هذا الأمر مدعاة لصداقات بيني وبينهم، سرعان ما تجذرت أواصرها مع الزمن؛ ربما سرُّ هذا الموقف يكمن في كوني نشأت في أسرة كُردية مسلمة غير متعصبة من جهة، ولأن الكُرد عموماً مسلمون معتدلون بمن فيهم معظم رجال الدين من جهة أخرى، وخير دليل يمكن الإشارة إليه هاهنا، ما ذكره المبشران (دبليو. أي. ويكَرام/ دكتور في اللاهوت) و(ادكَار. تي. أي. ويكَرام/ مؤلف كتاب شمال اسبانيا)، حين إلتقيا بالشيخ عبدالسلام بارزاني، فأعجبا بسعة صدره مع المسلمين وغير المسلمين، حيث أفادا بأن شيخ بارزان، الذي عرف بلقب شيخ النصارى، يعامل النصارى وأتباعه المسلمين على قدم المساواة، وتسامحه هذا جعلهم ينعمون بالأمن والحصانة من الاضطهاد والنهب والسلب، وشبهه المبشران بملك ايرلندا بريان بورو، الذي قيل عنه: بإمكانك أن تترك حلية ذهبية في دغل على مقربة من الطريق ضمن أملاكه وأنت آمن عليها تماماً[1].

ولا أخفيك إن قلت ـ بعد هذه التوطئة ـ أن الفضول كان يدفعني منذ نعومة أظفاري لمعرفة أسرار هذه الأديان وفي مقدمتها "الإيزيدية"، وخفاياها المجهولة. وحين دأبتُ في سبر أغوارها، تبين لي أنها ديانة عريقة، تعود جذورها إلى أزمان سحيقة، واكتشفتُ فيها نزعة التوحيد خلافاً للشائع بأنهم من عبدة "الشيطان"، رغم الغموض الذي يكتنفها، ورغم نشأتها في منطقة كثرت فيها العقائد الدينية التي نصت على تعدد الآلهة، لكن التاريخ ـ للأسف ـ لم يُنْصِفها.

ولا أخفي سراً إن قلت: ثمة سؤال ظل يُراودني، طيلة الفترة التي سبقتْ إعداد هذه الدراسة عن الدين الكُردي القديم، أعني "الإيزيدية"، أولى الديانات التوحيدية التي تؤمن بإله واحد لا شريك له، يُدعى Xweda[2]. وكان السؤال يدور حول حقيقة هذه الديانة التي انتشرت بين الكُرد في كُردستان قبل الميلاد بقرون، والشبُهات التي

---

(1) راجع: مقدمة ا. د. عبدالفتاح علي بوتاني لكتاب متين فاضل طه (حركة الشيخ عبدالسلام البارزاني ١٩٠٣ـ ١٩١٤/ دراسة تاريخية سياسية وثائقية، ط٢ اربيل ٢٠١٨، ص١٢).

(2) Xweda: مقطعان Xwe أي الذات وda أعطى أو خلقَ، وبالتالي تعني التسمية "الخالق أو الله" مجازاً.

حُيكت حول معتقداتها قديماً وحديثاً، وما لحق بمعتنقيها من حَيفٍ، بعد أن خذلهم الجميع. بيد أنه لا مندوحة من القول: إن السؤال السالف الذكر توارد إلى الذاكرة تحديداً عقب بروز ظاهرة التطرف الديني والارهاب، أو الجينوسايد الذي مورس ضد الكُرد الإيزيديين في شِنْكَال (سنجار) صيف ٢٠١٤، في ظل لامبالاة الموقف الدولي والاقليمي والعراقي من جهة، والنقص الحاد في الأبحاث المُنْصفة والموضوعية من جهة أخرى.

بقي أن نقول، إن الكتاب يتطرق إلى إرهاب الدولتين العثمانية والصفوية قديماً، ويتناول أيضاً تأليب العراق وسوريا وايران وتركيا وغيرها تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام وأخواته حديثاً، ضد الكُرد عامة والكُرد الإيزيديين خاصة.

يضم الكتاب بين دفتيه مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، ناهيك عن الملاحق التي لا تقلُّ أهمية عن الدراسة إن لم تكن تضاهيها. يتناول **الفصل الأول** استغوار التاريخ، والحملات المغرضة من لدن وعاظ السلاطين بغية طمس الحقائق. أما **الفصل الثاني** فيسلط الضوء على كتبهم، طبقاتهم، أعيادهم، اماراتهم، طقوسهم ونكباتهم. بينما **الفصل الثالث** عبارة عن دراسة تطبيقية تحت عنوان: كُردستان ـ سوريا أنموذجاً، تبحث في واقع الكُرد الإيزيديين وتوزعهم الجغرافي في الجزء الكُردستاني الملحق بسوريا، كوني أحد المنتمين إليه، ناهيك عن سياسات التمييز العنصري المُنْتَهَجة بحقهم من الناحية القومية والدينية، وتأمل آفاق مستقبلهم.

أما الغاية التي تُرتجى من هذه الدراسة فتتلخص في إزاحة الستار عن المُغَيّب والمُهَمّش والمشوَّه أو المسكوت عنه، والمرارات التي تجرعها الكُرد الإيزيديون، وعدم إكتراث العالم بما عانوه من مآسٍ عبر التاريخ.

كل هذا تطلب مني جهداً بداية لنسف الأنساق الفكرية السائدة التي ترسف تحت وطأتها شرائح واسعة من مجتمعاتنا، والتي ظلت تتسرب إلى نسيج الذهن باستمرار، لتعيد صياغة شخصيتنا، لما لهذه القيم من فاعلية إستنساخية خطيرة تتناسل فينا دون وعي منا، مما اقتضى هذا الأمر تناولها بالنقد وبالسعي الحثيث للتعرف على عيوبنا النسقية ومصادرها المضمرة[1]، أعني تلك الأنساق التي تعود

([1]) عبدالله الغذامي: النقد الثقافي/ قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية/ الدار البيضاء ـ لبنان/ بيروت ٢٠٠٠، ص١٠٠.

في جذورها إلى وصايا أحمد بن تيمية، وفتاوى أبي سعود بن محمد العمادي الكرديين وأمثالهما، ناهيك عن دحض الأفكار المشروخة لبعض الكتاب الذين كان لهم باع طويل في ميدان البحوث التاريخية الحديثة، من أمثال: عبدالرزاق الحسني، عباس العزاوي[١]، سعيد الديوجي[٢]، أمين فرحان جيجو[٣]، أحمد تيمور باشا[٤]، جورج حبيب[٥]....، وهذا العبء الكبير لم يكن بالأمر اليسير، لكنني تنطحت لهذه المسؤولية التي تنتظر كل مؤرخ أو باحث منصف عن الحقيقة، بل وكل مثقف ملتزم بقضايا أمته العادلة.

لا مناص من القول أن مواجهة قوى الظلام المتمثلة اليوم بتنظيم داعش أو أشباهه في الغد، يقتضي من النخبة الكُردية المثقفة والسياسية اعتماد المكاشفة، والارتقاء بوعيها لقراءة التاريخ والركون إلى لغة تعتمد النقد البنّاء ومخاطبة "عقول الناس لا عواطفهم، لغة تساهم في تطوير وعي وعقل المواطن الكُردي، فالوعي يحصن المكاشفة بثقة غامرة بالمستقبل لا بالمخاوف منه، وباصرار على المضي إلى أمام كي لا تتكرر مآسي التاريخ"[٦].

وفي الختام، لا يسعني إلا أن أستميح القارئ الكريم، ومن المنطلق السالف الذكر، لأردد على مسامعه هذه المقطوعة الشعرية[٧]، الدالة على مسؤولية المثقف "صاحب القلم":

---

(١) زعم العزاوي أن الإيزيديين كانوا مسلمين متزهدين ومن الممجدين لمعاوية.

(٢) اتخذ نفس منحى العزاوي.

(٣) زعم أن لا صلة للإيزيديين بالكُرد.

(٤) ذو الأصول الكُردية.

(٥) حاول جورج حبيب ايجاد صلة بين الديانتين المسيحية والإيزيدية، وقد تأثر به للأسف بعض الكتاب الإيزيديين (راجع مقالة ا. د. عبدالفتاح بوتاني تحت عنوان: ملاحظات أولية عن الإيزيدية والإيزيديين، مجلة لالش، العدد (١٢)، دهوك ٢٠٠٠، ص٤١). وهناك قلة من الكتاب الذين أنصفوا الإيزيديين، منهم على سبيل المثال لا الحصر: كاظم حبيب (راجع كتابه: ديانة قديمة تقاوم نوائب الزمن)، زهير كاظم عبود، وقيصر صادر عضو جمعية العاديات السورية الذي تناول الموضوع وفق أسس علمية رصينة (راجع مقال قيصر في المقتطف، المجلد ٨٨، ج٣ عام ١٩٣٦، ص٣٦١ وما بعدها)...الخ.

(٦) راجع مقدمة الدكتور عدنان عودة عباس لكتاب الاستاذ الدكتور عبدالفتاح علي البوتاني: منطقة بادينان ١٩٢٥ـ ١٩٧٠، الأكاديمية الكُردية/ اربيل ٢٠١٧، ج١، ص١٣.

(٧) كتاب "لافتات ١"، للشاعر أحمد مطر، ١٩٨٤، والمقطوعة الشعرية بعنوان: قَلَمْ !.

"جَسَّ الطّبيبُ خافقي،
وقال لي: هلْ هاهُنا الألَمْ؟
قلتُ له: نعَمْ،
فَشَقَّ بالمِشْرَطِ جيبَ مِعْطَفي،
وأخْرَجَ القَلَمْ !.
هَزَّ الطّبيبُ رأسَهُ .. وَمَالَ وابتَسَمْ،
وقال لي: ليسَ سِوى قَلَمْ،
فقلتُ: لا يا سيّدي، هذا يَدٌ .. وَفَمْ،
رَصاصَةٌ .. ودَمْ،
وَتُهمَةٌ سافِرةٌ.. تَمشي بِلا قَدَمْ !".

علي جزيري
هولير ١ كانون الثاني ٢٠١٩

الفصل الأول

المبحث الأول: استغوار التاريخ

محنتنا ـ ككُرد ـ تكمن حقيقة في لامبالاة وعدم إدراك شعوب الجوار بمأساتنا، بعد أن دجنتها وروضتها الأنظمة الشمولية على ثقافة الكراهية التي تقوم على التعصب ونبذ الآخر يضاف الى ذلك واجهت الكرد الإيزيديين مصاعب خاصة على صعيد الاعتراف الاجتماعي (القبول الاجتماعي) جراء أنماط التفكير السائدة. فالبنية البطريركية للعائلة التي تشكل وسيطاً بين الفرد والمجتمع من جهة، والمؤسسة التي يتوارث من خلالها الفرد والمجتمع تلك القيم والأنساق المعرفية وأنماط التنشئة التقليدية من جهة أخرى، جعلت الاضطهاد والاستعباد معياراً لنسق أخلاقي منذ مئات السنين على أقل تقدير، مما ولّدَ لدى المرء رغبة في الاستجابة لثقافة الجهل والكراهية والأنماط المزيفة من الايديولوجيا أكثر من استجابته للتفكير المنطقي، حتى بات هذا الجيل ينطلق من إفتراض أسس بأحقيته وحده من دون الآخر بهذه الأرض[1]، ومن المؤسف قوله أن مثل هذه النَّزهات إنطلت على أوساط واسعة من الجماهير في المنطقة، بما في ذلك النخب السياسية والثقافية، بعد أن أحجمتها تلك الثقافة عن إعمال الفكر والمنطق[2]، ومن هنا جرى الصدام بين الثقافات في منطقتنا، رغم أن الثقافات بطبيعتها ليست متصادمة، لكن التشبث المطلق بها وبرموزها، وما يحمله ذلك من إضفاء السمو والقدسية عليها، هو الذي يدفعها إلى التصادم[3].

أجل، هي ذي ثقافة البَلايا والرَزايا، أعني ثقافة الجهل والتوَهم، أما لماذا سميناها بثقافة الجهل والتوهم؟ لأن ثمة ثقافة تقف وراء كل سلوك جاهل، فاسد ومؤذٍ، تصوره على أنه السلوك الطبيعي الموافق لمقتضى الحال، والمعبر عن صلابة صاحبه وحرصه على المصالح العامة، وغير ذلك من مسوغات يقبلها الكثيرون. للجهل إذاً ثقافته، ثمة من يُروّجها على نطاق واسع، إما لأنه مقتنع بها

---

(1) جرت مناظرة بين محمد زاهد كَول وخورشيد دلي في إحدى الفضائيات العربية، نهاية تشرين الأول ٢٠١٨، كان كَول يحاجج دلي بهذا المنطق الذي عفى عليه الزمن.

(2) علي جزيري: دور الانتلجنسيا الكردية في الحياة السياسية/ المثقفون الكرد في سوريا أنموذجاً، مركز الدراسات الكردية وحفظ الوثائق (يُدعى اليوم بمركز بيشكجي للعلوم الانسانية)، جامعة دهوك، ٢٠٠٨، ص١٥ـ ١٦.

(3) تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، بيروت ١٩٩٩، ص١٧.

حقاً، أو لأنه يجد فيها سياجاً لمصالحه ونفوذه. للجهل ثقافته، والمؤسف أنها أصبحت بنية عقلية راسخة تتجلى عند الكثير من المثقفين والكتاب والسياسيين، كما تتجلى لدى عامة الناس، ولا تستطيع إخفاءها تلك الغلالة الرقيقة من الكلام المباح عن العقلانية والموضوعية والانسانية والديمقراطية وغير ذلك... ولعل من أبرز جوانب الجهل، روح العداء والنفور من الآخر[1].

ثقافة الكراهية المتفشية الموصوفة سالفاً، تقوم في بنيتها على نظرية المؤامرة ورفض الآخر وإزدرائه وتكفيره، وحرمانه من التعبير عن رؤيته، إنها الثقافة التي لا تقر بالاختلاف ولا تمنح الآخر حقوقاً تماثل حقوق الذات، وتنظر إلى الآخر كعدو أو كوَرَم يستوجب الأمر استئصاله والتخلص منه إن أمكن. من هنا تقتضي الضرورة تفكيك ثقافة الكراهية هذه، وذلك بتجفيف منابعها وإعلان القطيعة المعرفية مع مصادرها وروافدها المسمومة، التي تولد الإرهاب في النهاية، فالارهاب ـ ارهاب الدولة أو التنظيمات الشبيهة بداعش ـ لم تولد من فراغ.

إن مقاربة مخيال شعوب شرق المتوسط اليوم، توحي بأنه مسكون بهاجس تراث السلف، وتعيش شعوبنا تحت سطوته، وتستميت من أجل إسترداده أو إعادة انتاجه وصقله وتسويقه من جديد، مما بات هذا التراث بعجره وبجره قيداً يكبلها. ومما زاد الطين بلة أن أية محاولة لمساءلة التاريخ أو قراءته من جديد، ونزع الأقنعة المزيفة عن التراث، سرعان ما تُنْعَت بمحاولة العدوان على تراث الأمة وماضيها المشرق، ويجري التشهير بكل باحث يعمد إلى الكشف عن الايديولوجيا التبجيلية المُهَيْمنة، أو يسعى للاعلان عن المهمّش والمسكوت عنه وفضح السائد والمتغلب في التراث[2].

١. حملات التشويش:

ينتمي الإيزيديون إلى الأرومة الكُردية، باعتراف الكُردولوجيين من أمثال ليرخ، وبشهادة شرف خان البدليسي ومارك سايكس وروجيه ليسكو والدكتور أديب معوض وسالنامات الدولة العثمانية؛ كما أن لغتهم الأم هي الكُردية "اللهجة

---

(1) عطية مسوح: صحيفة النور، العدد (٢١٧)، دمشق ٥ تشرين الأول ٢٠٠٥.

(2) الدكتورعبدالجبار الرفاعي: المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث/ ندوة: التحولات المجتمعية وجدلية الثقافة والقيم، ٢٢ـ ٢٥ يناير ٢٠٠٧، الدوحة، ص ١٧٧.

الكرمانجيـة"، وهـي لغـتهم الدينيـة في الوقـت نفسـه، لـذا تُتْلـى أدعيـتهم وشـعائرهم وصلواتهم بها، كما دُونت كتبهم المقدسة بها، ناهيك أن جغـرافيتهم تشـكل جـزءاً لا يتجزأ من جغرافية كُردستان. وإذا كان هناك من يدّعي من الإيزيديين اليوم بأنه مـن أصول عربية أو سريانية أو أرمنية، فهو إدعاء باطل وغير دقيق، وقد ألفنا مثل هذه الادعاءات التي لها سوابق في تاريخنا القديم والحديث والمعاصر، فقد سـبق أن كتـب الكُردي ملا محمود بايزيدي في القرن ١٩م بحثاً مطولاً، روّج فيه وجهة النظر الزاعمـة بالأصـل العربـي للكُـرد، أمـا المـؤرخ والجغـرافي الكُـردي أبـو الفـداء ـ سـليل العائلـة الأيوبية ـ فقد سبق البايزيدي في الشك بأصول الأيوبيين الكُردية، وجـرّاء ذلـك تلقـى تأنيباً من صلاح الدين. وهناك من يزعم بأن أمراء الإيزيديـة ينتمـون إلى بـني أميـة، كما ادّعى أمراء بادينان بأنهم من أصول عباسية، وحذا بعض أمـراء بوتـان حـذوهم زاعمين بأنهم من نسل خالد بن الوليد[١]، وكذلك أمراء بدليس الـذين نسـبوا أنفسـهم إلى الفرس[٢]. مثل هـذه الخـزعبلات وأشـباهها مـن التُرّهـات، سـبق أن ألفناهـا عـبر منعرجات التاريخ، فبالأمس صرح أنور معاوية على شاشة قناة الآثورية، وفي لقاء مع صحيفة الزمان وفي أكثر من مناسبة، بأن الإيزيديين لا صلة لهم بالكُرد، كما أتحفتنـا آلا الطالباني في الأمس القريب بأنها من قبيلة بني أسد العربية وعلى المـلأ في إحـدى القنوات الفضائية العراقية.

من هنا كان رد الدكتور خليل جندي على أمثال أنور معاويـة واضـحاً لا لـبس فيه، حين قال: هؤلاء لايمثلون إلا صوتهم، ولا يعبرون إلا عـن مصـالحهم الشخصـية والعائلية، ويخدمون ـ شـئنا أم أبينـا ـ مخططـات وتوجهـات أنظمـة معاديـة لأمـاني الشعب الكردي[٣]. وأضاف: إن هذا "البعض" من الإيزيديين، الذين ينكـرون أصـلهم، هم قلة قليلة، وغير معتبرة، وغير فاعلة داخـل المجتمـع الإيزيـدي، أمـا عـن خلفيـات

---

(١) تعود أصول البدرخانيين حقيقة إلى عشيرة الخالتا التي كانت تدين بالإيزيدية، وقد كتب الأمير كاميران بدرخان مقالاً بهذا الصدد سنة ١٩٧٢، وبالتالي يمكن القول أن من إدعى بأنه من نسل خالد بن الوليد مجرد هُراء، وقد يكون الزعم بدافع ديني أو جرّاء التشابه اللفظي بين (خالتا) و(خالد)، وهذا ما يؤكده صديق الدملوجي.

(٢) الدكتور عبدالفتاح بوتاني: ملاحظات أولية عن الإيزيدية والإيزيديين، مجلة لالش، العدد (١٢)، دهوك ك٢ عام ٢٠٠٠، ص٤٣.

(٣) الدكتور خليل جندي: الإيزيدية والامتحان الصعب، دار ئاراس/ اربيل ٢٠٠٨، ص٢٩٢.

هؤلاء والأسباب التي تدفعهم إلى التشويش، فتتأتى إما من جهل شبه تام بالتاريخ ومفهوم القومية والشعب[1] والجهل بالدين نفسه، أو أنه بسبب الأفكار الشوفينية التي نخرتهم من الداخل، والتي كانت ومازالت تمارس في ظل أنظمة الحكم العربية في كل من سوريا والعراق (قبل التحرير في ٩ نيسان ٢٠٠٣)، ناهيك عن ترسبات التربية البعثية للمنتمين إلى هذا الحزب من أبناء القوميات غير العربية[2]، وهذا هو القول الفصل، لأن الإيزيديين هم جزء من الشعب الكردي والأمة الكردية تاريخياً وجغرافياً وانثروبولوجياً ولغوياً.

يمكن القول أن مثل هذه المواقف، وإن تجسدت في شريحة محدودة، فهي لا تعبر في الحقيقة سوى عن سيكولوجية الانسان المقهور، وعن عقدة النقص أو الدونية في تكوين شخصية المغلوب، المُنبهر بالغالب أو المتماهي معه وفق التعبير الخلدوني، فـ (المغلوب مُولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه)[3]. وهنا يجب التمييز بين الانتهازي الذي يسعى للحصول على امتياز ما عبر مثل هذه المواقف، وبين ردِّ فعل بعض الكُرد الإيزيديين تجاه أبناء جلدتهم الكُرد، بعد أن عانوا الأمرّين على يد ثلة منهم. ألَمْ يَقُل الشاعر الجاهلي طَرَفة بن العبد في معلقته:

وظلْمُ ذَوِي القربى أشَدُّ مَضَاضَة على المرءِ مِنْ وَقْعِ الحُسامِ المُهنَّدِ

أورد الباحث والقاضي المنصف زهير كاظم عبود ـ وذلك في معرض رده على أطروحات الكاتب سليم مطر ـ أن من يفترض أن الإيزيديين عرب فهو من قبيل طمس حقيقة الإيزيديين وهويتهم والطعن في حقيقة إنتمائهم الكردي[4].

يقول الإيزيديون بأن ديانتهم كانت تُعْرَفُ قديماً بديانة أزداهي Ezdahî أو أزدايي Ezdayî، أي تنسب إلى الخالق أو الله، بمعنى أنهم من أتباع دين الرب[5].

---

(1) لأن هؤلاء يقولون عن الإيزيديين "الشعب الإيزيدي"...!

(2) الدكتور خليل جندي، المصدر السابق، ص٣٢٠.

(3) ابن خلدون: المقدمة، دار الكاتب اللبناني، عام ١٩٨٢، ص٢٥٨.

(4) نقلاً عن الدكتور أحمد سينو: الأكراد الإيزيديون في العهد العثماني/ دراسة تاريخية سياسية دينية اجتماعية اقتصادية، دمشق، ٢٠١٢، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، ص٢٨.

(5) الدكتور محمد عبدو علي: الديانة الإيزيدية والإيزيديون في شمال غرب سوريا، ٢٠٠٨، النسخة الإلكترونية العربية بلا مكان الطبع، ص١٣.

ورغم أن المسلمين أطلقوا عليهم تسمية "الطائفة العدوية"، نسبة إلى "عدي بن مسافر" أو "آدى" (١٠٧٣ أو ١٠٧٤ ـ ١١٦٢) ميلادي، لكن مازال الجدل قائماً حول شخصيته. بيد أننا لو راجعنا التعاليم الدينية التي نشرها بين تلامذته وقابلناها بمعتقدات الإيزيدية، لما وجدنا بينها أي تناقض يسترعي الانتباه، ناهيك أن الإيزيديين يعتقدون أن الشيخ آدي، هو شخصية تاريخية، ليست مؤسسة للدين الإيزيدي، بل أحدثت تجديداً فيه، فشكل قدومه نقطة تحول بنيوية، حيث شابت "التوفيقية" الصوفية للشيخ (عدي) بعض المعتقدات الإيزيدية الموروثة، ثم بدأت فكرة تبني ميثولوجيا الديانات الأخرى من لدن الشيخ وأتباعه بعد توليفها وفق المعتقدات الإيزيدية، وقد نجح عدي في مسعاه[1]، كما تم تدشين السلطتين الروحية والدنيوية بعد موته من قبل ابن أخيه (أبو البركات).

أما حول صحة نسب عدي، فقد اختلفت جمهرة المؤرخين وكتاب السير والتراجم القدامى والمحدثين، ففي الوقت الذي يستعرض فيه عبدالرحمن مزوري في دراسته المعنونة بـ "تاج العارفين عدي بن مسافر الكُردي الهكاري ليس أموياً" ويفند فيها آراء بعض المؤرخين مثل ابن تيمية الذي نسبه إلى بني أمية، في ذات الوقت الذي نفى فيه نسبه إلى مروان بن الحكم. نجد أن محسن سيدا في قراءته لدراسة مزوري السالفة الذكر، يقول: بصرف النظر عن أموية عدي بن مسافر أو كُرديته، فإن النتائج المترتبة على هذه الدراسة لا تخل بمكانة عدي. ثم يضيف: يؤكد مزوري أن الشيخ عدي كان يتكلم الكُردية، وأتباعه كانوا من الكُرد في معظمهم، لكن هل اللغة ـ وحدها ـ تحدد هوية الناطق بها؟ وهل المشيخة قائمة على العرق والقومية؟ من المتفق عليه تاريخياً أن عدياً نزل أرض كردستان وعاش بين الكُرد، وأصبح يعرف بشيخ الأكراد، لا اعتراض على كل هذا، لكن هذا القول يجب أن يُبنى على دلائل موثوقة.

وهناك باحثون معاصرون من أمثال زهير كاظم عبود، الذي له باع طويل في تناول موضوع الإيزيدية، يقول: الاحتمال الأقرب إلى المنطق والواقع أن يكون عدي

---

(1) الدكتور ممو فرحان عثمان: دراسات ومباحث في فلسفة وماهية الديانة الايزيدية، تقديم ومراجعة: ا. د. عبدالفتاح بوتاني، من اصدارات جامعة دهوك/ مركز الأبحاث العلمية والدراسات الكردية، عام ٢٠١٢، ص٢١٢ـ ٢١٣.

المولود في شوف الأكراد بلبنان كردياً، وقد تقبل شكلياً ـ ومن باب التقية ـ بعض المعتقدات الاسلامية، ولولا ذلك لذابت الإيزيدية في الاسلام.

من المفيد قوله أن الصلة الروحية بين الإيزيديين وربهم كانت مباشرة قبل قدوم عدي ومن دون وسيط، لكن قدومه شكل نقطة تحول، حيث أسس نظاماً صارماً من التراتبية الدينية المغلقة يصعب التحرر من وطأته أو تجاوزه، وتكبح هذه التراتبية كل محاولة تستهدف التماشي مع واقع العصر، وإذا كان الظرف حينذاك مبرراً لما أقدم عليه عدي، إلا أن واقع الحال اليوم يقتضي إعادة النظر فيما بات مع مرور الزمن قيداً على أتباعه، مثله في ذلك كمثل دودة القز المنتجه للحرير[1].

لقد بات الأمر بقناعتي بأمس الحاجة لتشخيص الداء وتدارك الأمر وتجاوز الأزمة في الايديولوجيات الدينية عامة والايديولوجيا الدينية الإيزيدية خاصة، أعني تلك الأزمة التي سببتها أولوية "النص" وتهميش الواقع العياني ومن ثم تطويعه لمقتضى النص. إن النص المقدس غالباً ما يلغي ـ وفق تعبير الدكتور علي الوردي ـ دور العقل، ولا يُخفى أن إلغاء العقل يتسبب بدوره في حدوث الكوارث، بمعنى أن القضية باتت حقيقة تستوجب إعادة بناء، وتقتضي بداية عقد مؤتمر مصارحة بين الإيزيديين، يعقد مثلاً في إقليم كردستان العراق، يُشخّص فيه سبب المحنة، وتُطرح في ردهاته الحلول بما يتناسب مع منطق العصر الذي ينبذ التعصب الديني والانعزالية من جهة والارتهان لمكانيزم النظام الهرمي المتبع في الإيزيدية الذي (يختزل جميع المسؤوليات في شخص واحد ـ يقف على رأس الهرم الديني والدنيوي ـ ويعتبره بمثابة ظل الله على الأرض)[2] من جهة أخرى، وأعتقد أن إجتياز هذا الامتحان ليس سهلاً.

---

(1) دودة القزّ تضع بين ٣٠٠ ـ ٥٠٠ بيضة، وتخرج منها اليرقات حين يحل الربيع، فتتغذى على أوراق شجرة التوت غالباً أو غيرها، ثم تبدأ بنسج الحرير مكونة شرنقة، وخوفاً من تمزق خيط الحرير الذي يتراوح طوله بين ٣٠٠ ـ ٩٠٠م حين خروج الفراشة، يلجأ مربو دودة القز عادة إلى عدة طرق للتخلص منها، كإدخال الشرانق في ماء مغلي أو في فرن ساخن لفترة قصيرة أو وضعها تحت أشعة الشمس لأيام.

(2) الدكتور خليل جندي: الايزيدية والامتحان الصعب، دار ئاراس للطباعة والنشر، اربيل ٢٠٠٨ ، ص١٢٢.

ما من شك أن الإيزيدية، كسائر الأديان، تقوم على الثابت والمتحول، مما يدفعنا هذا الأمر إلى إعادة النظر في المتحولات/ المتغيرات على الأقل وفق الظروف التاريخية، لأن الكثير منها غدت بالية أو قيوداً تكبل الإيزيديين، وقد يثير هذا القول توجس أصحاب الامتيازات، لكن في النهاية لا يصح إلا الصحيح.

كما تكثر الاجتهادات وتتنوع الآراء إلى حدِّ التناقض حول التسمية، حيث اختلف الباحثون والكتاب في تعليل تسميتهم، غير أن أغلبهم حادَ عن طريق الصواب والمنطق العلمي، إما لأنهم تلقفوا المعلومة من أسلافهم دون تمحيص أو محاججة بسبب الجهل، أو لغاية في نفس يعقوب كما يقال. فمنهم مثلاً من ينسبهم إلى يزيد بن أنيسة الخارجي[1]، وهو زعم في الكلام يشبه ما قيل بخصوص تنسيبهم إلى يزيد بن معاوية[2]. وأغلب الكُتَّاب والمؤرخين المسلمين يردّون تسمية "اليزيدية" إلى الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، ويعتبرون أن هذا الأمر هو الرأي الراجح، لكن هذا الزعم لا أساس له تاريخياً، والغرض من ذلك هو إضعاف الشعور القومي الكُردي لدى الإيزيديين، كما أن هذا القول يفتقر إلى الدليل المنطقي في السياق التاريخي، لأننا لا نجد في الترانيم الدينية ولا في المواعظ التي يتلوها القوالون، ولا في أناشيد العامة ما يفيد تأليه يزيد بن معاوية أو حتى الاشارة إليه، أضف إلى ذلك خلو كِتابَيْ "المصحف الأسود ـ جلوة" من اسم يزيد بن معاوية. ومما لا شك فيه إن الأمر إما التبس على البعض منهم، خصوصاً إذا علمنا أن هناك فِرَقاً عدة سُميت باليزيدية عبر التاريخ، مثل أتباع يزيد بن معاوية ويزيد الجعفري ويزيد بن أنيسة، أو أمراء آل يزيد في عسير[3]. وإما ـ وهو الأرجح ـ أرادوا إضفاء الصبغة العربية الاسلامية عليهم، ولا يخفى في الحالتين أن هذا الزعم يفتقر إلى الدليل.

أما عالم الآثار الألماني لوفري نابو، الخبير في اللغات القديمة كالسومرية والبابلية، فاكتشف أن كلمة "إيزيدي" مكتوبة بالخط المسماري منذ العهد السومري،

---

(1) الشهرستاني: الملل والنحل، طبعة دار الفكر، بيروت، ص١٣٦

(2) الدكتورعمار قربي: الديانة الإيزيدية، بحث قام باعداده، وهو رئيس المنظمة الوطنية لحقوق الانسان في سوريا، ص١٣ و١٤.

(3) ومنهم: سعيد بن مسلط اليزيدي ت: ١٢٤٢ هـ، علي بن مجثل اليزيدي ت: ١٢٤٩ هـ، عائض بن مرعي اليزيدي ت: ١٢٧٢ هـ.

وهي تتكون من ثلاثة مقاطع (ئی زي دي/ Ê Zî Dî)، والتي تعني الروح الخيرة أو السائرة على الطريق القويم[١]، لذا يمكن التكهن بأن تسمية "الإيزيدية" قد أشتقت من هاهنا منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أنها من الديانات القديمة جداً في منطقة الحضارات العظمى في الشرق[٢]، والتي مازالت تقاوم نوائب الدهر على حد وصف كاظم حبيب.

أما مَنْ نسبهم إلى مدينة (يَزد) في ايران، فلو كان الأمر صحيحاً، لكان الأجدر أن يُطلق عليهم اسم (اليَزْديين)، ثم إن الزعم بأن هذه "النحلة" ظهرت في مدينة يَزد لا تؤيده الأدلة التاريخية[٣]. يقول هاري تشارلز لوك إن التسمية الأكثر قرباً إلى المنطق هي أن الإيزيدية أشتقت من "يَزْدان" التي تعني الذات الالهية، وينتهي علي سيدو كَوراني بدوره إلى ذات النتيجة[٤]. ووفق وجهة نظر قسطنطين زريق، فإن كلمة "يَزدان" تعني الله، و"إيزِد" تعني خليق بالعبادة، وأحد هذين الاشتقاقين هو الأقرب إلى الصواب، فيكون أصل معنى الإيزيدية "أتباع الله" أو "أتباع الملائكة"[٥]. أما الدكتور خيري نعمو الشيخاني فيقول: التسمية الصحيحة هي "الإيزْدية"، لأنها كلمة كردية عريقة وقد اشتقت من كلمة "يَزْدان أو إيزدان" [٦]، ونرى أن الدكتور جمال رشيد أحمد، المتخصص في تاريخ الشرق القديم، يتداول في سفره (ظهور الكُرد في التاريخ، ثلاثة أجزاء)، نفس هذا المصطلح، أعني "الإيزْدية".

أما القس سليمان الصائغ فيُفضل في كتابه: (تاريخ الموصل) مصطلح "إيزيدي" بدلاً من مصطلح "يزيدي" الدارج في العربية اليوم [٧].

ورد في أحد نصوص الأدعية التي يرددها الإيزيدية اسم "الله"، كما في مثل هذا المقطع:

---

(١) نقلاً عن عدنان فرحان زيان: الكرد الإيزيديون في اقليم كردستان، السليمانية ٢٠٠٤، ص١٥ـ ١٦.

(٢) سامي ندا جاسم الدوري: اليزيديون، أصلهم ومعتقداتهم، مكان وسنة الطباعة بلا، ص١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٠.

(٤) نقلاً عن علي سيدو كوراني: من عمان إلى العمادي أو رحلة في كُردستان الجنوبية، ط٢ عام ٢٠١٢، مطبعة آراس، اربيل، ، ص١٦٨.

(٥) راجع مقدمة قسطنطين زريق، لكتاب: اليزيدية قديماً وحديثاً، لاسماعيل جول بك، ص٥.

(٦) المصدر السابق، ص٢٠.

(٧) نقلاً عن محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكُرد وكُردستان، ج١، ص٢٩٣.

Sultan Êzîd bixwe patîşa ye
Hezar û yek nav lixwe da ye
Navê mezin her xweda ye

الترجمة: "السلطان إيزيد هو ملك الملوك
سمّى نفسه بألف اسم واسم
الاسم الأكبر هو خودا/ أي الله".

فإذا كانت كلمة "إيزيد/ Êzîd" دالة على أحد أسماء الله، فمن الطبيعي أن ينسب أتباع هذا الدين إلى لفظ الجلالة، ويقال للشخص المفرد المذكر: إيزيدي/Êzîdî، مثلما ينسب المسيحي إلى المسيح.

اعتنق بعض أتباع الديانة الإيزيدية عبر التاريخ الزردشتية، لما غدت الأخيرة ديانة رسمية في عهد الساسانيين، ومنهم من تنصر وذاب[1] على حد قول الدكتور سامي سعيد الأحمد، الذي قال: إذا كانت عبادة الشمس هي جوهر المثرائية، فيمكننا أن نقرأ في جواب غريغوري ماكستروس (المتوفي عام ١٠٥٨ميلادي) لأحد قساوسة السريان الكردستانيين "إن البعض في منطقة الزابين يقدسون الشمس ويؤمنون بالزرادشتية ويسمون بالشمسية، وخوفاً من بطش المسلمين يعتبرون أنفسهم مسيحيين"[2]، ويعقب الدكتور جمال رشيد أحمد على هذا القول: مما لاشك فيه أن هؤلاء هم أولئك الكُرد الذين اعتنقوا اليعقوبية فيما بعد[3].

لكن الكثير من الإيزيديين دخلوا الاسلام عنوة أو على مضض جرّاء الغزو والسطوة والاستبداد، أو ركضاً وراء المصالح، أو تخلصاً من الاضطهاد. ومن العائلات الإيزيدية التي أسلمت في منطقة عفرين بالجزء الكُردستاني الملحق بسوريا

---

(١) ما جرى في منطقة عفرين خير شاهد على هذا القول، فحين انتشرت المسيحية فيها بعد الميلاد، أقيمت الكنائس في مواقع المعابد الإيزيدية، وحين جاء الاسلام نسفت البقية الباقية من المعابد وأقيمت على أثرها الجوامع، بدليل أن الجامع الأموي الكبير(جامع زكريا) في حلب، بني بأحجارها كما يقول المؤرخون، ونقلت الأعمدة لبناء جامع الحاجب المملوكي علاء الدين في الميدان (نقلاً عن: عفرين نامة/ تاريخ وتوثيق، زكريا عبدالهادي حصري، مخطوطة بحوزة مؤلفها).

(٢) الدكتور سامي سعيد الأحمد: اليزيدية، أحوالهم ومعتقداتهم، من مطبوعات كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٧١، ص٢٠.

(٣) الدكتور جمال رشيد أحمد: ظهور الكرد في التاريخ/ دراسة شاملة عن خلفية الأمة الكردية ومهدها، ج٢، ط٢، مطبعة وزارة التربية، اربيل ٢٠٠٥، هامش ص٨٩١.

على سبيل المثال لا الحصر، عائلة: شندي في معراتا، وعوائل أخرى في قرية قرط قلاق، ناهيك عن العائلات والعشائر التي أسلمت برمتها في الجزيرة السورية العليا، مثل: عائلة مصطفى باشا الكوجري منذ ٢٥٠ سنة، والتي تعود في جذورها إلى عشيرة دَنَا الإيزيدية، وعشيرة بوبلانا منذ ٢٠٠ سنة، والتي تُنْسَبُ بدورها إلى عشيرة دَنَا الإيزيدية، وكذلك عائلة ابراهيم باشا الملّي[١]، وعائلة جمعة التي ينحدر منها الدكتور محمد صالح جمعة، وعائلة Çeto في سنجقا خلف آغا[٢]، وعائلة خلو من تل معروف، أما عشيرة شيخان بكي، فأفرادها من أحفاد مَن أسلموا بعد حملة أمير رواندوز محمد باشا عام ١٨٣٢، وأكثرهم من القرى الواقعة على الزاب الكبير، والبقية من قرى شيخان وبعشيقة وبحزاني، وهم الآن مسلمون ويسكنون في المناطق القريبة من اربيل في الجزء الكُردستاني الملحق بالعراق.

وحسب ما جاء في "الشرفنامة" لشرفخان البدليسي، فإن عائلة جان بولاد[٣]، من أصول إيزيدية، لكنها تبنت الدرزية. ومن المفيد قوله أن وليد جنبلاط، زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي اللبناني، حين زار معبد لالش[٤] في ٢٠١١/١٢/٥ بدعوة من تحسين بك، أمير الإيزيديين، وأثناء إلقاء كلمته في المعبد، أفاد قائلاً: (عندما زار والدي العراق سنة ١٩٧٣، أصرَّ أن يزور المرحوم ملا مصطفى البارزاني في كُردستان، ونحن نفتخر لكون أصولنا كُردية، وقد رحلنا في فترة معينة إلى لبنان)[٥]. وأضاف: (نحن أكراد ومن أصل هذه المنطقة). كما أكد بأن أصولهم إيزيدية، وبهذه المناسبة شكر الرئيس مسعود البارزاني، رئيس اقليم كُردستان، والأمير تحسين بك، أمير الإيزيدية على حسن الضيافة والاستقبال.

٢. ماهي حقيقة الإيزيدية؟

"الدّين"، مصطلح بهلوي مشتق من كلمة "دينا" الميدية، والتي تعني الخصائص الروحية وقوة الوجدان غير المادي التي شكلت إحدى جوانب النفس

---

(١) Konê Reş, Kurdên Êzîdî li rojava / Sûrya,2017 , R17

(٢) وهذه الأخيرة كانت تسكن قريتي سوكَيّا وخربة الذيب ومدينة القامشلي.

(٣) تعني بالكُردية: الروح الفولاذية.

(٤) بمثابة كعبة مقدسة للايزيديين، وتقع لالش في قضاء شيخان بكُردستان الجنوبية.

(٥) جدير بالذكر أن آل جان بولاد من نسل الشيخ مند الإيزيدي، تبنوا المذهب الدرزي بعد وصولهم إلى لبنان. راجع: (صوت الآخر ـ العدد ٤٧٥/ ١٩ آذار ٢٠١٤).

الباطنية للانسان كي يميز الخير عن الشر[1]. وبما أن التصور الميثولوجي هو خميرة المعتقدات الدينية، فإن هذا التصور سرعان ما تحول إلى عقيدة جامدة وايديوجيا مُخَدِّرة تلقفتها السلطات الحاكمة لترويض المحكومين، والوسيلة التي اتبعها المضطهِدون قديماً وحديثاً تتلخص في إقناع المضطهَدين بفكرة القضاء والقدر، فمن خلالها يُجَرّد المضطهِد من مسؤولية الواقع المزري، على اعتبار أن الله علة كل شيء، فمشيئته تجري كل هذه الآلام وكل هذا البؤس، وهو الذي رسم هذا المصير، فعلى الفرد أن يقبل هذا الفناء الذي أراده الله، وهكذا يخضع المضطهَد مذعناً للقضاء والقدر[2].

ويغدو الدين في مثل هذه الحالة، وفق تعبير ماركس، آهة الانسان المُضطهَد ومصدراً للعزاء والسعادة الوهمية، وهو مادة فائقة الفعالية في تخدير المُضطهَدين عامة وتنويمهم إذا ما أستغلت في الزمان والمكان المناسبين.

فالوعي الديني، في المحصلة، هو شكل من أشكال الوعي الاجتماعي، ذو صلة وثيقة بالواقع الاجتماعي، وأبعاده السياسية والاجتماعية ليست خافية عن الأنظار، مهما حلق في السماء، وهو في نفس الوقت عبارة عن منظومة من التصورات الميثولوجية المحكمة الاعداد، التي يستخدمها المضطهِدون كسلاح أيديولوجي لديمومة سيطرتهم، من خلال تبرير الواقع القائم وتأبيده. وإذا كانت أشكال الوعي الاجتماعي الأخرى تعكس الواقع، أو تسعى إلى تصويره تصويراً واقعياً، فإن الوعي الديني وحده ينفرد بين تلك الأشكال في إعطاء صورة فوق واقعية عن الواقع[3].

ومن المفيد قوله أن عبادة الآلهة المتعددة سادت في كردستان حتى العصر الميتاني، بيد أن ثورة التوحيد إجتاحتها فيما بعد، بدليل أن الأميرة الميتانية تادو حيبا أو تادو حيوا نقلت جذوة التوحيد إلى مصر الفرعونية أيام الأسرة ١٨، يضاف إلى هذا الأمر ظهور زرادشت الذي دعا إلى عبادة إله النور والخير آهورا مازدا، المناهض لقوة الشر المتمثلة في أهريمان، لذا يمكن القول أن بذور التوحيد تبلورت

---

(1) جمال رشيد، المصدر السابق، ج٢، ص٥٦٩.

(2) فرانس فانون: معذبو الأرض، ترجمة: د. سامي الدروبي و د. جمال أتاسي، النسخة الإلكترونية، مكان وزمان الطباعة بلا، ص٣٢.

(3) جمال رشيد، المصدر السابق، ج٢، ص٥٧٣ ـ ٥٧٤.

في كردستان منذ أواسط الألف الثاني قبل الميلاد، أي قبل ظهور الزرادشتية التي تتسم بالصراع بين الثنائي آهورامازدا وأهريمان.

"الإيزيدية" إذن، هي بقية إحدى الديانات الكردية الموغلة في القدم، وكان يعتنقها معظم الكُرد قبل انتشار الزردشتية واليهودية والمسيحية والاسلام[1]، وهي ديانة توحيدية غير تبشيرية، وغير وثنية، وثيقة الصلة بديانات ميزوبوتاميا القديمة. يقول أحد الباحثين: كانت الإيزيدية هي الديانة الأولى التي انتمى إليها أغلب الكُرد قبل الاسلام[2]. وذكر المؤرخ اليوناني توفانيس بأن الامبراطور هرقليوس خَيَّمَ بالقرب من مدينة (يزدم)، وهي قريبة من مدينة (حدياب)، ويعتقد بأن ديانة القوم الذي كان يسكنها آنذاك لم تكن سوى الإيزيدية[3].

لكن الإيزيديين أُتُهموا ظلماً بأنهم من عبدة "الشيطان"، رغم أن الكلمة لا وجود لها في اللغة الكُردية التي هي لغة الدين الإيزيدي، كما ان منظومتهم اللاهوتية تناقض هذه التهمة، على عكس الزرادشتية التي جعلت من الكائن الروحاني "أنكَروماينيو/ أهريمان: إله الشر" نقيضاً لـ "آهورامزدا: إله الخير"، إنما هم في الواقع يتجنبون شره، مثلهم في ذلك مثل سائر المسلمين. ففي المعتقد الإيزيدي كل الخير والشر لا يكون إلا بارادة الله وحده، فلا يشاركه في اقرار الأمور أو الاتيان بها أحد[4]. ولم يرد ذكر عبادة "الشيطان" لدى الإيزيديين، في كتاب الـ "شرفنامه" لشرف خان البدليسي، رغم أنه أكثر العارفين بهم، وقل الشيء ذاته في كتاب "سياحتنامه" للرحالة التركي أوليا جلبي والذي زار سنجار عام ١٦٥٤م، رغم أنه كان يمقتهم. فوراء الأكمة ما وراءها، لقد ألصقت بهم تهمة "عبدة الشيطان" لنفس الغايات التي زعموا فيها بأن الكُرد من "أبناء الجن"[5] أو من إماء النبي سليمان، وبالتالي

---

(1) الدكتور عبدالفتاح بوتاني: ملاحظات أولية عن الإيزيدية والإيزيديين، مجلة لالش، العدد (١٢)، دهوك ك٢ عام ٢٠٠٠، ص٤١.

(2) أحمد تاج الدين: الأكراد، تاريخ شعب وقضية وطن، القاهرة ٢٠٠١، ص٧٠.

(3) نقلاً عن عمار قربي، المصدر السابق، ص٢.

(4) محمد عبدو علي، المصدر السابق، ص٢٦.

(5) "منذ قرون خلت، ألقى النبي سليمان خمسمائة من الأرواح السحرية التي تدعى الجن خارج مملكته ونفاهم إلى جبال زاغروس، انطلق هؤلاء الجن في البداية إلى أوربا لاختيار خمسمائة من العذراوات الجميلات كعرائس لهم، ومن ثم ذهبوا للاستقرار فيما عرف بعد ذلك بكُردستان، هذه واحدة من

كتحصيل حاصل أناس "غير شرعيين"!. إن مثل هذه الخزعبلات لا تصمد أمام المنطق القويم، بل هي نتاج ثقافة سقيمة، من هنا يتوجب على الإيزيديين المستهدفين على أكثر من صعيد، ديني وقومي، مواجهة هذه التُّرهات بكل حزم، فالغزاة وبغية تبرير سيطرتهم على المناطق الجغرافية للإيزيديين وشرعنتها، كانوا يسوقون مثل هذه التهم الباطلة، رغم معرفتهم بأن الإيزيدية ديانة توحيدية عريقة وأصيلة، ليست كالزرادشتية التي تقوم على ثنائية إله الخير والشر، بل الخير والشر لا يحدثان إلا بإرادة الله وحده في الإيزيدية.

سبق لتوفيق وهبي أن تناول هذا الموضوع، مقارناً بين الشيطان وطاووس ملك، يتجلى فيه طاووس ملك (كبير الملائكة) مصدر النور والخير للبشر على عكس المعتقدات المسيحية والاسلامية، بمعنى أن ماجرى عبر التاريخ من لدن معظم الباحثين والمؤرخين، ما هو سوى إسقاط المفهوم المسيحي ـ الاسلامي على الإيزيدية تساوقاً مع مصالح الامبراطوريات التي كانت تتحكم بمصير الكُرد عامة والكُرد الإيزيديين خاصة:

الشيطان	طاووس الملائكة
ـ مخلوق من نار ومصيره جهنم	ـ انبعث من ذات الله (نوره)
ـ مطرود ودنيوي دنس ومغضوب عليه	ـ ملازم لله
ـ يؤذي البشر ويخدعهم	ـ ليس عدواً للبشر ولا يخدعهم

ما من شك أن شخصية إبليس "الشيطان"، تتبدى في مخيالنا جميعاً على شاكلة تلك الصورة السائدة والمألوفة التي ورثناها عبر العصور، فهي نتاج ثقافة سائدة وتفكير ميثيولوجي ـ ديني في النهاية. وهذه الشخصية لها شأن كبير في إطار الديانات السامية الكبرى (اليهودية، المسيحية، الاسلام) عامة، وفي الأخيرة بشكل خاص، لأن الشيطان خلق من نار وآدم من طين، لكنه طرد من الجنة بعد أن عصى أمر ربه كما جاء في القرآن: " وإذْ قالَ ربُّكَ للملائكةِ إنِّي خالقٌ بشراً من صلصال من حمأٍ مسنونٍ * فإذا سَوّيتُهُ ونفختُ فيه من روحي فقَعوا له ساجدينَ * فسجدَ الملائكةُ كلهم أجمعونَ * إلاّ إبليسَ أبى أن يكونَ معَ الساجدينَ * قالَ يا إبليسُ ما

الأساطير". (راجع مقدمة المؤلفة لكتابها: أبناء الجن/ مذكرات عن الأكراد ووطنهم، د. مارغريت كان، ترجمة: نورا شيخ بكر، التدقيق اللغوي: دحام عبدالفتاح، دمشق/ مطبعة الخلود، ص٩).

لكَ ألاّ تكونَ من الساجدينَ * قال لم أكن لأسجُدَ لبشر خَلَقْتَهُ من صلصال منْ حمأ مسنونٍ * قالَ فاخرجْ منها فإنكَ رجيمٌ * وإنّ عليك اللعنة إلى يوم الدِّين"[1].

وفي سورة أخرى: ".. قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليسَ لم يكن منَ الساجدينَ * قالَ ما منعكَ ألاّ تسجُدَ إذْ أمرتُكَ قالَ أنا خيرٌ منهُ خلقتني من نار وخلقتهُ من طين"[2].

يسعى صادق جلال العظم إلى تأويل هذا الأمر فلسفياً، فيقول: هاهنا يمكن التمييز بين **الأمر الالهي والمشيئة الالهية**، فحين أمر الله إبليس بالسجود لآدم عصى الأمر الالهي، ودخل في حجاج مع الذات الالهية، قائلاً: أنا خيرٌ منهُ، خلقتني من نار وخلقته من طين؛ لكن المشيئة الالهية واقعة بالضرورة، فلو شاء الله لابليس السجود لآدم لسجد، إذْ لاحول ولا قوة للمخلوق أمام مشيئة الخالق.

حين رفض إبليس السجود لآدم انطلق من اعتبار أن السجود لغير الله شرك به، فموقفه ينمُّ عن اصراره المطلق على التوحيد في أروع تجلياته، لكنه كان بين شقي الرحى، رحى المشيئة الالهية من جهة، لأنها تأكيد على وحدانية الله وعدم السجود إلا للذات الالهية، ورحى الأمر الالهي بالسجود، فأذعن لمتطلبات المشيئة أخيراً.

الفكرة الشائعة عن مقدرة إبليس لا تنحصر في مجرد اعتباره مصدر إغواء الناس عن سلوك الطريق القويم، بل تتعدى ذلك لتشمل قوى واسعة، ومقدرات عظيمة لو أخذناها بعين الجد، لظهر لنا أن إبليس يسيّر قسماً كبيراً من مجرى الأحداث، ويعتبر مسؤولاً عن معظم الحركات الفكرية والفنية والسياسية في تاريخ الحضارة[3].

يضيف العظم: إن المتأمل في مأساة إبليس ومحنته يتراءى له أنه كان مسيراً، وقد سبق للحلاج أن عبر عن ذلك بقوله:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

---

(1) الحجر: ٢٨ـ ٣٥.

(2) الأعراف: ١١ـ ١٢.

(3) صادق جلال العظم: مأساة إبليس، محاضرة ألقيت في النادي الثقافي العربي في بيروت ١٩٦٥.

كما شغل موضوع لعنَ ابليس بال الشيخ عبدالقادر الكيلاني والحلاج وابن العبري وأحمد الغزالي، فقد رأى هؤلاء المتصوفة أنه إذا كان الشيطان قد رفض السجود لآدم، فإن ذلك كان بسبب من حبه المفرط لله، فبدلاً من أن يرى هؤلاء المتصوفة الشيطان مستحقاً للعنة الأبدية، فانهم يوصون بتبرير فعلته وعدم لعنه[١].

وكان عدي بدوره يؤمن أن الله كلي القدرة، بدليل قوله: "لو كان الشر موجوداً بمعزل عن ارادة الله لكان معنى ذلك أنه غير مقتدر، والحال أن كائناً غير مقتدر لا يسعه أن يكون الله. والحق أنه لايمكن أن يكون في ملك الله ما لايرغب فيه أو يجهله"[٢]. وحتى الميثولوجيا الإيزيدية تشيد بموقف طاووس ملك[٣]، فحين يأمره الله بالسجود لآدم كمحاولة لإختباره، يرفض لأنه من النور(الذات الإلهية) وآدم من تراب، وهذا ما يذهب إليه الكثير من الإيزيديين. لكن هذا الموقف يعد وفق المعتقد الاسلامي مخالفة للأمر الالهي، مما استوجب معاقبته وطرده من الجنة، ووفق هذا الاعتقاد يُدان الإيزيديون[٤].

ويعتقد معظم المختصين في شؤون الأديان أن الإيزيدية أقدم من الزرادشتية، رغم تأثرها بالمثرائية والزرادشتية والصابئية والشامانية والبوذية واليهودية والمسيحية (النسطورية) والاسلام، ومن المفيد قوله أن الشعوب الآرية كانت تعبد قوى الطبيعة، فكانت عبادة الشمس/ ميثرا شائعة، ولا يُخفى ارتباط الإيزيدية بالشمس، وكان الميديون على العقيدة الميثرائية المرتبطة بالشمس، ومازال أحفادهم الكُرد يقسمون بالشمس والنار والنور، ويُعتقد أن هذا الأمر من بقايا التقاليد الميثرائية، وإن تعذر علينا القول أن الإيزيدية هي امتداد للميثرائية، إلا أننا

---

(١) جمال رشيد، ج٢، المصدر السابق، ص٨٧٨.

(٢) روجيه ليسكو: اليزيدية في سورية وجبل سنجار، ترجمة: أحمد حسن، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا/ دمشق، لبنان/ بيروت، العراق/ بغداد، ٢٠٠٧، ص٢٨.

(٣) كان يرمز لإله الشمس لدى الشعوب القديمة بطائر، وكان الصقر رمز مصر القديمة والنسر في الهند والوز في اليونان وفي الديانة الإيزيدية طائر الطاووس أحد رموز "طاووس ملك" (راجع: ممو فرحان عثمان، المصدر السابق، ص٢٦).

(٤) الدكتورممو بير: ضوء على فلسفة الديانة الإيزيدية، مجلة لالش، العددان ٢ـ ٣، دهوك ١٩٩٤، ص١٥٧.

نعتقد بأنها تأثرت بالميثرائية[1].

ما من شك أن الشمس التي تتوسط العلم الكُردي اليوم، ذات دلالة موحية لكل ذي بصيرة إلى ذاك التراث الكُردي العريق الذي خلفه أسلافنا مازالت بقاياه طازجة في الذاكرة، وينمُّ هذا الرمز الذي يومئ إلى الشمس عن ذكاء في الاقتباس من لدن خبير في التاريخ الكُردي القديم.

يقول الدكتور جمال رشيد أحمد: ألف الدكتور سامي سعيد الأحمد كتاباً[2]، ناقش فيه بعض الآراء، كان أهمها ما نشره توفيق وهبي تحت عنوان: (بقايا الميثرائية في الحضر وكردستان والعراق)، ومفاده أن الإيزيدية في الواقع ما هي إلا استمراراً للدين الميثروي، الذي سادت عبادته في مدينة حضر القريبة من مواقعهم في جبل سنجار، النظرية التي يقول عنها الدكتور سامي: أنها تتصف بالمعقولية والفطنة، ولكن من الصعب اثباتها[3]. وما الضير في هذا؟ فكلمة "مهراب"، قبلة المعبد الميثرائي، أقتبستها العربية مثلاً، وتحولت إلى "محراب" وفق قول فلك الدين كاكائي[4]، وكذلك مصطلح "الدين" المشتق من "دينا" الميدية كما سبق ذكره، سرعان ما تلقفتها العربية.

ويقول مهدي كاكه‌يى بأن الديانات التالية:(الإيزيدية، الهلاوية، اليارسانية/ الكاكائية، الدروزية، الشبك، الزردشتية)، كلها فروع للدين "اليزداني"، الذي يعد امتداداً للمعتقدات السومرية، وتتجلى فيه الديانة الميثرائية، التي كانت سائدة بين الزاغروسيين والآريين خلال فترة الحكم الهوري ـ الميتاني وما بعده[5]. ويذهب توفيق وهبي إلى أبعد من ذلك حين يقول في كتابه: "الإيزيدية بقايا الميثرائية"، بأن الديانة الإيزيدية ورثت جزءاً كبير من المعتقدات والطقوس الميثرائية، وهي: (تحمل

---

(1) علي جزيري: الكرد وكردستان/ كُردستان سوريا أنموذجاً/ بحث في ضوء منهجية الجغرافيتين السياسية والتاريخية، الأكاديمية الكردية/ اربيل ٢٠١٧، ص١٦٢ـ ١٦٣.

(2) المقصود هنا كتاب: اليزيدية، أحوالهم ومعتقداتهم، من مطبوعات كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧١.

(3) ينظر جمال رشيد، المصدر السابق، الصفحات ٨٨٩ ـ ٨٩١.

(4) صحيفة صوت الأكراد، فلك الدين كاكائي، العدد ٤٥٧، تاريخ ٢٠١٢/١٢/١٥، كانت يومها لسان حال الحزب الديمقراطي الكُردستاني ـ سوريا.

(5) مهدي كاكه يي: الحوار المتمدن، العدد ٥٣٤٩، تاريخ ٢٠١٦/١١/٢٢.

إرث الديانات الشمسية الطبيعية العريقة، ومنها الديانة الميثرائية)[1]، فهم –أعني الإيزيديين– يتوجهون إلى الشمس في صلواتهم. ويستعرض توفيق وهبي بعض الأمثلة على هذا الصعيد، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

– تقديس الإيزيدية للعناصر الأربعة (الهواء، النار، الماء والتراب)، كما في الميثرائية.

– أسطورة أسر ميثرا للثور وذبحه، يجسدها الإيزيديون في عيد القباغ[2].

– ومن بين الشعائر التي ورثتها الإيزيدية عن الميثرائية التعميد، حيث يغطس الطفل ثلاث مرات في حوض فيه ماء نبع (كانيا سبي)[3]، وليس صحيحاً أنهم تلقفوا هذه الشعيرة من المسيحيين.

– تتشابه واجبات القوالين في الإيزيدية إلى حد ما وواجبات ركاضي قرص الشمس (هيليودروس) في الميثرائية[4].

– تشابه بين السنجق الإيزيدي والعلم الميثرائي، فهنا طاووس وهناك نسر[5].

ـ الأسطورة التي نسجها الإيزيديون حول كيفية انبجاس المياه من النبع الأبيض (كانيا سبي)، تشبه أسطورة ميثرا الذي صوب سهماً إلى صخرة فانبثقت منها المياه، التي أنقذت البشر من الجدب[6].

باختصار، هي ديانة كردية ـ شرقية، مفتاحها اللغة الكُردية، لكنْ يكتنفها المزيد من الغموض جرّاء انغلاقها وعزلتها من جهة، والحصار المفروض على أتباعها ومحاربتهم واصدار فرمانات القتل والابادة بحق أتباعها، وعلى وجه الخصوص في العهد العثماني من جهة ثانية، ولأنها ديانة غير تبشيرية تعرضت للاضطهاد طوال

---

(1) حسو هورمي: محاضرات في الشأن الإيزيدي، من مطبوعات المديرية العامة لشؤون الإيزيدية في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في حكومة اقليم كُردستان، اربيل ٢٠١٣، ص٨٦. راجع أيضاً علي جزيري، الكُرد وكُردستان: كُردستان سوريا أنموذجاً، ص١٧٠.

(2) توفيق وهبي: اليزيدية بقايا الديانة المثرائية، بحزاني للثقافة والنشر، ترجمة عن الانكليزية: شوكت اسماعيل حسن، ص١٧ ـ ١٨.

(3) المصدر نفسه، ص٢٠.

(4) المصدر نفسه، ص٢١.

(5) المصدر نفسه، ص٢٢.

(6) المصدر نفسه، ص٢٢.

حقب التاريخ، مما اضطرت الاعتماد على التراث الشفاهي في نشر مبادئها بين أتباعها من جهة ثالثة [1]. ومهما كان أصل هذه الديانة، فان النواة الأصلية امتزجت بعناصر أخرى على مر الأيام، ويرى الباحثون أن عقيدتهم يكتنفها الغموض، فهي تشمل عناصر وثنية وزردشتية ومانوية، ويهودية (تحريم بعض الأطعمة)، ونصرانية/ نسطورية (المعمودية، العشاء الرباني... تحليل شرب الخمر...الخ)، واسلامية (الختان، الصوم، تقديم الضحايا، الحج...الخ)، وصوفية رافضية (كتمان العقيدة...الخ)، وصابئية (التقمص)، وشامانية (طرق الدفن...الخ)[2].

ما من شك أن عقيدة الإيزيدية يكتنفها الغموض للأسباب السالفة الذكر، ناهيك عن تأثرها عبر العصور بمؤثرات من ثقافات الشعوب السامية (العبرية والآرامية والعربية) من خلال دياناتها السامية التوحيدية الكبرى (اليهودية والمسيحية والاسلام)، وتوغلت هذه المؤثرات في ثقافات الأمم غير السامية التي كانت في جوار العالم السامي، حتى حلت المبادئ الروحية السامية محل المبادئ الروحية لهذه الأمم بما فيها الأمة الكردية.

لكن قسطنطين زريق وأمثاله لا يظهرون سوى أحد وجهي الحقيقة هذه، فلو تأملنا الديانات السامية لوجدناها بدورها حبلى بالكثير الكثير من المعتقدات الآرية والرافدينية القديمة، فالفكرة (القرآنية التي تؤكد على أن النبي محمد هو خاتم الأنبياء، تماثل ما كان يعلنه ماني عن نفسه بأنه خاتم الأنبياء)[3]، علاوة على ما سبق كانت التصورات الزرادشتية رافداً مهماً من روافد تصورات الديانات السامية الكبرى، فالانتقال إلى العالم الآخر مثلاً ـ كما جاء في الأفستا ـ يمر فوق جسر يُدعى الصراط المستقيم في الاسلام، يقود كل من آمن بأهورامزدا إلى بر السلام، والعكس بالعكس بالنسبة للأشرار؛ وكذلك أسطورة المخلص أو المهدي المنتظر، فالديانات السامية الثلاث السالفة الذكر، لم تكن بمنأى عن التأثر بالزرادشتية[4]. من هنا نفهم

---

(1) علي جزيري: الكُرد وكُردستان: كُردستان سوريا أنموذجاً، المصدر السابق، ص١٧٠ ـ ١٧١.

(2) راجع مقدمة قسطنطين زريق لكتاب: الإيزيدية قديماً وحديثاً، ص١٦. هذه المعطيات ليست دقيقة، فالتعميد ليس من المؤثرات المسيحية كما بينا، ولا الختان اسلامي في الأصل، لكننا لا نستطيع أن ننكر أنها تأثرت بالأوقيانوس المحيط.

(3) الدكتور سربست نبي: الكُرد والاسلام/ أطروحات، بحث بحوزة مؤلفه.

(4) المصدر نفسه.

ما قاله (مار) من أن التراث الديني الكُردي أقدم تاريخياً من الديانات السامية الكبرى.

وينتهي الدكتور جمال رشيد أحمد إلى خلاصة عن الإيزيديين جاء فيها: (شريحة من شرائح الأمة الكردية، ظلت متمسكة بعقيدتها المؤمنة بالإله "إيزْدان" ـ الكلمة مشتقة من "يَزاتا" الميدية التي تعني الخليق بالعبادة ـ تكونت عناصرها من تقديس نور الشمس "العقيدة الميثرائية"، مع مزيج من العقائد التي ظهرت في البلدان المحيطة ببلادهم، ومنها الزرادشتية والمانوية واليهودية والمسيحية. وفي كُردستان لعب المتصوف عدي بن مسافر، في القرن السادس الهجري دوراً رئيسياً لتنظيم هذه العقائد في قالب اسلامي بين أناس جعلوا الكُردية من أقدس لغات العالم باعتبارها لغة الله المقدسة ـ وفق زعمهم ـ التي دونت بها كتابا الجلوة ومصحفا رَش)[1].

اللغة الكُردية هي مفتاح هذا الدين، حيث يتكلم بها كل الإيزيديين ويعتقدون أنها لغة أهل الجنة، باستثناء قلة منهم في ناحية بعشيقة تتحدث العربية، لكنها تؤدي صلواتها بالكُردية.

ووفق التصور الثيولوجي للإيزيدية، نجدها تؤمن بإله واحد، خلق الدنيا وأناط ادارتها بالملائكة الذين يضمهم البانثيون Pantheon[2] الإيزيدي، وهم:

ـ أزازيل (تاوسى مَلَك Tawisê Melek)، انبعث من نور الله يوم الأحد، وهو كبير الملائكة.

ـ دردائيل (شيخ سن)، خُلِقَ يوم الإثنين.

ـ اسرافيل (شيشمس)، خلق يوم الثلاثاء.

ـ ميكائيل (شيخو بَكر)، خلق يوم الأربعاء.

ـ جبرائيل (سجادين)، خلق يوم الخميس.

ـ شمنائيل (ناسردين)، خلق يوم الجمعة.

ـ نورائيل (فخرَدين)، خلق يوم السبت.

---

(1) جمال رشيد، ج2، المصدر السابق، ص891 ـ 892.

(2) معبد لكل الآلهة في روما القديمة (مجمع الآلهة).

٣. الحرب امتداد للسياسة لكن بوسائل أخرى[١]:

«ذهب أبي إلى الحرب. أمسك به العدو. طلبوا منه أن يتحول إلى دينهم. بعض الأسرى تحولوا وتسجلوا في جيش العدو. آخرون رفضوا فقُتِلوا على الفور. هذا ما يقوله التاريخ.

أبي إختار الطريق الوسط. قال أنه يريد أن يَعْلَمَ المزيد عن معتقدهم ليرى إن كان الأفضل أن يتحول إليه أو يموت في سبيل معتقده. وافق قائد المعسكر، وأعطى أبي بعض الكتب، وطلب من كاهن جنوده أن يعلمه، وحتى أن يناقش معه أحياناً مسائل صعبة معينة.

من وقت لآخر كان الكاهن يسأله ماذا قرر، فيجيب أبي أنه لا يزال غير متأكد. أراد أن يدرس أكثر. إنتهت الحرب.

لكن أبي عاد إلى البيت لأيام قليلة، رجع بعدها إلى بلد أعدائه من أجل دراساته. كتب الكثير من الكتب في المنهج المقارن في الدين والتاريخ والفلسفة. أصبح عضواً في العديد من الأكاديميات. قال في خطابه حين منح جائزة نوبل، أنه لم يزل غير متأكد أي معتقد أفضل وملائم أكثر لتفكيره، وعلى أية حال، فيما يخص الدين، على المرء أن لا يتخذ قرارات سريعة»[٢].

هذه الفقرات المقتبسة من إحدى القصص، غنية بدلالاتها، فهي تومئ لكل ذي بصيرة، ما جرى في منعرجات التاريخ ومنعطفاته من مهازل، بحق الآخر المختلف من أبناء الديانة الإيزيدية، وهذا ما دفع بالباحث ابراهيم محمود إلى القول: القوة تؤكد نجاعة مفهومها تاريخياً.. وان مثولية القوة أمام التاريخ ليكون لسان حالها، هي الميزة الكبرى لخاصيتنا، وهي تتولى أمورها في سيرورة التاريخ. ذلك ما يعرَّف به حتى على مستوى الأديان: بداية وانتشاراً وإدخالاً للآخرين فيها.. وأن المصنفات التاريخية الاسلامية الكبرى تحتفظ بمدوناتها، عن مثل هذه الوقائع، وتحولات القوة،

---

(١) حكمةٌ نطقَ بها الاستراتيجي العسكري البروسي كارل فون كلاوزفيتز في القرن التاسع عشر.

(٢) مقطع من قصة قصيرة تحت عنوان: عودة أبي من الحرب، للأديب الروماني هوريا جاربيا، ترجمة: جودت جالي، نشرتها مجلة الثقافة الجديدة في عددها ٣٩٧، أيار ٢٠١٨. والأديب المذكور، من مواليد بوخاريست عام ١٩٦٢، وهو الآن رئيس جمعية كتاب بوخاريست، وعضو في اتحاد الأدباء منذ ٢٠٠٣.

ومفهوم السلطة، أي كيف أن إبرة المنتمي إلى "جغرافية دار الاسلام"، كانت تخيط بالطريقة التي ينال بها رضى الحاكم: ولي أمره.. الكاتب الاسلامي: مؤرخاً، فقيهاً، رحالة، في المجمل يأتي على ذكر الآخر، كما هو اسلوب "الاستشراق" الذي أطَّره ادوارد سعيد[1].

أما الدكتور عبدالله ابراهيم، فيقول: أنتجت القرون الوسطى الاسلامية مرويات كبرى رسَّخت تصورات شبه ثابتة للأعراق، والثقافات، والعقائد.. وكانت صورة الآخر الدونية مثار قبول واحتفاء في كثير من الأحيان لدى المؤرخين والجغرافيين، ولم يجرِ - في حدود علمنا - نقد معمق لها ولا كشف التنميطات الثقافية الجاهزة للآخر.. إن الصور الاكراهية التي ركبتها الأدبيات الجغرافية والتاريخية القديمة للآخر، خلال القرون الوسطى، مازالت فاعلة في التصور الثقافي العام، ومتحكمة في المخيال الاسلامي، وفي كيفية إنتاجه للصور النمطية الخاصة بالشعوب غير الاسلامية[2].

إن التاريخ، فيما يتعلق بالكُرد عامة والكُرد الإيزيديين بخاصة، إتكأ أول ما إتكأ على منطق القوة، وهذا (يعني أن البشر قد وضعوا الخطط للتفكير بامتلاك مزيد من الأراضي وأن عليهم، لذلك أن يفعلوا شيئاً بساكنيها الأصليين)[3]، ومَثَلُ هؤلاء ممن سبق لهم أن رفعوا راية "الفتح" بيد والسيف باليد الأخرى، كمَثَلِ حاملي الصليب على قمصانهم، أعني الذين قدموا تحت شعار تحرير "بيت المقدس"، كلهم غزوا بلاداً تحت يافطات دينية، يدفعهم الاستئثار بالسلطة والغنائم، فالغلالة الدينية للـ "الفتوحات" ينبغي ألاّ تخفي عنّا دوافعها المادية الحقيقية.

---

(1) ابراهيم محمود: التحليق من خُرْم الابرة، دراسة في نماذج كتابية للدكتور محسن محمد حسين، دمشق ٢٠١٨، ص٩٠.

(2) الدكتور عبدالله ابراهيم: عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، المؤسسة العربية، بيروت، ط٢ عام ٢٠٠٧، ص ٥ - ٢٧. وحتى لا نُتَّهم بالتحامل في تشويه صورة المسلمين على هذا الصعيد، نقول بأن الأوربيين (وهم مسيحيون)، الذين غزوا القارة الأمريكية قبل خمسة قرون، لم يتورعوا عن إقتراف أبشع الأساليب البربرية في إستئصال شأفة سكانها الأصليين، والقضاء على حضاراتها، ولغات شعوبها، وعاداتها وتقاليدها، وإجبارها على تبني المسيحية بالقوة .. "علي جزيري".

(3) ادوارد سعيد: الثقافة والامبريالية، نقله إلى العربية وقدمه: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت ١٩٩٧، ص٧٨.

إن تهافت الكثير من المؤرخين في المضي قُدُماً في تصنيف الحروب الصليبية بحروب لادينية، والقول أن حافزها الرئيس هو البحث عن المنافع المادية وحدها، تجدهم في الوقت ذاته، يسعون فيه لتبرئة جيوش "الفتح" من السعي الحثيث للظفر بالمنافع المادية. بيد أن هذا التصور يحمل في طياته الكثير من التناقض، رغم أننا لسنا بصدد المقارنة بين هذه الحروب وتلك، وهذا ما دفعنا حقيقة لاستفتاح هذا المبحث بمقولة كلاوزفيتز: "الحرب إمتداد للسياسة، لكن بوسائل أخرى"، بمعنى أن الحروب التي تُخاض على أسس دينية، والتي تبدو في نظر مَنْ يشنونها على الآخرين "مقدسة"، كانت تبغي التسيّد على قوم آخر أو أمة أخرى بشتى الذرائع، بدليل طغيان لغة على غيرها أو دين على آخر. أعود وأقول: إن هذه المبررات ماهي سوى ذرائع واهية جرى ابتكارها أو نسجها على مدار تاريخ البشرية، بهدف تبرير نواياها الاستعمارية تحت أية حجة كانت.

يقول بيشكجي في هذا الصدد: في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، والثالث عثمان بن عفان، والرابع علي بن أبي طالب، بُذلت مساعٍ كثيرة لإدخال الشعوب الأخرى في الاسلام قسرا.. مثال: بغية إدخال الكُرد في الاسلام، مورس عليهم ضغط وعنف كبيرين، فانسحبت هذه الشعوب مضطرة في النهاية إلى الجبال، البعيدة عن سيطرة الجيوش الزاحفة، كي تحافظ على معتقداتها[1]، واستمرت الضغوط على

---

(1) اسماعيل بيشكجي: الدولة والكُرد/ اللغة، الهوية، القومية، الوطنية، المجلد ٢، ترجمه عن الكُردية وقدم له وعلق عليه: ابراهيم محمود، من اصدارات جامعة دهوك، مركز بيشكجي للدراسات الانسانية ٢٠١٧، ص٧٦. وهذا بدوره يؤكد مصداقية المقولة الدارجة بين الكُرد، أعني "لا أصدقاء سوى الجبال". أورد بيشكجي مقتطفات من قصيدة (أطفال النار والشمس) لـ: عدنان يوجل، من منشورات كتاب الوطن، ط٤، كانون الأول ٢٠٠٠، جاء في إحدى فقراتها (ص٣٦):

«آه، من تلك الأعاصير التي تتعاقب
الأمراء، الملوك، الرسل والآلهة
زهور نوروز التي كانت تبتر بالسيوف
والصرخات التي كانت تكتم بالنعال
العرب، الأوغوز، والمغول الذين كانت أحصنتهم تقضم الزهور دائماً
من جديد، وبعد كل الأعاصير
من جديد، وسط القيامات توضع الحدود
لا جداء تلعب في أعالي الينابيع

معتنقي كافة الديانات السائدة يومذاك، ففي عهد عمر أتخذ موقف يقضي بالحد من حرية اليهود في شبه الجزيرة العربية، والذين لم يذعنوا للأمر، هُجِّروا باتجاهين، إما إلى ميزوبوتاميا وبلاد الشام أو نحو شمال افريقيا[1]. بيد أن هناك رأياً آخر لمحمد أمين زكي يستند فيه على قول مارك سايكس مفاده: لما ظهر الاسلام، اتصل بعض الكُرد بالمسلمين، فوجدوا أن مبادئ الاسلام تتفق مع ما جُبِلوا عليه من السجايا، فأقبلوا على هذا الدين وأعتنقوه. ثم يضيف: ينبغي أن نعلم أن التواصل كان قائماً قبل قدوم الجيوش العربية، بدليل أن بعض الكُرد قد اعتنق الاسلام من قبل، لأن محمود أفندي الآلوسي يذكر في تفسيره الشهير "روح المعاني" من ضمن أصحاب النبي اسم صحابي يُدعى "جابان/ كابان" الكُردي، وابنه ويُدعى "ميمون/ يكنى بأبي البصير"، ثم ينسب هذه المعلومات إلى الحافظ بن حجر في كتابه (الاصابة في تمييز الصحابة)، الذي يشتمل على عدة أحاديث مروية عن "كابان" الكُردي[2].

لكن الأمر يختلف بعد وصول الجيوش العربية، وهذا ما يوضحه محمد أمين زكي بك نفسه، فيقول: في سنة ٢١هـ (٦٤٢م)، وجه عُمَر من حلوان نحو شهرزور(عزرة بن قيس) قاصداً فتحها، لكنه أخفق في مسعاه، فوجه إليها (عتبة بن فرقد)، فجرت معارك دامية وحروب شديدة حول هذه المدينة الكُردية ذهب ضحيتها كثير من السكان، ثم تم الاستيلاء عليها، وقد "استشهد" كثير من المسلمين أيضاً، إما في ميدان المعركة وإما من لدغ عقارب شهرزور الشهيرة[3].

ولا حتى عصافير تزقزق لبهجة الصباح
في إثر كل إعصار، كان هناك صراخ استغاثة
وفي الجبال، ولدت الانتفاضات بالمقابل».

(1) أحمد سوسة: حياتي في نصف قرن، ص٥٣- ٥٤.

(2) محمد أمين زكي بك، خلاصة تاريخ الكُرد وكُردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، القسم الأول، نقله من الكُردية إلى العربية وعلق عليه محمد علي عوني، ط٢، بغداد ٢٠٠٥، ص١٩٤- ١٩٥.

(3) المصدر نفسه، ص١٩٧(نقلاً عن الكامل لإبن الأثير، ج٣، ص١٦).

ملاحظة: تأمل فعل (استشهد) الذي ورد في ثنايا قول محمد أمين زكي، فهو ينمُّ عن تمسكه بالاسلام دون تمحيص، مثله في ذلك كمثل الكُرد الذين مازالوا يتمسحون حتى اليوم بضريح أحد الجنود الغزاة لكُردستان، وقد يتجلى ذاك الجندي في مخيالهم كولي من أولياء الله، رغم أن الضريح الذي يتمسحون به غالباً هو ضريح قاتل أجدادهم وناهب خيراتهم ومنتهك عرضهم، أو ممن قام بسبي فتياتهم تاريخياً.

كما يقول ابن الفقيه: إن العرب دخلوا بلدتي بازابدا وصامغان في سنة ٢٢هـ بعد أن جرت في سبيل الاستيلاء عليهما معارك دموية[١]. يضاف إلى ما ذكر، كان الكُرد لا يهدأ لهم بال، ففي سنة ٢٥هـ/٦٦٦م خاضوا انتفاضتين في عهد ولاية أبي موسى الأشعري على البصرة، وإبان خلافة عبدالملك بن مروان ساندوا عبدالرحمن بن الأشعث، مما أثاروا حفيظة الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي انتقم منهم شر إنتقام، وأحدث فيهم مذابح عامة، وقل الشيء نفسه في العهد العباسي.

٤. وهمٌ مازلنا أسراه منذ قرون:

لعبت اللغة بدلالاتها وصياغاتها الشائعة في كتب التاريخ دوراً لا يُستهان به في تطبيع الغزو الذي تعرض له الكُرد عموماً. وتمكن التعريب، تحت يافطة الدين الجديد "الاسلام"، من استملاك الكُرد ثقافياً، حتى أضحوا غرباء على أرض آبائهم وأجدادهم. لقد استُعْبِدُوا تحت شعار "الفتوحات"، ومن خلال الادعاءات المشوِّهة، التي روّج لها منظرو الغزو في كافة حقول المعرفة. فيمكن للغزاة في أي مكان أو زمان تسويق غزوهم: مرة لنشر ثقافتهم، وأخرى لإفشاء لغتهم، وثالثة لإذاعة دينهم، ورابعة تحت شعار تحضير الشعوب المغلوبة[٢].

لذا فالدراسة هذه تطمح إلى كشف النقاب عن المستتر، أو عن المسكوت عنه عبر التاريخ.

عام ٢٠١٨ يكون قد مرَّ على غزو القارة الأمريكية /٥٢٦/ عاماً، لكننا مازلنا نستخدم مصطلح "اكتشاف" القارة الأمريكية..!

لو تأملنا هذه الواقعة لوجدنا، أن القارة لم تكن مجهولة من لدن سكانها الأصليين حين وطأتها أقدام الغزاة الأوربيين، بل كانت عامرة بسكانها الأصليين، مثل: الأزتيك والإنكا والمايا...الخ، ذوي الحضارة العريقة الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ. ثم أطلقت على القارة تسمية "أمريكا" نسبة إلى "أمريكو فيسبوتشي"، الذي توصل إليها بعد أن ظن "كولومبس" أنها ليست سوى امتداداً للهند، وهكذا

---

(١) محمد أمين زكي بك، المصدرالسابق ، ص١٩٨.

(٢) خليل عبدالكريم: شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة، السفر الثالث، الصحابة والمجتمع، سينا للنشر، القاهرة ١٩٩٧، ص٢٨٤.

فالتسمية الجديدة تشي باستملاك سكانها الأصليين لغوياً، بعد أن تم استملاك الأرض وإزاحة السكان الأصليين وإبادتهم[1].

وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر، فإن الغزو العربي منذ أن وطأت سنابك خيل عياض بن غنم الفهري وعتبة بن فرقد السلمي كُردستان، في عهد عمر بن الخطاب، مازلنا نطلق عليه تسمية "الفتح" بعد مرور نحو ١٣٨٠ عاماً على الواقعة[2]. فلو استنطقنا نصوص التاريخ، لاستشفنا من خلالها ايديولوجية الغالب المضلِّلة والقائمة على الافتراء، وأدركنا آليات استعمار مناطقنا من قبل بدو الصحراء. إن نصر الغزاة لم يكن نتيجة لتفوقهم الحضاري على حضارة الشعوب المغلوبة، بل كان يكمن سر هذا النصر في فشل الشعوب المغلوبة في تنظيم طاقاتها، وتوحيد قدراتها في مواجهة الغزاة من جهة، ومن جهة أخرى يكمن في تلك الوعود التي تلقاها البدو للظفر بالجنة في الآخرة، وبالغنائم في الدنيا. وجدير ذكره هاهنا أن "كولومبس" ذاته استغل مرافقيه الذين كانوا معه على متن السفن المتجهة إلى غزو القارة الأمريكية، فحين غاب البر عن أبصارهم تماماً، أخذ الكثيرون يتحسرون ويبكون خوفاً من ألا يَروا البر مرة أخرى. لكن الأميرال أدخل السكينة إلى قلوبهم بوعود عظيمة للظفر بالأراضي والثروات، كي يعزز آمالهم ويبدد مخاوفهم ... وحين أعربوا عن الشكوى من الرحلة الطويلة، بذل كولومبس أقصى ما لديه من جهد لبث الشجاعة فيهم، مؤكداً على الأمل الكبير في المغانم التي سوف يحققونها[3]. وكتب يقول: أعتقد أن الفردوس هنا[4].

---

(1) راجع: مقدمة فريال جبوري غزول لكتاب تزفيتان تودوروف "فتح أمريكا/ مسألة الآخر"، ترجمة: بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة ١٩٩٢.

(2) على سبيل المثال لا الحصر، عنون د. فرست مرعي أحد كتبه بـ "الفتح الاسلامي لكردستان"، كما كتب د. أحمد ميرزا ميرزا بحثاً في مجلة كلية العلوم الاسلامية، العدد ٢/١٥ عام ٢٠١٤، تحت عنوان: "أشهر قادة فتح كردستان في العصر الاسلامي الأول". وما زاد الطين بلة أن مؤرخاً مثل ابن الأثير في كتابه: "الكامل، ج٣، ص١٦" يصف قتلى الغزاة لمدينة شهرزور الكُردية بالشهداء..! (راجع: محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكُرد وكُردستان، القسم الأول، ص١٩٧).

(3) تزفيتان تودوروف: فتح امريكا/ مسألة الآخر، ترجمة: بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة ١٩٩٢، ، ص١٥ "يوميات كولومبس ١٠/١٠/١٩٤٩".

(4) المصدر نفسه، ص٢٢.

لو عدنا مجدداً إلى موضوع "الفتوحات"، وتصفحنا كتب المؤرخين العرب والمسلمين، ستفصح عما كتبه سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب ـ كما يقول ابن خلدون ـ عقب احتلال ايران، يستأذنه في شأن الكتب ـ ومنها الأفستا ـ التي وقعت تحت أيديهم، والتي تمثل عصارة حضارة شعوب تلك المنطقة المتقدمة على حضارة الصحراء. فيردُّ عمر: اطرحوها في الماء، فان يكن فيها هدى، فقد هدانا الله بأهدى منها، وإن يكن ضلالاً فقد كفانا الله، فطرحوها في النار والماء. نستنتج مما سبق، أن الدعوة لم تكن هدفاً محضاً لتحرير الشعوب ذات الحضارات العريقة، ولم تكن وراء "الفتوحات" الرغبة الدينية المجردة، ولا الحاجة الروحية الخالصة هي التي سهلت انتشار الدين الجديد، فكل هذا الأمر لا يتسق تماماً مع الواقع التاريخي. إن انتشار الاسلام في آسيا وشمال افريقيا، تم بالحديد والنار، ولو امتلكنا الجرأة النقدية الكافية في قراءة الحدث، لتمكنا من القول بوضوح، إن الانتصار النهائي للاسلام رافقه عنف وقساوة وتدمير لثقافات عريقة[1].

فالاسطوانة المشروخة التي يُروّج لها ويُسَوِّقها البعض، في أن الكُرد الذين اجتاحت أراضيهم جيوش العرب، دخلوا الاسلام طوعاً جرّاء الخواء الروحي، والرأي الشائع لدى أوساط كردية من أن الكُرد قد اعتنقوا الاسلام بيسر، لا أساس له من أساسانيد في عالم المنطق. إن هذه المزاعم التي روّجها كتبة الغزاة باطلة، لأن كُردستان كانت تزخر بحياة روحية خصبة، فالكُرد لم يستكينوا للغزو إلا في فترة متأخرة، وما يعزز صحة هذا القول تلك الانتفاضات التي فجرها الكُرد منذ العهد (الراشدي)، مروراً بالعهدين الأموي والعباسي، ناهيك عن العهد العثماني. فالمناطق الجبلية الكُردية كانت معقلاً للثوار الكُرد، وموئلاً لكل الحركات المناهضة للسلطة تلك التي آزرها الكُرد، وعلى سبيل المثال: مناصرتهم للخوارج والحركة الخرمية وثورة الزنج وانتفاضة القرامطة الاسماعيليين..الخ.

لقد جاء الغزاة على حين غرة، لم يستدعهم أحد، فتصدى أهل البلاد للغزاة الغرباء بكل ما أوتوا من قوة، فجَرَتْ معارك دامية بين الجهتين، لكن كانت الغلبة للغزاة في النهاية. ثم بدأ هؤلاء الغزاة يستقرون في ديار الكُرد والأمم المغلوبة، وشيدوا فيها الدور، وصاروا ينظرون إلى المغلوبين نظرة دونية[2]،

---

(1) سربست نبي، المصدر السابق.

(2) الدكتور محسن محمد حسين: مجلة Jîn، العدد ٩ ديسمبر ٢٠١٧، السليمانية، ص٦.

وهذا ما دفع بالاستاذ الدكتور "**عبد الفتاح بوتاني**" أن يدلي بدلوه على هذا الصعيد، قائلاً: **"ما من شك في أن دخول الاسلام أرض كردستان لم يكن باليسر الذي وصفه عدد من المؤرخين المسلمين، كما أن العرب المسلمين لم يتمكنوا من استئصال الديانات الكردية القديمة، فقد حافظت بعض الجماعات الدينية الكردية على خصوصيتها الدينية، ومنها أتباع الديانة الإيزيدية. والكرد الذين دخلوا الاسلام، لم يشفع لهم اسلامهم، حيث أضطهدوا ومازالوا يُضطهدون على يد "أخوانهم" المسلمين الترك والفرس والعرب، الذين ينظرون إلى الكرد وكأنهم جسم غريب"**[1].

أجل، مَثَل الكُردي كَمَثَل النبي "يوسف"، الذي كانت محنته تكمن عما لاقاه على أيدي أخوته الذين ألقوه في البئر، ثم ادعوا أن الذئب أكله[2]، ثم بيع بثمن بخس في مصر، وانتهى به الأمر إلى السجن. لذا صدق من قال: "ما أشبهك أيها الكُردي بالنبي يوسف".

ولازال هناك من يسعى إلى تأويل تاريخ الكُرد وفق مقاسات الغزاة، ويردد قائلاً: (لم يستخدم المسلمون السلاح في نشر الإسلام إلاّ لمن وقف حجر عثرة أمام انتشار الإسلام، ودخول الناس فيه، خلافاً لما زعمه ويزعمه أعداء الإسلام من أن الإسلام انتشر بالسيف، والقهر، فلو كان الأمر كذلك لما انتشر الإسلام بتلك السرعة المذهلة، فقد دخلت مجتمعات بأكملها في الإسلام طواعية، وبكامل إرادتها لمجرد أن سمعوا عن سماحة الإسلام، وعدله، ورَحْمَتِهِ لجميع البشر، وحتى غير البشر)[3]،

---

(1) راجع تقديم ومراجعة ا. د. عبدالفتاح علي بوتاني لكتاب: دراسات ومباحث... ، د. ممو فرحان عثمان، المصدر السابق، ص٩.

(2) حتى ضرب به المثل الدارج: "كبراءة الذئب من دم يوسف".

(3) آزاد سعيد سمو: اليزيدية من خلال نصوصها "المقدسة"، المكتب الاسلامي ٢٠٠١، ص١٧. الكتاب في الأصل رسالة ماجستير، تقدم بها المؤلف (عضو في جماعة الأخوان المسلمين)، إلى كلية الامام الأوزاعي للدراسات الاسلامية في بيروت عام ١٩٩٩.

ملاحظة: إن الأدب الشفاهي الكُردي يُدحض بدوره مثل هذه المزاعم، فإحدى الملاحم الغنائية الكُردية تروي: "أن الدنيا لم تدُم لعيسى، ولا لمريم، ولا لنبي آخر الزمان، ولا لعمرالذي أدخل الناس في الاسلام بسيفه البتار". هذا المقطع يختزن حقيقة ما جرى في ردهات التاريخ ومنعطفاته، فرغم أن

ويزعم كاتب معاصر آخر أن الإسلام لم ينتشر في كُردستان بالإكراه، بل إنتشر بين الكُرد بإختيارهم، وليس بحد السيف أو الخوف[١]، ويمضي المذكور في تبريراته غير المنطقية، حين يدعي أن (الفاتحين) لم يعتدوا على الشعوب المغلوبة ولم يسلبوها حقوقها، وكانوا دعاة حق إلى الله تعالى مما دفع بالشعوب المغلوبة إلى محبتهم والتعاون معهم والسماح لهم بالاستقرار بأراضيهم وإقامة العلاقات الاجتماعية معهم[٢]. !

إن ما ينفي ويدحض هذا القول، عدد القتلى في معركة القادسية من الطرفين المتحاربين الذي بلغ (٦٠ ألفاً)، وفي موقعة نهاوند (٧٠ ألفاً)[٣]، ناهيك عما ورد في كتب معظم المؤرخين المسلمين بأن جيوش العرب المسلمين، قد غزت ديار الكُرد والفرس وغيرهم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وذلك حين سيَّرَ عياض بن غنم جيشاً للاستيلاء على ديار بكر وبدليس، فبدأ الكُرد يدخلون الإسلام عنوة تارة وصلحاً تارة أخرى، وعلى فترات؛ ولم تكن دوافع "الفاتحين" فرض العقيدة أو نشر الدين فقط، كما يحلو للبعض حصر ذلك، وإنما كان الغرض الرئيس للاجتياح هو الاستيلاء، وفرض السيطرة والحصول على المغانم بالدرجة الأولى[٤]. جاء في رسالة من ماركس إلى انجلز، يفصح فيها لصديقه كيف أضحت الحاجة الاقتصادية هي الحافز للاعتماد على الجند في شبه الجزيرة العربية القاحلة، لأن الجيش أصبح الوسيلة الوحيدة للاكتساب والرفاه والغنى لأبناء الصحراء الجرداء المقفرة، بعد أن ضعفت أهمية طرق القوافل التجارية المحاذية للبحر الأحمر[٥].

المقطع جاء من باب المدح لا الذم، إلا أنه يفضح الكثير من ساردي التاريخ، كاشفاً عن عوراتهم وتهافتهم لتجميل الأحداث التاريخية بأي ثمن.

(١) الدكتور أحمد ميرزا ميرزا: إنتشار الاسلام في كُردستان/ دراسة تاريخية تحليلية، اربيل ٢٠١٦، ص٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨.

(٣) راجع كتاب: حرية الاعتقاد الديني، تأليف: مجموعة من الكتاب، تصنيف وتقديم: محمد كامل الخطيب، الصادر عن رابطة العقلانيين العرب، دار بترا للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٥، ص٢٠٠.

(٤) الدكتور حسين قاسم العزيز: البابكية أو انتفاضة الشعب الأذربيجاني ضد الخلافة العباسية، مكتبة النهضة/ بغداد ودار الفارابي/ بيروت، ص٥٢.

(٥) أنظر: الرسائل المتبادلة بين كارل ماركس وفردريك انجلز، ٢ حزيران ١٨٥٣، موسكو ١٩٥٣، ص٧٣ـ ٧٤.

لقد كان العرب البداة ـ والحق يقال ـ يعانون من بؤس وفقر مدقع، وشحة في الماء والغذاء والكلأ في شبه جزيرتهم القاحلة، فكان الغزو هو الوسيلة الوحيدة للعيش. ويؤكد موريس لومبار أن حروب "الفتح" كانت من صنع البدو العرب، تحت زعامات قريشية، وجهت أنظار العرب إلى خارج شبه الجزيرة العربية، أي خارج الصحراء، وكان الحافز تلك الغنائم التي كان من المؤمل أن تقع بحوزتهم، فسرعان ما عمد مؤسسو الاسلام إلى استبدال مؤسسة الغزو بفكرة "الجهاد" في سبيل الله[1].

إن الغاية التي كانت ترمي إليها دعوة العرب إلى الاسلام لم تكن دينية محضة، بدليل ما جاء في سيرة ابن هشام وفي السيرة الحلبية ما خلاصته: لما مرض أبو طالب، أتاه الملأ من قريش وطلبوا منه أن يكلم محمداً في أن يتركهم وآلهتهم، فدعاه أبو طالب وكلمه في ذلك، فردَّ محمد: (أرأيتكم ان أعطيتكم ما سألتم هل تعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم؟)[2].

وبغية تحقيق هذه الغاية كانت هناك ثمة محفزات **معنوية** كالظفر بالجنة التي تنال بالأعمال الصالحة، وأفضل الأعمال الصالحة الشهادة. أما المحفزات **المادية** فتتلخص بالغنائم والجزية وسبايا الحروب، ورغم أنها من عادات العرب في الجاهلية، لكنها أقرت لأن المصلحة تقتضي ذلك. فهذه المحفزات المادية والمعنوية، كانت قوة دفع كبيرة لتوحيد العرب، واعدادهم لغزو جغرافية الجوار، لأن العرب في شبه جزيرتهم القاحلة كانوا يعانون من ضنك العيش، يضاف إلى ذلك أن هؤلاء البدو كانوا من أشد الناس بأساً وشجاعة وإقداماً[3].

ويكاد يتفق معظم مؤرخي الاسلام "ابن اسحاق، الطبري، ابن الأثير، ابن كثير، ابن خلدون..الخ" مثلاً، بأن الاستيلاء على الجزيرة ونصيبين وطور عبدين وآمد وبوتان، قد تم على يد عياض بن غنم الفهري، أما معاقل الكُرد الحصينة، فيكاد البلاذري ينفرد في تناولها، مشيراً وبوضوح كيف دخل إليها الإسلام عنوة[4]، أما

---

(1) نقلاً عن سربست نبي، المصدر السابق.

(2) سيرة ابن هشام: ٢/ ٤١٧، السيرة الحلبية: ١/ ٣٤٩ و٣٥٠. وورد في تاريخ الطبري ٤٧٩/٢ (أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم العرب ويملكون بها العجم).

(3) معروف الرصافي: كتاب الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس، منشورات الجمل، المانيا ٢٠٠٢، ص٢٢.

(4) ينظر بهذا الصدد: فرست مرعي، الفتح الاسلامي لكُردستان، ص٤٠.

عتبة بن فرقد السلمي ـ كما يذكر البلاذري ـ فقد توغل في كُردستان إبان خلافة عمر، ودخل شهرزور بعد قتال ضار، ثم توجه نحو كُردستان ايران، وقتل عدداً كبيراً من الكُرد، جرّاء المقاومة الباسلة[1].

أما الكُرد الإيزيديون، فقد عانوا الأمرين، مثلهم في ذلك كمثل الزردشتيين وغيرهم، جرّاء تشبثهم بهويتهم.

إن أردنا أن نضع النقاط على الحروف، كي نقدم صورة بلا رتوش، يتوجب علينا القول أن تنظيم "داعش"[2]، يعيد اليوم ذات السيناريو التاريخي، ويُقَدِّمُ صورة عما جرى في غابر الأزمان، فصور "سبايا سنجار"[3] التي بثتها الفضائيات، وبيعهن بثمن بخس في أسواق الشرق الأوسط لم تأتِ من فراغ، فالسبي يجرُّ عليهن ـ أي السبايا ـ خيراً عظيماً، وفق زعم الناطقين باسم التنظيم، لأن هذا السبي كفيلٌ بادخالهن الجنة، وانقاذهن من النار..!. ما من شك أن الدافع الغريزي والحصول على الغنائم والثروة، من أهم الأسباب التي دفعت الغزاة "الفاتحين" إلى الزحف على بلاد الآخرين، ففي كتابه "تاريخ الرسل والملوك" للطبري ما يكشف النقاب عن هذا السر، وذلك في السجال الذي جرى في نهاوند بين المغيرة بن شعبة وخصمه، حين يحاجج مغيرة خصمه:«والله ما أخطأتَ... إن كنا لأبعد الناس داراً، وأشد الناس جوعاً، وأشقى الناس شقاء، وأبعد الناس من كل خير، حتى بعث الله عز وجل إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم، فوعدنا بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة، فوالله مازلنا نتعرّف من ربنا منذ جاء رسوله الفتح والنصر، حتى أتيناكم؛ وإنا والله لانرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى نغلبكم على ما في أيديكم؛ أو نقتل بأرضكم».

أجل، حين يتم تحديد جغرافية الكفر، وتصنف بلاد ما بأنها دار الكفر، فإن الحديث عن أسلمتها بالحوار الحضاري، ومِنْ ثم دخولها الاسلام طوعاً أو سلماً، ليس سوى هُراء[4]، لأن السيف كان حينئذٍ هو سيد الأحكام، وبه تم إذلال الأمة المستهدفة وقهرها.

---

(1) نقلاً عن: فرست مرعي، المصدر نفسه، ص١٤٤. راجع: علي جزيري، الكُرد وكُردستان: كُردستان سوريا أنموذجاً، المصدر السابق، ص١٨٣ـ ١٨٤

(2) تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام.

(3) عليك عزيزي القارئ بقراءة رواية: سبايا سنجار، للكاتب الكُردي سليم بركات.

(4) دانا جلال: أسلمة الكُرد بحد السيف، بيروت، ٢٠١٧، ص٢٦.

فالاسطوانة المشروخة التي تروّج اليوم بين ثلة من المثقفين الكُرد، بأن أجدادهم قد دخلوا الاسلام طوعاً يخالف المنطق، وتدحضها الكتب التاريخية الاسلامية قبل غيرها، وقد أشار المؤرخون المنصفون إلى هذا الأمر وأفاضوا فيه.

إن ظاهرة الرِّق الناجمة عن الأسر أو الشراء، كانت لها مصدرين، الأول: ما سمي بـ"الفتح" والاستيلاء على بلاد الآخرين، والثاني: الغنى الفاحش والرفاه الناجمين عن نهب خيرات الشعوب التي أحتلت أراضيها، وبالرغم من أسلمة معظم هذه الشعوب التي إجتاح الغزاة أراضيها، سموا بـ "الموالي"، الذين كانوا يشعرون بالازدراء والذل رغم دخولهم الاسلام، بدليل القول الدارج: "لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة، حمار أو كلب أو مولى"، فاشتدت نقمة الموالي على الارستقراطية القبلية العربية في العهد الأموي، وهذا ما دفعهم إلى المقاومة[1].

فحدُّ السيف الصحراوي البتار كانت له الأسبقية على التبشير برسالة الاسلام، فحين امتنعت رأس العين على عياض بن غنم، فتحها عمير بن سعد، وهو والي عمر على الجزيرة، بعد أن قاوم أهلها مقاومة مستميتة، لكن دخلها المسلمون عنوة، ثم صالحوهم بعد ذلك، ووضعت الجزية على رؤوسهم، على كل رأس أربعة دنانير[2]، والثابت أن عميراً فتحها عنوة[3]. ويتفق جميع المؤرخين، ومنهم الطبري، اليعقوبي، خليفة بن خياط، ابن الأثير..الخ، أن الاستيلاء على سائر مدن الجزيرة قد تم على يد عياض بن غنم وقواده، في عهد عمر بن الخطاب، بما في ذلك سنجار، باستثناء ابن خلدون الذي يقول: استخلف على خراسان قيس بن الهيثم، فسار قيس بأرض طخارستان ودوخها، وامتنع عليه أهل سنجار فافتتحها عنوة[4]، رغم أن هناك من يدحض ما ذهب إليه ابن خلدون من الكتاب المعاصرين[5]، لكن في كل الأحوال قاوم السناجرة[6] الغزاة القادمين من مجاهل الصحراء بعناد قل نظيره.

---

(1) حسين قاسم العزيز: البابكية، المصدر السابق، ص٨٧.

(2) البلاذري، الامام أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت/ لبنان ١٩٨٧، ص٢٤٣.

(3) المصدر نفسه، ص٢٤٣.

(4) ابن خلدون: تاريخه، مجلد ٢ ق٥، ص١٠١٦.

(5) الدكتور حسن شميساني: مدينة سنجار/ من الفتح العربي الاسلامي حتى الفتح العثماني، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣، ص٤٦.

(6) نسبة إلى سنجار.

ويمضي البلاذري في القول: حدثني محمد عن الواقدي، عن عبدالرحمن بن مَسّلَمَة، عن فُرات بن سلمان، عن ثابت بن الحجاج، قال: فتح عياض الرقة وحَرّان والرّها ونصيبين وميَّافارقين وقرقيسيا، وقرى الفرات ومدائنها صلحاً، وأرضها عنوة. وحدثني محمد عن الواقدي، عن ثور بن يزيد، عن راشد بن سعد انَّ عياضاً افتتح الجزيرة ومدائنها صلحاً وأرضها عنوة[1]، وفتح نصيبين بعد قتال[2]. ويضيف البلاذري: وجه عياض بن غَنم، حبيب بن مَسْلَمَة الفهري إلى مَلَطيّة ففتحها، ثم أغلقت، فلما ولي معاوية الشام والجزيرة، وجه إليها حبيب بن مَسْلَمَة، ففتحها عنوة[3]. ولما انصرف عياض من خِلاط وصار إلى الجزيرة، بعث إلى سنجار، ففتحها صلحاً وأسكنها قوماً من العرب[4].

ويضيف البلاذري: قالوا، مكث المسلمون بالمدائن أياماً، ثم بلغهم انَّ يَزْدَجِرْد قد جمع جمعاً عظيماً، ووجهه إليهم، وانَّ الجمع بجلولاء، فسرَّح سعد بن أبي وقاص، هاشم بن عُتْبة بن أبي وقاص إليهم في اثني عشر ألفاً، فوجدوا الأعاجم قد تحصنوا وخندقوا، وجعلوا عيالهم وثقلهم بخانقين، وتعاهدوا أن لايفروا، وجعلوا الامداد يصلهم من حُلوان والجبال، فقال المسلمون ينبغي ان نعالجهم قبل ان يكثر امدادهم، فلقوهم ... وعلى رأس الأعاجم يومئذٍ خُرَّزاد أخو رستم، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله رمياً بالنبل وطعاناً بالرماح حتى تقصعت، وتجالدوا بالسيوف حتى انثنت، ثم انَّ المسلمين[5] حملوا حملة واحدة قلعوا بها الأعاجم[6] من موقفهم وهزموهم فولوا(في نسخة أخرى وولوا) هاربين، وركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً، حتى حال الظلام بينهم[7]، وأتى جرير بن عبدالله خانقين وبها بقية من

---

(1) البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص٢٤٠- ٢٤١.

(2) المصدر نفسه، ص٢٤٢.

(3) المصدر نفسه، ص٢٦١.

(4) المصدر نفسه، ص٢٤٤. إشارة واضحة في الوقت نفسه إلى قِدَم سياسات التعريب، أي أن التعريب كان أحد أهداف "الفتوحات" الرئيسية ..."علي جزيري".

(5) المقصود بالمسلمين هنا العرب.

(6) المقصود هنا بالأعاجم الكُرد والفرس.

(7) البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص٣٦٨- ٣٦٩.

الأعاجم فقتلهم[١]. ثم وجه المغيرة بن شُعبة، وهو عامل عمر بن الخطاب على الكوفة بعد عزل عمار بن ياسر، جرير بن عبدالله البَجَلي إلى همدان، وذلك في سنة ٢٣ للهجرة فقاتله أهلها[٢]، ولما ثار أهلها بعد ذلك، قاتلوهم وصالحوهم على أن يؤدوا خراج الأرض وجزية الرؤوس، ويعطوا مائة ألف درهم للمسلمين. ولما ولّى عمر بن الخطاب عتبة بن فرقد السُّلمي الموصل سنة ٢٠ للهجرة، قاتله أهل نينوى، فأخذ حصنها الشرقي عنوة، وعبّر دجلة فصالحه أهل الحصن الآخر على الجزية[٣]، وبالطريقة ذاتها فتح باعدرى ومعاقل الكُرد، بمن فيهم الكُرد الإيزيديين.

ويمضي البلاذري في القول: حدثني اسحاق بن سليمان الشهرزوري، قال: حدثنا أبي، عن محمد بن مروان عن الكلبي عن بعض آل عَزرة البحلي انَّ عَزرة بن قيس حاول فتح شهرزور، وهو والٍ على حُلوان في خلافة عمر، فلم يقدر عليها، فغزاها عتبة بن فرقد، ففتحها بعد قتال على مثل صلح حلوان[٤]، وحدثني أبو رجاء الحُلواني عن أبيه، عن مشايخ شهرزور، قالوا: شهرزور والصامغان ودراباد، من فتوح عتبة بن فرقد السلمي، فتحها وقاتل الأكراد فقتل منهم خلقاً[٥]. حتى مناطق عفرين وما حولها لم تسلم من الغزو، ففي عام ٦٣٧م دخل العرب قلعة النبي هوري تحت قيادة عياض بن غنم، وأجبروا سكانها على دفع الجزية، ورغم هذا مازال من يردد على مسامعنا ليل نهار "لا إكراه في الدين"[٦].

في ختام هذا المبحث، يجدر بنا الاشارة إلى سياسة التعريب الممنهجة التي بدأت مع حملات "الفتح" خلافاً للسيناريوهات التي تروج اليوم، بأنها بدأت مع تكوين الدولتين العراقية والسورية في التاريخ المعاصر، ومورست في العهد "الوطني" في كلتا الدولتين بحق الكُرد عامة، والكُرد الإيزيديين خاصة. فمثلاً في عهد البعث أجبر ايزيديو العراق ومسيحيوه تغيير قوميتهم إلى العربية في السجلات الرسمية إبان

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٦٣ـ ٤٦٤.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٦٦.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٦٧.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

احصاء ١٩٧٧ و١٩٨٧و١٩٩٧. وفي عهد الانفصال جرّد الكثير من الإيزيديين من حق المواطنة في سوريا، وصنفوا كأجانب أو مكتومي القيد، وأقيم في أراضيهم التي استولت عليها الدولة ما يسمى الحزام العربي والمستوطنات التي أسكنت فيها الحكومة العرب.

المبحث الثاني: وعاظ السلاطين

حين تنوي السلطة، أية سلطة، غزو منطقة ما أو بلد، تومئ إلى بعض وعاظ السلاطين من رجال الدين، باصدار فتوى تبرر هذا الغزو، وهذا ما أقدمت عليه وسلكته الدولتان العثمانية والصفوية بحق الكُرد عامة والكُرد الإيزيديين خاصة على مدى قرون، وصدرت فتاوى عدة، أبرزها لابن تيمية وأبي السعود العمادي[١].

وقد سبق لـ "لينين" أن نوه إلى حاجة الطبقات الحاكمة للحفاظ على هيمنتها إلى وظيفتين اجتماعيتين للتحكم بالمضطهَدين، هما: وظيفة الجلاد **الترهيبية** من خلال قمعهم، ووظيفة الكاهن **الترغيبية** عبر مواساتهم.

وفق هاتين الوظيفتين يحقق المضطهِدون استمرار سيطرتهم أو تأبيدها، وذلك بالحد من نهوض المضطهَدين وكبح إرادتهم وتصميمهم الثوري للانعتاق من ربق العبودية.

وفيما يتعلق بالوظيفة الأخيرة، أعني وظيفة الكاهن/ رجل الدين، هدفها الرئيس تخدير المظلومين، لتقبل واقعهم المزري، والتعلق بتعويض وهمي يدفعهم للتعويل على الآخرة لنيل مبتغاهم. إن بعض رجال الدين يسعون، بشتى السبل، كي يتشبث المظلومون بهذه الفكرة كعزاء وحيد، لكن يجب أن يتم تخليصهم بداية من إعتقادهم بأنهم مظلومون، يجب أن يقتنعوا أنها مشيئة الله[٢].

---

(١) أورد محمد بن أحمد أبو زهرة (١٨٩٨- ١٩٧٤) في كتاب له تحت عنوان: "ابن تيمية: حياته وعصره - آراؤه وفقهه"، طبع في القاهرة/ دار الفكر العربي، بأن ابن تيميه أصوله كردية. أما بخصوص أبي السعود بن محمد العمادي، فقد وصفته "دائرة المعارف الاسلامية" بأبي السعود الآمدي، وأشارت إلى أصوله الكُردية. والشيخان الآنفان على المذهب الحنفي .. أليست هي "عارنامه" ذاتها؟

(٢) ممدوح عدوان: حيونة الانسان، دمشق ٢٠٠٣، ص١٦٧.

١. أحمد بن تيمية وفقهاء الظلام الآخرون:

أورد شيخ الاسلام أحمد ابن تيمية في كتابه: "فقه الجهاد" أحكاماً، بحق النصيرية/ العلويين وأهل الذمة والإيزيديين، يشيب لهولها الولدان، وهي لا تختلف في شيء عما ورد في كتاب: "إدارة التوحش/ أخطر مرحلة ستمر بها الأمة"[١]، لأحد منظري تنظيم داعش، بدليل تلك الاشارات التي وردت في "إدارة التوحش"، والتي يثني فيها المُنَظّر المذكور على شيخ الاسلام ابن تيمية. وكي لا نُتّهَم بالمبالغة، نقتطف من كتاب "فقه الجهاد" وغيره من الكتابات مقاطع تقنع كل ذي بصيرة بما ذهبنا إليه:

أ ـ فكل من بلغته دعوة رسول الله (ص)، إلى دين الله الذي بعثه به فلم يستجب له؛ فإنه يجب قتاله (حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله ـ سورة الأنفال، الآية ٣٩)[٢].

ب ـ ما رواه سفيان الثوري، عن مسروق بن عبدالرحمن بن عتبة، قال: كتب عمر (ر) حين صالح نصارى الشام كتاباً، وشرط عليهم فيه أن لا يحدثوا في مدنهم ولا ما حولها ديراً، ولا صومعة، ولا كنيسة، ولا قلابة راهب، ولا يجددوا ما خرب، ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم، ولا يؤوا جاسوساً، ولا يكتموا من غَشَّ المسلمين، ولا يعلموا أولادهم القرآن، ولا يظهروا شركاً، ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الاسلام إن أرادوه وأن يوقروا المسلمين. وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس، ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم: من قلنسوة، ولا عمامة، ولا نعلين، ولا فرق شعر، ولا يتكنّوا بكناهم، ولا يركبوا سرجاً، ولا يتقلدوا سيفاً، ولا يتخذوا شيئاً من سلاحهم، ولا ينقشوا خواتمهم بالعربية، ولا يبيعوا الخمور، وأن يجزُّوا مقادم رؤوسهم، وأن يلزموا زيهم حيث ما كانوا، وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم، ولا يظهروا صليباً، ولا شيئاً من كتبهم في شيء من طريق المسلمين، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يضربوا بالناقوس إلا ضرباً خفيفاً، ولا يرفعوا أصواتهم بقراءتهم في كنائسهم في شيء في حضرة

---

(١) تأليف "أبو بكر ناجي" أحد أئمة داعش، والكتاب صادر عن مركز الدراسات والبحوث الاسلامية للتنظيم، بلا تاريخ ومكان الطبعة (نسخة الكترونية).

(٢) ابن تيمية: فقه الجهاد، تهذيب وتعليق الشيخ شفيق الكبي، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٢، ص٧١.

المسلمين، ولا يخرجوا شعانين، ولا يرفعوا مع موتاهم أصواتهم، ولا يظهروا النيران معهم، ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين. فإن خالفوا شيئاً مما اشترط عليهم فلا ذمة لهم، وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق. وأما ما يرويه بعض العامة عن النبي (ص) أنه قال: "من آذى ذمياً فقد آذاني". فهذا كذب على رسول الله (ص)، لم يروه أحد من أهل العلم[1].

ج ـ وهذه الشروط ذكرها أئمة العلماء من أهل المذاهب المتبوعة وغيرها في كتبهم، واعتمدوها: فقد ذكروا أن على الامام أن يلزم أهل الذمة بالتميز عن المسلمين في لباسهم، وشعورهم، وكناهم، وركوبهم، بأن يلبسوا أثواباً تخالف ثياب المسلمين: كالعسلي، والأزرق، والأصفر، والأدكن، ويشدوا الخرق في قلانسهم وعمائمهم، والزنانير فوق ثيابهم[2]. يقول أبو حنيفة: ينبغي أن لا يترك أحد من أهل الذمة يتشبه في لباسه ولا مركبه ولا في هيئته بالمسلمين.. وان لا يلبسوا طيالسة مثل طيالسة المسلمين ولا أردية مثل أردية المسلمين[3]. كما لخص الماوردي الشروط التي افترضها الفقهاء والحكام على أهل الذمة، على النحو التالي:

١ـ عدم تغيير هيئاتهم بلبس الغيار وشد الزنار.

٢ـ أن لا يعلوا على المسلمين في الأبنية.

٣ـ ألا يسمعوهم أصوات نواقيسهم ولا تلاوة كتبهم.

٤ـ ألا يجاهروهم بشرب الخمور ولا باظهار صلبانهم وخنازيرهم.

٥ـ أن يخفوا دفن موتاهم ولا يجهروا بندب عليهم.

٦ـ أن يمنعوا من ركوب الخيل عناقاً وهجاناً ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير[4].

د ـ كما جدد عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في خلافته، وبالغ في اتباع سنة عمر بن الخطاب (ر)[5].

---

(1) المصدر نفسه، ص ١٥٩ـ ١٦٠. ملاحظة: الحديث أخرجه السخاوي في المقاصد الحسنة وتكلم عليه، ص ٣٩٢ـ ٣٩٣.

(2) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

(3) نقلاً عن (أبو يوسف): الخراج، ١٣٤٦ هـ، ص١٥١.
والطبري: اختلاف الفقهاء، ص٢٤٠.

(4) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص١٤٥.

(5) ابن تيمية: فقه الجهاد، المصدر السابق، ص ١٦٠.

هـ ـ ولا نزاع في جواز هدم ما كان بأرض العنوة إذا فتحت[1].

و ـ قال النبي (ص): "لا يجتمع قبلتان بأرض"[2].

وما على القارئ إلا أن يتأمل ما أورده شيخ الاسلام في كتابه الآنف الذكر وغيره من الأئمة والفقهاء والمؤرخين، سيما أن ابن تيمية تناول موقف العُمَرَين "عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز"، وهما أعدل الناس في الاسلام !. أليست هذه الشروط شروطاً للعبودية عينها؟

زعم أحد المعاصرين قائلاً: بعد وفاة الشيخ عدي "آدي" عام ٥٥٧ هـ/ ١١٦١م، ظهر بين خلفائه في قيادة "الطائفة" بعض من أضلّها وأبعدها عن تعاليم الاسلام الصحيحة[3]، ويبدو أن مثل هذا الرأي منقول من رسالة مطولة لابن تيمية باسم (الوصية الكبرى)[4]، حيث جاء فيها:

"من أحمد بن تيمية إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين المنتسبين إلى السنة والجماعة؛ المنتمين إلى جماعة الشيخ العارف القدوة أبي البركات عدي بن مسافر الأموي ـ رحمه الله ـ ومن نحا نحوهم ... وجنبهم طريق أهل الضلال والاعوجاج؛ عما بعث الله به رسوله (ص) من الشرعة والمنهاج"[5]. ويمضي ابن تيمية مخاطباً الإيزيديين في سرد الموعظة في وصيته الكبرى قائلاً:

"وأنتم ـ أصلحكم الله ـ قد منَّ الله عليكم بالانتساب إلى الاسلام الذي هو دين الله ... والاسلام أعظم النعم وأجلها، فإن الله لايقبل من أحد ديناً سواه (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[6]. وعافاكم الله

---

(1) المصدر نفسه، ص ١٦٠. وأرض العنوة، هي التي دخلها المسلمون بقوة السلاح.

(2) المصدر نفسه، ص١٦٠، روي بألفاظ متعددة، أنظر: أبو داود في الامارة ٢٨، والترمذي في الزكاة ١١، وأحمد ٢٢٣/١، ٢٨٥.

(3) حسن شميساني، مدينة سنجار، المصدر السابق، ص٢٦٦.

(4) والرسالة المطولة هذه، هي في الحقيقة عبارة عن كتاب يضمه الجزء الثالث من المجلد الأول، وهي مجموعة الرسائل الكبرى تحتوي مجموع فتاوى شيخ الاسلام، طبع في السعودية.

(5) ابن تيمية: الوصية الكبرى، رسالة شيخ الاسلام ابن تيمية إلى أتباع عدي بن مسافر الأموي، قدم لها وعلق عليها وخرج أحاديثها محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، الطائف، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٧، ص٣٧.

(6) آل عمران: ٨٥.

بانتسابكم إلى السنة من أكثر البدع المضلة، مثل كثير من بدع الروافض والجهمية والخوارج والقدرية[1]. والشيخ "عدي" قدس الله روحه، كان من أفاضل عباد الله الصالحين وأكابر المشايخ المتبعين، وله من الأحوال الزكية والمناقب العلية ما يعرفه أهل المعرفة بذلك. وله في الأمة صيت مشهور ولسان صدق مذكور، وعقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن عقيدة مَنْ تقدمه مِنَ المشايخ [2]. وأنتم تعلمون ـ أصلحكم الله ـ أن "السُّنة" التي يجب اتباعها، ويحمد أهلها ويُذَمُّ مَنْ خالفها، هي سُّنة رسول الله (ص)، في أمور الاعتقادات، وأمور العبادات، وسائر أمور الديانات[3]. فكل من غلا في حي؛ أو في رجل صالح مثل علي (ر) أو "عدي" أو نحوه؛ أو في مَنْ يعتقد فيه الصلاح؛ كالحلاج أو الحاكم الذي كان بمصر، أو يونس القنيّي ونحوهم، وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل أن يقول: كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده، أو يقول إذا ذبح شاة: باسم سيدي، أو يعبده بالسجود له أو لغيره، أو يدعوه من دون الله تعالى ... فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قُتِلَ[4]. ونهى ـ أي النبي محمد ـ عن الحلف بغير الله، فقال: (مَنْ كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)"[5].

ويضيف ابن تيمية: "وفي زمن الشيخ حسن زادوا أشياء باطلة نظماً ونثراً، وغلواً في الشيخ عدي وفي يزيد بأشياء مخالفة لما كان عليه الشيخ عدي الكبير ـ قدس الله روحه ـ فإن طريقته كانت سليمة، لم يكن فيها من هذه البدع"[6].

يُستنتج من وصايا أمثال ابن تيمية وفتاوى الفقهاء وترهات المؤرخين القدماء والمعاصرين ما يلي:

أولاً ـ الإيزيدية كانت نحلة من نحل الاسلام ـ حسب زعمهم ـ حتى عهد "عدي"، ثم انحرفت في عهد الشيخ حسن. وفي الوقت ذاته فالوصية تضمر تهديداً لأتباعها،

---

(1) ابن تيمية، الوصية الكبرى، المصدر السابق، ص٥٦.

(2) المصدر نفسه، ص٥٨.

(3) المصدر نفسه، ص٦٠.

(4) المصدر نفسه، ص٨٤ ـ ٨٥.

(5) المصدر نفسه، ص٨٧ ـ ٨٨.

(6) المصدر نفسه، ص١٠٦.

رغم نبرة الخطاب التي جاءت على شكل الموعظة الحسنة. وهنا يجب ألا ننسى أن هذه النصوص التاريخية الموروثة غير بريئة فيما لو قرأناها في سياقها التاريخي، فهي حُبلى بالايديولوجيات السائدة يومذاك، من هذا المنطلق يتوجب علينا أن نكون حذرين أثناء تناولها، وإعادة قراءتها قراءة نقدية مجدداً.

ثانياً ـ الادّعاء أو الزعم بأن الإيزيديين من الأرومة العربية، وهذا يناقض الحقيقة كما أسلفنا من ذي قبل، فحتى خصائصهم السلالية تختلف مما لدى العرب.

سبق لـ "هنري فيلد" أن توصل في دراسته الميدانية التي أجراها لإيزيديي سنجار، فيما يتعلق بالأوصاف الجسدية/ المورفولوجية (الخصائص السلالية)، إلى النتائج التالية:

البشرة: الغلبة للبياض، وهم أكثر بياضاً من جيرانهم الشمّر.

الشعر: بني غامق أو أسود، ونسبة أقل تميل إلى البني الفاتح أو البني الضارب إلى الحمرة، وهو خفيف التموج.

العين: ٦٣.٢٦٪ بني غامق، والنسبة الباقية متعدد الألوان، والنسبة الزرقاء قليلة.

الأنف: ٥٨.٥٩٪ محدب و٢٥٪ مستقيم.

أما "كيندي ومافرلين"، فتوصلا في دراستهما لعينة مكونة من ١٢ شخصاً إلى النتائج التالية بالنسبة إلى الزمر الدموية:

٦ زمرتهم = o و٥ زمرتهم = A و١ زمرته = A, B

أما تصنيف "كيث" لطول القامة فكان على النحو التالي:

٥٥,٢٨٪ منهم متوسطو القامة (بين ١٦٠ـ ١٧٠ سم).

٣٣٪ منهم طويلو القامة (بين ١٧٠ـ ١٨٠ سم).

٢,٤٤٪ منهم عمالقة (فوق ١٨٠ سم).

١٣,٠١٪ منهم قصيرو القامة (دون ١٦٠ سم).

استنتج "هنري فيلد" من خلال الحقائق السالفة الذكر، تطابق النتائج مع ما توصل إليه في كل من زاخو وروانذوز وكركوك والسليمانية، هذا من جهة ومن جهة أخرى، إن ما يمتاز به إيزيديو شنكَال من خصائص سلالية تختلف ـ بشهادة هنري فيلد ـ عن تلك الخصائص التي يتصف بها جيرانهم العرب، وهذه النتيجة العلمية

تفند تلك الادعاءات التي يروجها الشوفينيون بزعمهم أن الإيزيديين ينحدرون من الأرومة العربية[1]. إن انصهار الأقوام (أسلاف الكرد) في بوتقة واحدة منذ ماقبل الميلاد، أعني تلك التي انصهرت في مرجل جبال زاغروس، قد أضفت عليهم تلك الخصائص المتشابهة، أما ما يتعلق بالاختلافات الطفيفة، بين منطقة وأخرى، فتعود بنظري إلى عوامل عدة، منها:

١ـ العوامل الوراثية.

٢ـ التضاريس (بيئة جبلية أو سهلية).

٣ـ العوامل المناخية.

٤ـ التمازج بين الكُرد والأمم الأخرى، جراء الغزوات والهجرات والتزاوج.

حريٌ بنا التنويه بأننا لسنا من دعاة نظرية الدماء النقية، فلا توجد أمة تستطيع أن تزعم بأن دماءها زرقاء، سوى دعاة النقاء العرقي.

وما يدعو إلى الأسف أن معظم المؤرخين العرب والمسلمين ساروا على نهج ابن تيمية وأمثاله، مما دفع الأمر بـ "علي الوردي" إلى القول: (الواقع أن الوعاظ والطغاة من نوع واحد، هؤلاء يظلمون الناس بأعمالهم، وأولئك يظلمونهم بأقوالهم)[2].

ومن الفتاوي الأخرى التي اعتبرت أن الإيزيديين طائفة مرتدة عن الاسلام، مما يستوجب تكفيرهم وتأديبهم، تلك الفتوى التي أصدرها "أبو السعود العمادي"[3]، الذي تولى منصب إفتاء دار الخلافة، وشغل هذا المنصب الخطير في الدولة العثمانية مدة ثلاثين سنة، وأصدر فتواه بأمر من السلطان سليمان القانوني، واصفاً دارهم بدار حرب، مما يستوجب ذلك شن الحرب عليهم، وأباح فيها قتلهم وبيعهم في الأسواق شرعاً، ما لم يرجعوا إلى الاسلام[4].

---

(١) علي جزيري: جدل الهوية الكُردية والمواطنة المتعثرة/ دراسة من منظور سوسيولوجي معاصر، من مطبوعات الأكاديمية الكردية، مطبعة جامعة صلاح الدين/ اربيل ٢٠١٧، ص٩٢ـ ٩٣.

(٢) الدكتور علي الوردي: وعاظ السلاطين، دار كوفان، لندن ١٩٩٥، ص٤٨.

(٣) أحمد بن مصطفى (١٤٩١ـ ١٥٧٥) م.

(٤) سعيد الديوه جي: اليزيدية، بيروت ـ عمان ٢٠٠٣، ص٢١٢.

وكذلك الملا عبدالرحمن الجلي بن ملا عبدالله، المعروف بـ: كاكي جلي، الذي صنف الداسنية (الإيزيدية) في خانة الكفار، قائلاً: الداسنية كفار أصلية[1]، أي أنهم غير مرتدين بل كفار بالأساس أو في المنبت.

ورغم بعض النزاعات التي كانت تعكر صفو العلاقات بين امارتي الشيخان وبادينان، مثل مقتل أمير الأولى على يد أمير الثانية في العمادية، لكن علاقات التحالف بينهما استمرت حتى سقوط امارة بادينان عام ١٨٤٣، التي كانت تسعى لحماية الإيزيديين من المزوريين، الذين رأوا في قتال الإيزيدية واجباً دينياً، بدليل أن شيوخهم أصدروا بدورهم فتاوى لإهدار دماء وأموال الإيزيديين، ومنهم: الشيخ عبدالله الربتكي، والشيخ حسين الشيفكي[2].

وهكذا نجد أن القرائن التاريخية تشير إلى أن الإيزيدية ليست نحلة منشقة عن الاسلام، بل كانت سابقة على الديانات السامية الكبرى (الاسلام، المسيحية واليهودية)، وهي ذات جذور شمسانية كما سبق ذكره. كما تدحض قرائن الإثنولوجيا التطبيقية المزاعم التي نسبت الإيزيديين للعرب أو لغيرهم.

٢. أحمد تيمور باشا:

رغم أنه من أصل كُردي، لكنه أحد أكثر المتشددين بحق الإيزيديين، فقد زعم أنهم يدينون بعبادة الشيطان[3]، وأنهم نحلة من الاسلام ثم ما لبثت أن انحرفت عنه في عهد الشيخ حسن، ويبدو هاهنا إجتراره لمزاعم ابن تيمية واضحاً للعيان. ويمضي المذكور في الاعتكاز على كتاب حسن التصرُّف لعلاء الدين القونويِّ، شرح التعرف لمذهب أهل التصوُّف للكلاباذيِّ، حيث نقل عنه مايلي: (هذه كلمات في بيان مذهب الطائفة اليزيدية وحُكمهم وحُكم الأموال الكائنة بأيديهم، اعلم أنهم متفقون على أباطيل من اعتقادهم، وعقائد وأقاويل كلها مما يوجب الكفر والضلال)[4].

---

(١) راجع: حسين حسن كريم (تحقيق ودراسة)، مجلة jÎn، العدد ٩، السليمانية ٢٠١٧، ص٤٢.

(٢) الدكتور أحمد سينو: الأكراد الإيزيديون في العهد العثماني، المصدر السابق، ص١٤٠.

(٣) أحمد تيمور باشا: اليزيدية ومنشأ نحلتهم، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر/ القاهرة، ص٩. بينما هناك من يقول: إن الادعاء بأنهم من عبدة الشيطان باطل، إذ لا يوجد برهان يثبت هذا الزعم (راجع ماكدوال، ديفيد: الكورد/ شعب أنكر عليه وجوده، ترجمة عبدالسلام النقشبندي، دار اراس/ اربيل ٢٠١٢، ص٣١).

(٤) المصدر نفسه، ص١٢.

كما جاء في الكتاب المذكور:(أنهم يحلُّن الزنا إذا جرى بالتراضي)[1]، و(يمكِّنون شيوخهم من زوجاتهم ومحارمهم، ويستحلُّون ذلك ويعتقدونه)[2].

ويمضي أحمد تيمور باشا قُدُمَاً في استقباح أقوال الإيزيديين وأفعالهم، وينسبهم إلى يزيد بن معاوية، ويردد الدوري نفس النغمة، حين يقول: الرأي الراجح هو نسبة اليزيدية إلى الخليفة يزيد بن معاوية الأموي[3]، أما صاحب "الملل والنِّحل" فنسبهم إلى يزيد بن أبي أنيْسة الخارجي. ويعتقد الباشا أن الإيزيدية التي كانت تُدعى بالطريقة العدوية، لم تكن سوى "طائفة" من الصوفية، سارت في طريق الغلو حتى خرجت عن الاسلام[4]، بدليل أن ابن تيمية وابن خلكان يوصفان عدي بن مسافر بالعبد الصالح المشهور، الذي سار ذكره في الآفاق، وتبعه خلق كثير.

٣. روجيه ليسكو:

يؤكد ليسكو في كتابه: (اليزيدية في سورية وجبل سنجار)[5]، بأن الإيزيديين كُردٌ أقحاح، في أصولهم ولغتهم[6]، لكنه يذهب مذهب الكثيرين من الكتاب في القول، بأن الإيزيدية ليست سوى "بدعة" اسلامية، تحولت شيئاً فشيئاً إلى دين جديد[7].

ويبدو أن ليسكو انساق وراء تلك الوثيقة التي أراها له جميل آغا، رئيس ايزيدية جبل سمعان في الجزء الكُردستاني الملحق بسوريا، والوثيقة تدعم الفرضية التي تزعم الأصول الاسلامية للايزيدية، فيقول: من المؤكد أن الإيزيديين، حتى بداية القرن السادس عشر احتفظوا بذكرى أصولهم. ولدى جميل آغا، زعيم التجمع اليزيدي في سوريا وثيقة مخطوطة، كتبها سنة ٩٢١ هـ/ ١٥١٥ـ ١٥١٦م أحد أفراد

---

(١) المصدر نفسه، ص١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣.

(٣) سامي ندا جاسم الدوري: اليزيديون، أصلهم ومعتقداتهم، المصدر السابق، ص٢٣.

(٤) أحمد تيمور باشا، المصدر السابق، ص٤٥.

(٥) وهو بحث كتبه ليسكو عام ١٩٣٦، بعد أن أتاحت له رحلة قام بها في نيسان من تلك السنة إلى الجزيرة السورية العليا في التعرف على ايزيدييها والاتصال مع ايزيديي جبل سنجار، واقامة لمدة ثلاثة أسابيع في شهر كانون الثاني في اعزاز، أتاحت له الفرصة للتعرف على ايزيديي جبل سمعان.

(٦) روجيه ليسكو، المصدر السابق، ص٥.

(٧) المصدر نفسه، ص٣٧.

قبيلة الدنبلية. وهي تبدأ بذكر العديد من الآيات القرآنية، وتحتوي سلسلة نسب الشيخ عدي، وكذلك قائمة بأسماء مريديه. تثبت هذه الوثيقة أن أتباع الطائفة كانوا في هذا العصر على وعي بانتمائهم إلى المجتمع الاسلامي. ولا شك أن الاضطهادات المتكررة التي عاناها "اليزيديون" لاحقاً أتمت فصلهم وابعادهم عن الاسلام[1].

٤. جيجو والأقنعة التنكرية:

أما أمين فرحان جيجو[2] فيسعى بشتى السبل لاختلاق هوية جديدة للمكون الإيزيدي، وتصنيفهم كأحفاد السومريين والبابليين وورثة حضارتيهما، واعتبارهم شعباً، واعتبار الإيزيدية قومية مستقلة لها مقوماتها الخاصة من جهة، وديانة بابلية صرفة من جهة أخرى[3]. وقد اعتكز فيما ذهب إليه على مسألة "عبادة الشمس" في تصنيف الإيزيدية كديانة بابلية متجاهلاً أن عبادة الشمس لم تنتقل إلى الإيزيدية عن طريق الديانة البابلية، بل انتقلت إليها من الديانات الإيرانية (المثراية تحديداً)[4]. ويمضي جيجو في ابراز هذه الهوية الجديدة ـ المُختلقة ـ رداً على الذين يُدْرِجون الإيزيدية تحت يافطة قوميات أخرى غير القومية "الإيزيدية"[5]، ويسعون لمحو "اللغة الإيزيدية" من الوجود وإحلال لغة أخرى محلها[6]. ويمضي في مجازفاته قائلاً: "الشعب الإيزيدي" ينطبق عليه مصطلح الاثنو ـ ديني، وهذا المصطلح يومئ به للقارئ بأن الديانة والقومية متحدتان، لا يجوز تفريقهما عن بعضهما، وفي حال فقدان أي من هذين المقومين سيزول المصطلح الاثنو ـ ديني عن "الشعب الأزيدي" وفق

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٢ـ ٤٣.

(٢) مؤسس ورئيس "الحركة الإيزيدية من أجل الاصلاح والتقدم"، تلك التي سبق لها أن فازت بمقعد احتله المذكور، في انتخابات مجلس النواب العراقي في ٢٠٠٥/١٢/١٥.

(٣) أمين فرحان جيجو: القومية الإيزيدية: جذورها، مقوماتها، معاناتها، بغداد ٢٠١٠، ص١٠٠.

(٤) ممو فرحان عثمان، دراسات ومباحث في فلسفة ...، المصدر السابق، ص١٦٢.

(٥) أمين فرحان جيجو: المصدر السابق، ص ١٣. ويشير الكاتب إلى الكُرد بشكل مضمر، في الوقت الذي يُدرج هو بنفسه هذا المكون الكُردي الأصيل تحت يافطة البابليين، بدليل قوله: الأجداد متمثلين بسومر وبابل، والأحفاد متمثلين بالشعب "الإيزيدي"، كما ورد في كتابه المذكور ص٢٠.

(٦) المصدر نفسه، ص١٥٤.

زعمه، وبهذا الشكل يضع المقومين (الدين والقومية) في بوتقة واحدة، أعني "القومية الإيزيدية" و"الديانة الإيزيدية"... وفي حال غياب أحد هذين المقومين، فان الهوية الإيزيدية ستزول عن الفرد الإيزيدي[1]. وينتهي إلى نتيجة مزعومة يلخصها في عبارة غير منطقية: مجرد كون الديانة الإيزيدية ديانة غير تبشيرية، فانها تعتبر قومية بذاتها !.

ومن المضحك أن جيجو يُورد بعض الأسماء الدارجة لدى الإيزيديين اليوم، تلك التي ورثوها عن أجدادهم السومريين والبابليين على حدٍّ زعمه، فيقول: إن توارث الأسماء السومرية والبابلية عند "الأزيديين" عملية طبيعية تقوم على أساس تخليد الارث والتواصل عبر الأجيال المتعاقبة ما بين الشعب الواحد ... مازالت الأسماء السومرية والبابلية تتواتر، ومنها: حمو (نسبة إلى حمو رابي)، وشمو (اسم بابلي ويعني العشب والنبات)، وسمو (يعني في البابلية الحمام)، وميران (شبل الأسد)، وشيخو (عالي أو طويل في البابلية)، وخيرو (الزوج أو الخطيب)، ودينو(اسم بابلي ومعناه القوة)..الخ. ويختتم جيجو قوله: هذا التوارث من الأجداد السومريين والبابليين إلى الأحفاد "الأزيديين" تأكيد وإدراك على أن الوعي القومي عند الأيزيديين يتجدد[2].

وقد سبق لي أن تناولت هذا الموضوع في كتابي "جدل الهوية الكُردية والمواطنة المتعثرة"، ومما جاء فيه: ولادة شخصية الفرد الكُردية تشترط بداية ابراز "ذات" المولود الجديد، من خلال تسميته باسم محدد خاص به، كمكون من المكونات الرئيسة للشخصية في نظر علماء النفس، وهو ـ أعني الاسم ـ وفق وصف علي حرب، عنوان الشخصية[3]، وتناولت الأسماء المُحَوَّرة، مثل: محمد (حمو Hemo)، رمضان (رمى Remê أو رمو Remo)، وهي عادة شائعة في تحوير الأسماء إما من باب التحبب أو من باب التصغير والتحقير[4]، وربما من باب الاختصار. من

---

(1) المصدر نفسه، ص١٣٩.

(2) المصدر نفسه، ص٥٢.

(3) علي جزيري، جدل الهوية الكُردية والمواطنة المتعثرة، المصدر السابق، ص٤٩.

(4) المصدر نفسه، ص٥٥.

هنا فالأسماء التي أحالها جيجو إلى البابلية، مثل: حمو وشمو وسمو وميران وشيخو وخيرو ودينو..الخ، لايوجد أساس علمي لهذا التنسيب الذي اختلقه، وقد يعني أي اسم منها معنى معيناً في لغة أخرى، لكن هذا لا يعني أنها بابلية، فـ: حمو أو محو مُحَوَّرة عن محمد كما سبق ذكره، وشمو عن شمس الدين، وسمو أو سمكو عن اسماعيل، وميران عن عشيرة تزعمت الكوجر، وشيخو عن شيخموس، وخيرو عن خيرالدين (للذكر) أو عن خيرية (للأنثى)، ودينو عن ضياء الدين أو أنها صفة للانسان المجنون، كما نلاحظ أن أغلب هذه الأسماء عربية جرّاء الثقافة الغالبة أو السائدة منذ مئات السنين.

ويمضي جيجو في حبك هذا السيناريو المثير للسخرية إلى الحد الذي يدّعي فيه بأن "نبوخذ نصر" إيزيدي..! وأن الأمثال البابلية يتجدد حضورها اليوم ـ وفق زعمه ـ في أوساط "الشعب الإيزيدي"، ويسوق المثل الدارج: الناس أعداء القبج/ الحَجَل، والقبج عدو نفسه[1]. والواقع أن الكُردي المقهور، بما في ذلك الإيزيدي، ما هو سوى ضحية ضاعت هويتها جرّاء السياسات المُنتهجة منذ قرون، وتبحث عن هوية بديلة، فيجد الحل في محاكاة الآخر في كل شيء حتى في سلوكه، وطراز معيشته، ولغته، واسمه، وزيّه، من خلال ارتداء الأقنعة. هذا التماهي بالآخر من الأعراض السيكولوجية للإنسان المقهور بدون مواربة[2]، والظاهر أن الكاتب جيجو تظهر عليه

([1]) أمين فرحان جيجو: المصدر السابق، ص١٧٥. يتداول الكُرد حكاية الحجل، أو حكاية هذا المثل على النحو التالي: "يُروى أن الأمير بدرخان، أمير بوتان، قد ألفى ذات يوم أحد أولاده الصغار شديد الولع بحجلٍ، فسأله عن سرّ هذا الاهتمام، فردّ: يا أبتاه، سآخذه إلى الجبل، وسأنصبُ حوله الشباك، وحين يبدأ بالهديل/ القبقبة، سيأتيه الحجل من كل حدب وصوب، حينئذٍ ستغدو كلها أسيرة مصيدتي، فما كان من بدرخان ـ بعد أن سمع ما سمع ـ إلا أن يتقدم نحو القفص، ويجزَّ رأس الحجل، دون أن يكترث بعويل الطفل. ويبدو أن الأمير بدرخان كان مدفوعاً لحظتها بالوجع الذي تسببه يَزْدين شير، أحد أفراد العائلة البدرخانية، حين طعنه من الخلف بتحالفه مع السلطات العثمانية، مما أضحت الامارة البدرخانية لقمة سائغة في يد العثمانيين.

ويُحكى أيضاً، كيف خان القائد الميدي هارباك ملكه الميدي استياغ، الذي كان يتولى عرش المملكة، لما تحالف سراً مع كورش الفارسي، مما حدا ببعضهم إلى التساؤل: أما زال بيننا مَنْ يمثل دور الحجل؟ (راجع: علي جزيري، الكُرد وكُردستان، كُردستان سوريا أنموذجاً، المصدر السابق، ص٢٦٠).

([2]) علي جزيري، جدل الهوية الكُردية والمواطنة المتعثرة، المصدر السابق، ص٦٥.

أعراض سيكولوجية الانسان المقهور هذه جلية للعيان. سبق أن أفصح فرانز فانون في كتابه "جلد أسود، أقنعة بيضاء" عن الأسباب التي تدفع الزنوج مثلاً إلى التماهي بالبيض، عبر خلع هويتهم والتقرب منهم، بعد أن عمقت فيهم سياسة التمييز العنصري احساساً خاطئاً عن لون البشرة السوداء، مما تولّدت لديهم عقدة اللون الأسود والشعر الأجعد والشفاه الغليظة..الخ، وتكون لديهم وهمٌ مفاده أن الأسود شر مطلق، وقبح وغباء وتخلف، من هنا ترى الزنجي يشعر بالخجل من لونه، فيتقرب من البيض ويحاول الزواج منهم ويُقدِم على صبغ شعره وكيّه للقضاء على تجعده، لكن: ليس ذلك سوى أقنعة لا تخدع أحداً سوى لابسها[1].

التماهي بالآخر أو القامع، هو أحد أهم عقبات التحرر، فهو يُنمّي في المقموع وَهْمَ التحرر من خلال التنكر للذات. وتتفشى هذه الظاهرة المرضية عادة في المراحل التي يشعر فيها المقهور بالعجز عن إحداث التغيير في علاقة القهر. إن التماهي بالآخر ـ كأحد سلوكيات الانسان المقهور ـ يعني بداية الهروب من الذات ومن الجماعة والتنكر للانتماء لها: من خلال التشبه بالمتسلط وتمثل عدوانيته وطغيانه ونمط حياته وقيمه المعيشية. إنه استلاب الانسان المقهور الذي يهرب من عالمه، كي يذوب في عالم المتسلط ونظامه، أملاً في الخلاص[2].

كما أن بعض المسيحيين الذين يعيشون في جوار الإيزيديين، يرجعون بدورهم أصل الإيزيديين إلى النصرانية، ويعللون رأيهم على النحو التالي: مقام الشيخ عدي أو آدي كان ديراً للرهبان النساطرة، وقد تأثر عدد من الكتاب ـ بينهم كتاب إيزيديون ـ بما أورده جورج حبيب في كتاب له عن الإيزيدية، حاول فيه ايجاد صلة بين الديانتين الإيزيدية والمسيحية، وهذا شبيه بتصرف عدد من الكتاب المسلمين الذين يسعون بدورهم إظهار الإيزيدية على أنها فرقة اسلامية منشقة[3].

---

(1) الدكتور مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي/ مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور، المركز الثقافي العربي، ط٩ بيروت ـ الدار البيضاء ٢٠٠٥، ص١٣٤. راجع: علي جزيري، جدل الهوية الكُردية والمواطنة المتعثرة، ص٦٦.

(2) مصطفى حجازي، المصدر نفسه، ط٦، ص١٢٧.

(3) راجع تقديم ا. د. عبد الفتاح بوتاني لكتاب ممو فرحان: دراسات ومباحث في فلسفة وماهية الديانة الإيزيدية، المصدر السابق، ص١٢. راجع أيضاً مقالة ا. د. عبدالفتاح بوتاني المنشورة في العدد ١٢ من مجلة لالش.

بينما نجد على الجانب الآخر أمثال مارك سايكس وقسطنطين زريق، أنصفا الإيزيديين على هذا الصعيد، وأكدا الجذور الكُردية للإيزيدية، ليس من خلال لغتهم الكُردية وكتبهم المقدسة وعباداتهم التي تؤدى بالكُردية فحسب، بل من خلال سماتهم وخصائصهم السلالية أيضاً، فضلاً عن مناطق تواجدهم منذ القدم في كُردستان، ناهيك عن ما جاء في "مفصل جغرافية العراق" للهاشمي، أن الإيزيدية جزء من الشعب الكُردي[1].

٥. الأب أنستاس الكرملي البغدادي:

نشر مقالة عن الإيزيدية في مجلة المشرق عام ١٨٩٩، بارك فيها جرائم القتل التي ارتكبتها القوات العثمانية ضد الإيزيديين، وبرر في الوقت نفسه ما ارتكبه المسلمون في حقهم[2].

ومضى الكرملي في التشويش على عدي بن مسافر وتشويه صورته أمام الملأ باسمه المستعار "كلدة" في مجلة المقتطف تحت عنوان: (القول الفصل في أصل اليزيدية)، وذلك بسرد حكاية ملفقة ومدسوسة[3]، إرتأينا أن نغض الطرف عنها لطولها وعدم موضوعيتها، لأنها تدل على تعصب الكرملي الواضح لدينه المسيحي ومذهبه الكلداني.

---

(١) طه الهاشمي: مفصل جغرافية العراق، بغداد ١٩٣٠، ص١٠٩.

(٢) نقلاً عن جمال رشيد أحمد، ظهور الكرد في التاريخ، ج٢، المصدر السابق، ص٨٠٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٨١٦ و ٨٧٤ ـ ٨٧٦.

الفصل الثاني

المبحث الأول: كتبهم، طبقاتهم، أعيادهم، اماراتهم، طقوسهم

١. كتبهم المقدسة:

يجدر الذكر أن الكثير من الإيزيديين أنفسهم، ناهيك عن العديد من المؤرخين والباحثين، يشككون في صحة الكتابين (المصحف الأسود وجلوة)، ويعتقدون أن الكتابين قد ضاعا في لجة الابادات التي جرت بحق الإيزيديين، أما ما نُشر مؤخراً من قبل مستشرقين، فلا نظن أنهما النسختان الأصليتان، وحتى ما وصلنا من النسختين المتداولتين للكتابين السالفين، لم يخلُ من تحوير وتحريف، بدليل أن النسختين لم تنالا إجماع المرجع الديني الإيزيدي نفسه[١]، فضياع النسختين الأصليتين من هذين الكتابين، كان بسبب النكبات التي تعرض لها الإيزيديون عبر التاريخ، والضغوط المباشرة من الأوقيانوس الاسلامي المحيط بهم، أما مسألة التحوير والتحريف...الخ، فيعتقد أنها جرت بحكم الطبيعة الشفاهية لهذه المأثورات الدينية، التي تعرضت للتشويه أثناء انتقالها من راوٍ لآخر، أو من جيل لجيل، وهذه القضية يكتنفها قدر كبير من الغموض، كسائر جوانب هذا الدين.

١ـ كتاب (المصحف الأسود): عدد كلماته نحو ٧٥٠ كلمة، ويتألف من سبعة فصول. مضمونه تعريف بالمعتقدات الإيزيدية، ويدور حول بداية الخلق بما في ذلك آدم وحواء والنسل البشري، ناهيك عن بعض الأوامر والنواهي والمحرمات، وهو بمثابة عرض تاريخي مختصر. وجدير بالذكر أن الكثيرين من الباحثين يعتقدون، أن نص المصحف الأسود يعود إلى الفترة التي أعقبت وفاة الشيخ آدي بنحو مائتي سنة، لكن هناك من يقطع الشك باليقين بأنه أحدث، فالتدقيق في التراكيب اللغوية المفككة، واستخدام كلمات مثل: "أدبخانة"، على حد قول عباس العزاوي، تدعو المتأمل إلى القول بأن النص جديد[٢]. ويجب ألا ننسى أن هذا الحكم بُني على قراءة العزاوي للنص العربي المترجم، أما النص الكُردي، فهو بدوره نص شفاهي، يكتنفه الكثير من الغموض والعثرات، وطالما أن النص الأصلي لم يتم العثور عليه، بسبب الظروف التاريخية القاهرة التي مرت على الإيزيديين كما أسلفنا، لذا يبقى الحكم

---

(١) عمار قربي، المصدر السابق، ص١١.

(٢) عباس العزاوي: تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، بغداد ١٩٣٥، ص١٩٢.

النهائي للباحثين الذين سيتمكنون من العثور على النص الأصلي في المستقبل. وفي كل الأحوال فإن نص المصحف الأسود، هو من إبداع أحد رجال الدين، الذي قام بسرده، دون الادّعاء بأنه نص منزل.

وقد اقتطفنا من النص المقاطع التالية الدالة على محتوى هذا الكتاب:

"كان الله على متن مركبه في البحار، ثم خلق درة.. ورماها، فتكونت الجبال من ضجيجها، ومن عجينها تكونت التلال، ومن دخانها السموات والقفار.. ثم صعد إلى السماء"[1].

"ثم أمر الرب جبرائيل بجلب تراب من زوايا الأرض الأربعة، فجاء بتراب وهواء ونار وماء، فخلق منها آدم، ونفخ فيه روحاً من قدرته، ثم أمر جبرائيل بادخاله إلى الفردوس، وخوَّله أن يأكل من كل الطيبات باستثناء القمح، وحين أكل آدم من الحنطة، انتفخ بطنه، فأخرجه طاووس ملك من الجنة، عانى آدم من آلام البطن، فأرسل الرب طائراً ونقره حتى فتح له مخرجاً، فاستراح[2]". "ثم خلق الله حواء من تحت الابط الأيسر لآدم، التي أنجبت منه توأماً ذكراً وأنثى، ومنهما تناسل الجنس البشري"[3].

ويمضي النص بعد ذلك في ذكر أهم المحرمات التي حرمها الله على الإيزيديين، مع تبيان الأسباب.

٢ـ كتاب (جلوة): لا تزيد كلماته عن ٥٠٠ كلمة، ويتألف من ثلاثة أبواب، وينقسم كل باب إلى سبعة فصول وفق الديوه جي[4].

ويعتقد أنه من وضع الشيخ حسن[5]، ويعزوه البعض إلى الشيخ شمس الدين الحسن بن أبي الفضائل عدي بن الشيخ أبي البركات، لكن يتعذر التسليم بصحة ذلك[6].

---

(1) الفصل الثالث.

(2) الفصل الثاني.

(3) الفصل الثالث.

(4) راجع سعيد الديوه جي: المصدر السابق.

(5) سامي ندا جاسم الدوري، المصدر السابق، ص٣.

(6) صديق الدملوجي: اليزيدية، مطبعة الاتحاد، الموصل ١٩٤٩، ص١١٦.

ويدّعي البعض، ومنهم الدملوجي، أن واضع الجلوة والمصحف الأسود قساوسة مسيحيين. ويحذو حذوه نوري بك والي الموصل في كتاب له زاعماً أن واضع الجلوة راهب نسطوري، لذا فمن الصعوبة بمكان معرفة الأمر على وجه الدقة.

في كتاب الجلوة يخاطب المعبود عباده، متحدثاً عن قدراته الخارقة، واعداً الصالحين منهم بالنعيم، ومهدداً العصاة بوعيده، فضلاً عن احتوائه على جملة من الوصايا، فيبحث في أزلية الله وقدرته الخارقة، ناهيك عن تهديد المشككين بذلك، وهو عبارة عن خطاب الذات الإلهية المباشر إلى عباده. وفيما يلي مقتطفات مما جاء فيه:

"إني أنا الله العظيم، إله واحد في السماء والأرض"[١]. "أنا عالم بما تعملونه وما تقولونه سراً وجهراً" [٢]. "أنا حاضر في كل مكان، أنا الذي أدبر أمر الموت، أنا الرزاق المعطي، ليس لي صاحب ولا شريك"[٣]. "أنا معكم في الجبال، وأنا معكم في الصحارى، وأنا معكم في البحار، عليم بما تعلمون، عليم بحال النحل والنمل"[٤]. "أنا ولي من لا ولي له، أرزق الدود في وسط الحجر"[٥]. "إني أرحم بكم من أبويكم. لا تيأس أيها العاصي، فإذا ما تبت توبة نصوحة، فإني أغفر لك ذنوبك. خلقتك من حفنة تراب، وستعود إلى حفنة تراب"[٦]. "توبوا وخافوني واعبدوني مخلصين، أقرنوا الطاعة بالعمل الصالح"[٧]. "لكم حسناتكم، ولا يضيع عندي ما كسبتم من السيئات، طوبى لمن ألجم شهوته ولم يطع هواه، طوبى لمن غلب عقله عواطفه، والويل لمن غلبت عواطفه عقله، أبواب رحمتي مفتوحة لكل واحد"[٨].

"إخضع لي وحدي، وخف مني وحدي، أحبب من تحبه من أجلي، وأبغض من تبغضه من أجلي، فمن كنتُ ظهيراً له، فلا يغلبه أحد أبداً. قلب دنيا الأرض في

---

(١) باب ١، فصل ١.

(٢) باب ١، فصل ١.

(٣) باب ١، فصل ١.

(٤) باب ١، فصل ٢.

(٥) باب ١، فصل ٣.

(٦) باب ١، فصل ٤.

(٧) باب ١، فصل ٥.

(٨) باب ١، فصل ٦.

داسن، وقلب داسن وادي لالش"[1]. "خلقت آدم، وأمرت الملائكة بالسجود له، فسجدوا له إلا تادوسا، الذي جعلته رئيساً للملائكة"[2]. "الملك دردائيل وظيفته قبض الأرواح، والملك نوائيل جعلته حاكماً على الجن، والملك اسرافيل فوضته أمر الشمس والقمر والنجوم، والملك جبرائيل جعلناه ساعداً لتادوس الملك، والملك ميكائيل بيده أمر المطر والثلج، والملك شامنائيل بيده الخضراوات والنباتات وفصول السنة"[3].

"جعلت لكل داء دواء"[4]. "صلوا كل يوم مرتين، أنا ربكم وخالقكم"[5]. "أنا خلقتكم جميعاً، وأحسنت خلق السموات والأرض، ورفعتها وبسطتها بغير عمد، وجعلت الجلوة مرشداً للداسنيين"[6]. "كن حذراً من أهواء نفسك، وأمسك لسانك مما لا يعنيك، وكن وفياً أميناً" [7]. "افعل وقل ما فيه الصلاح، قل الحق إن كنت شريفاً ولو كان فيه هلاكك، أتخشى الناس ولا تخشى الله؟ اجتنب الفساد، اجتنب الفاحشة (الزنا)، اجتنب الخيانة واحذرها، فإنها وصمة عار لا تُمحى، وتب عن الكذب، وإياك والنهب والسلب، ولا تخالط السفهاء والأشرار"[8].

٢. طبقاتهم (مراتبهم):

للإيزيديين قيادتان، **الأولى** دنيوية، ويمثلها الأمير، وله وظيفة اجتماعية كبيرة، ويتمتع بصلاحيات شبه مطلقة في شؤون المجتمع الإيزيدي، يقيم عادة في قضاء شيخان بكُردستان الجنوبية، ويكتسب منصبه المذكور بالوراثة باجماع أسرته. أما **الثانية** فدينية، ويتبوأها بابا شيخ، ومكانته بمثابة مكانة البابا لدى المسيحيين، ومقر اقامته في قضاء شيخان أيضاً. وأهم المراتب:

---

(١) باب ١، فصل ٧.
(٢) باب ٢، فصل ١.
(٣) باب ٢، فصل ٢.
(٤) باب ٢، فصل ٤.
(٥) باب ٢، فصل ٥.
(٦) باب ٣، فصل ١.
(٧) باب ٣، فصل ٣.
(٨) باب ٣، فصل ٤.

ـ **المير (الأمير):** هـو الـرئيس الأعلـى للسـلطتين الروحيـة والدنيويـة، وحكمـه نافذ، وجميع الإيزيديين ينقادون له بالطاعة، يقيم في عين سـفني في قضـاء شـيخان، وهو الأمير تحسين، توفي في ٢٠١٩/١/٢٨.

ـ **Pismîr:** مستشار الأمير، وهو ينتمي إلى أرومة الأمير.

ـ **بابـا شـيخ:** كـبير المشـايخ، يُسَـيِّر الأمـور الروحيـة للإيزيـديين، ولا يتسـنم منصبه إلا بموافقة الأمير، والأخـير يستشـيره في أمـور الـدين ويقـيم في عـين سـفني أيضاً.

ـ **الشـيخ:** ينتمـي إلى طبقـة الشـيوخ الـتي تنحـدر مـن ثـلاث أرومـات: آدانـي، شمساني، قاتاني.

ولكل إيزيدي شيخه، وحين يشرف المريد على المـوت، يحضـر شـيخه، ويبـدأ بتلقينه بعض الأمور، ويذكره بأنه من أتباع طاووس ملـك، وبعـد أن يفـارق الحيـاة، يبدأ بغسله وتكفينه ودفنه[1].

ـ **البير Pîr:** يعني المرشد، يساعد الشيخ في مهامه، خصوصـاً في مجـال غسـل وتكفين الموتى ودفنهم وعقد النكاح والارشـاد الـديني، ويشـفي المرضـى والمجـانين بـالرقى والعـزائم، ويعـالج العلـل والعاهـات بالأتربـة الـتي يـأتي بهـا مـن أضـرحة المشايخ[2].

ـ **القوال:** يقال لـه المقْـوال، ينشـد التراتيـل أو المـدائح الدينيـة في المناسـبات الدينية وعند دفن الأموات، وينقر الدف والمزمار، ويلازم "السنجق" في التطواف.

ـ **الفقير:** الزاهد أو الناسك، وهو مـن أهـل التقـوى، حيـث يهجـر ملـذات الـدنيا ويتفرغ للعبـادة، يشـد حزامـاً علـى وسـطه كالزرادشـتيين، ويكتسـي خرقـة (رداء). يستطيع الأمير تجريده من وظيفته إن حاد عن الطريق.

ـ **الكوجـك:** مـن طبقـة العـوام، وهـو مـن خدمـة مرقـد الشـيخ آدي والسـناجق المتجولة (طاووس ملـك)، ويطبـب النـاس ويـداويهم بـتراب قـبر الشـيخ آدي، بقصـد الشفاء من الأمراض.

ـ **المريد:** تسمية تطلق على سواد أو عامة الكُـرد الإيزيـديين وتـتراوح نسـبتهم بين ٩٣ـ ٩٤٪، ويتخذ المريد شيخه أو بيره ليتلقى منه أموره الدينية.

---

(1) صديق الدملوجي، المصدر السابق، ص٤٤.

(2) المصدر نفسه، ص٤٦.

ورغم أن الإيزيدية تخلو من المذاهب والطوائف، إلا أن نظامها التراتبي السالف الذكر، هو بمثابة معضلة، حيث لا يسمح بالتزاوج بين تلك الطبقات، والمريدون الذين يشكلون الأكثرية الساحقة لا دور لهم في صناعة القرار.

٣. عباداتهم وأعيادهم:

الصلاة: ثلاث صلوات، صلاتا الشروق والغروب يتوجهون فيهما نحو الشمس، بينما يتوجهون في صلاة الظهيرة نحو لالش، وتؤدى الصلاة عادة وقوفاً، لكن ليس على مرأى الناس، كما لا يوجد مكان خاص لأدائه.

الصيام: لم ينجُ الصوم من المؤثرات الدينية المحيطة، وبالأخص المؤثرات الاسلامية[١]، حيث يمتنعون عن الأكل والشراب كالمسلمين من الشروق حتى المغيب، لكن الإيزيديين لا يعيرونه الاهتمام اللازم، مثلهم في ذلك كمثل الزردشتيين الذين لم يمارسوه إلا في النادر، لأن الزردشتية تدعو إلى العناية بالجسم للقيام بكسب الرزق، فإنجاز الأعمال الزراعية ـ وفق معتقدهم ـ أفضل وسيلة للتقرب من آهورامزدا[٢].

للإيزيدية أعياد دينية واجتماعية وقومية، ومنها:

عيد رأس السنة Sersal: يصادف يوم أول أربعاء من شهر نيسان الشرقي، وهو ـ وفق المعتقدات الإيزيدية ـ موعد نزول "طاووس ملك" إلى الأرض من أجلهم، لذا يعد "الأربعاء" أهم أيام الاسبوع، ويأتي في درجة السبت عند اليهود، والأحد عند المسيحيين، والجمعة عند المسلمين.

يلجأ الإيزيديون فيه إلى ذبح ثور أو خروف أو ديك..الخ، حسب الامكانات المتاحة لكل أسرة؛ ويخرج الناس إلى الطبيعة، وتتزين فيه الفتيات والفتيان، النساء يتزينن بالحلي والرجال باللباس الفاخر، وتقام بهذه المناسبة الدبكات الشعبية على قرع الطبل والمزمار، والقوالون يرتلون التراتيل بالكُردية و بالتناغم مع قرع الدفوف، ويتلقون النقود من الناس[٣]. ومن الطقوس المرافقة للعيد صناعة الكُليجة Sewik

---

(١) أحمد سينو، المصدر السابق، ص٢٥٨.

(٢) عبدالقادرحامد: قصة الأدب الفارسي، مصر، ١٩٥١، ص٨٩ ـ ٩٠.

(٣) اسماعيل جول بك: اليزيدية قديماً وحديثاً، قام د. قسطنطين زريق باعداد حواشي الدراسة ووضع مقدمتها وفهارسها، المطبعة الأميركانية، بيروت، ١٩٣٤، ص٨١.

وسلق البيض وتلوينه بألوان شتى، وهذه العادات ليست حكراً عليهم فقط، بل يقوم بها الكُرد المسلمون في عيدي الأضحى وعيد الفطر، والمسيحيون أيضاً في أعياد الفصح.

عيد مربعانية الصيف Çileyê Havînî: يحل في ذروة الحر ويصادف في نهاية تموز، يُدعى عيد الشيخ آدي، يسبقه صيام الزعامات الروحية /٤٠/ يوماً، وتوقد النار Çira في المراقد والأماكن المقدسة في لالش ليالي العيد، والمعنيون يتلون التراتيل الدينية، بينما يقوم سائر الناس باحتفالاتهم ودبكاتهم لأيام.

عيد مربعانية الشتاء: يصادف في أوائل شباط الميلادي، يجري فيه ما يجري في مربعانية الصيف.

عيد Cema: يصادف حلول شهر تشرين الأول الميلادي، تتم مراسيمه في لالش، حيث تقام الاحتفالات والدبكات والمراسيم الدينية طيلة اسبوع (٧ أيام)، وهو من أكبر الأعياد، ولعل أبرز طقوسه تقديم ثور قرباناً لإله الشمس، والتعميد في النبع الأبيض وزيارة لالش ومرقد الشيخ آدى.

عيد إيزي: كان هذا العيد يصادف ٢٥ كانون الأول[١] والذي يصادف عيد ميلاد مثرا، وانتقل من المثرائية إلى المسيحية، لكن بسبب تغيير التقويم على مر السنين، وتحت تأثير الاسلام[٢]، أخذ الإيزيديون يصومون ثلاثة أيام بداية شهر كانون الأول الشرقي من الفجر وحتى مغيب الشمس، ثم تبدأ الأفراح صباح العيد، بعد تبادل زيارات التهنئة، وزيارة القبور، وفي اليوم الذي يسبق الصوم تُنحر الذبائح، وتوزع الكُليجة أو Sewik.

عيد Bîlinda: يصادف أواخر كانون اول الميلادي، وهو عيد خاص بالأموات، ومن طقوسه توزيع خبز خاص ثواباً للموتى وإطعاماً للفقراء، وشعلة الثورGurgaga،

---

(١) ومن المفيد قوله أن يوم الانقلاب الشتوي يصادف ٢١ كانون الأول، حيث يحل أقصر نهار في السنة وأطول ليل، وبدءاً من يوم الانقلاب هذا يطول النهار ويقصر الليل إلى أن يتساوى الليل والنهار في يوم الاعتدال الربيعي المصادف في ٢١ آذار"عيد نوروز"، من هنا ساد الاعتقاد بأن الشمس تولد في هذا اليوم، أي في يوم الانقلاب الشتوي. فكانوا يصومون ٢٢و٢٣و٢٤ ك١، ثم يحتفلون بعيد إيزي في ٢٥ ك١.

(٢) ممو فرحان عثمان، دراسات ومباحث في فلسفة، المصدر السابق، ص١٦٩.

ويتم إعداد قرص كبير من الخبز يُدعى خُولير Xulêr من قبل ربة الأسرة، يُطعم بالزبيب، ويُقَسَّم ليلة العيد على ظهر طفل، ثم توزع الحصص على أفراد الأسرة، ويعتقدون أن الفرد الذي ظفر بالقطعة المطعمة بالزبيب، يُعدّ محظوظ الأسرة أو ذو طالع حسن.

عيد خِدِر الياس: يصادف أول خميس من شباط وفق التوقيت الشرقي عند إيزيديي عموم كُردستان، يجري الاحتفاء به في مناطق متفرقة، ومنها أرمينيا وجيورجيا، وفي عين سفنى، كما يقام الاحتفال على تل يقع جنوب تلعفر، عليه قبة تنسب إلى خدر إلياس، يصوم البعض من الإيزيديين والمسلمين ثلاثة أيام قبل العيد، كرامة للنبي خضر الياس، لأن العيد محلي لا علاقة له بدين معين[1]، لكن يقع الواجب على الذين تسموا باسْمَي خضر والياس، وتقتضي مراسيمه تحريم الصيد وقطع الشجر طيلة فترة الصوم والعيد. ومن طقوسه قلي حبوب القمح وعباد الشمس والحمص..الخ، ويتم طحن القمح المقلي ويُدعى Pêxun وينثر في الحقل لتحل فيه البركة، وتوزع فيه الحلاوة. لخدر نبي منزلة كبيرة عند الإيزيديين، فهم يتلمسون المساعدة منه لتحقيق أمنياتهم وتلبية مرادهم في الحب، أما خدر الياس فهم يطلبون مساعدته في الشفاء من الأمراض أوالتوفيق أثناء السفر والفك عن المحبوسين والأسرى.

عيد القربان: يصادف أول أيام عيد الأضحى، وتقدم فيه الأضاحي (القرابين)، تشبهاً بابراهيم الخليل الذي صمم على التضحية بابنه اسماعيل وفق القرآن، وبابنه اسحاق وفق التوراة. ويعتقد أن الاحتفاء بهذا اليوم ليس سوى مجاراة لجيرانهم المسلمين.

٤. اماراتهم:

ساهم الكُرد الإيزيديون في تأسيس عدة إمارات، كما جاء في كتاب "شرفنامة" لشرف خان البدليسي، بعد تعاظم نفوذ الإيزيديين في القرنين ١٥ و١٦ الميلاديين، ونالوا مكانة مرموقة في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) م، الذي أمر بقتل أمير سوران المسلم يزدين شير ١٥٣٤، وألحق امارته بولاية الموصل، التي كان

---

(1) سعيد الديوه جي، المصدر السابق، ص١٦٨.

قد عين عليها الأمير الإيزيدي حسين بك الداسني، لكن العلاقات سرعان ما ساءت بين العثمانيين والإيزيديين بسبب قتل القانوني لحسين بك الداسني، لفشله في الاحتفاظ بامارة سوران. ثم حاولت الدولة العثمانية ـ بعد أن فشلت في القضاء على الإيزيديين إرضاءهم، فعينت الأمير الإيزيدي ميرزا بك الداسني سنة ١٦٣٩م والياً على الموصل، لكن سرعان ما ساءت العلاقة بعد مقتل الداسني[١].

الإمارات التي أقيمت في الجزء المسمى بكُردستان الجنوبية:

١ـ الامارة الداسنية (٩١٦ـ ١٢٣٦) م: ورد في الكتاب المقدس "جلوة" عبارة: (قلب الدنيا والأرض داسن، وقلب داسن لالش)، وورد ذكرها في المصادر الاسلامية. كان مركزها (بلد)، تُدعى دهوك اليوم[٢]، وكانت تشمل الجزء الجنوبي ـ الغربي من منطقة بادينان[٣].

٢ـ امارة الشيخان: تأسست على أنقاض الامارة الداسنية، وضمت المناطق الواقعة بين الزاب الكبير وخابور دجلة. نشطت الامارة في عهد الشيخ عدي، وفي عهد الشيخ عدي الثاني بن صخر[٤] توسعت الامارة حتى امتدت إلى مشارف مدينة الموصل، لكن المغول ألقوا القبض على عدي الثاني وقتلوه عام ١١٢٢م، فخلفه ابنه الشيخ حسن، المولود في لالش عام ١٠٩٤م، الذي استمر على نهج والده، مما حدا بحاكم الموصل بدرالدين لؤلؤة إلى قتله غيلة، فتولى الامارة ابنه شرف الدين، لكن المغول قتلوه. وبعد قرنٍ من الوهن، استعادت إمارة شيخان قوتها في عهد أميرها حسن بك الداسني، الذي تمكن من لم شملها من جديد، وأعلن ولاءه للسلطان العثماني سليم الأول، ثم استولى على الموصل وأعلن ابنه حسين بك حاكماً عليها. حين توفي الأمير حسن، بحدود ١٥٣٤م، تولى شؤون الإمارة ابنه حسين بك، الذي نال إعجاب السلطان سليمان القانوني، فأناط به إمارة اربل والموصل ومعاقل الكُرد في بادينان، ولقب بأمير الأمراء، وبلغت الإمارة في عهده أوجها، وضمت إمارات

---

(١) الدكتور عبدالفتاح بوتاني: ملاحظات أولية عن الإيزيدية والإيزيديين، المصدر السابق، ص ٤٣ و٤٤.

(٢) علي جزيري، كُردستان سوريا أنموذجاً، المصدر السابق، ص٢٢٨.

(٣) الدكتور عدنان زيان فرحان: تاريخ الامارات الكوردية الإيزيدية، موقع بحزاني الالكتروني.

(٤) أبو البركات صخر بن صخر بن مسافر الهكاري، هو ابن أخ الشيخ عدي الأول.

(الشيخان، الموصل، اربيل وسوران)، لكن لم يرق حكم الأمير الداسني لأهل اربل وسوران، فقاوموه، وانتزعوا مناطقهم من تحت سيطرته، مما استدعاه الباب العالي إلى الأستانة، حيث عُزل، ثم قُتل، بذريعة عدم المحافظة على ما اقتطع له السلطان، مما كان سبباً في ثورة الإيزيديين على العثمانيين الذين لجأوا إلى استخدام سلاح الدين ضد الثائرين الإيزيديين، فأصدروا فتوى بحقهم سنة ١٥٦٦م[١]، أبيح بموجبها قتل الإيزيديين وبيعهم في الأسواق، ثم شنت الدولة العثمانية حملات على الإيزيديين بمؤازرة أمير(العمادية، الموصل، اربيل، شهرزور).

استعادت إمارة شيخان عافيتها في عهد أميرها ميرزا بك الداسني، الذي تولى منصب ولاية الموصل لفترة وجيزة عام ١٦٥٠م[٢].

امارات الاقليم المتاخم للبحر المتوسط شرقاً والجزء الكُردستاني الملحق بسوريا:

١ـ إمارة جارجوم: امتدت من شمال غربي حلب حتى طرابلس الشام على المتوسط، وقد رفضت تبني الاسلام في أعقاب حكم الخليفة عمر بن الخطاب، واكتفت بدفع الجزية، لكن الوليد بن عبدالملك تمكن من القضاء عليها عام ٧٠٥م.

٢ـ إمارة الشيخ مند(كلس): إبان العهد الأيوبي، وقف الإيزيديون إلى جانب صلاح الدين في مواجهة الغزو الصليبي، فولاهم صلاح الدين مناطق كيليكيا والقصير، ومنح الشيخ لقب أمير الأمراء، ثم تولى ابنه الحكم، لكن بعد أفول نجم الأيوبيين، عزل المماليك عائلة مند، ووضعوا الإمارة تحت سلطة عائلة الشيخ بكر، التي حكمت ملاطيا، مرعش، كلس، حماه. لكن الدولة العثمانية قامت بتعيين جانبلاط بك[٣]، أميراً على الكُرد في كلس وحلب، وأعادت إليه حكم أجداده من آل (مَند). وكان عهد جانلاط عصراً ذهبياً، حيث ساد الأمن والاستقرار، وازدهرت الحياة الاقتصادية، على حد وصف البدليسي.

---

(١) أصدرها مفتي الدولة الرسمي "أبو السعود العمادي".

(٢) عدنان زيان فرحان، تاريخ الإمارات الكوردية الإيزيدية، المصدر السابق.

(٣) جانبلاط، تعني "جان بولاد" بالكُردية "الروح الفولاذية".

خلفه في قيادة الإمارة ابنه جعفر بك، وبعد وفاة الأخير، منح السلطان العثماني أخاه حسين بك لقب أمير الأمراء (الباشا)، وولاه على إيالة طرابلس الشام والقصير وحلب وكلس، لكن الصدر الأعظم استدعاه، ثم قتله، بعد تخلفه عن الحملة التي شنت على الدولة الصفوية في بلاد العجم (ايران)، وحين علم علي بذلك، ثار في وجه العثمانيين، واستولى على طرابلس الشام، وأسس في طرابلس والشام وحلب وكلس دولة مستقلة، وعقد اتفاقية مع توسكانا[1]، فشنت الدولة العثمانية حملة عليه، ثم عفى عنه السلطان وعينه في بلاد النمسا، لكن مراد باشا أرسل من يقتله هناك. على أثر ذلك، غادر قسم من عائلة جانبولاد إلى لبنان، وتزعموا الجبل وشيوخ الدروز، وأستعربوا مع الزمن[2].

الامارات التي أسست في كُردستان الشمالية:

امارة قلب: أسست في بداية العهد العثماني على ضفة نهر بوتان، تحت زعامة رئيس عشيرة بسيان الكُردية الإيزيدية، ثم امتدت فيما بعد من مصب نهر بوتان وحتى زاخو جنوباً[3]، وخضعت لهذه الامارة عدداً من العشائر الكُردية المسلمة، وكان عزالدين بن يوسف الكُردي الإيزيدي المتوفي سنة ١٤٥١م أميراً على حلب[4].

الإمارات التي قامت في كُردستان الشرقية:

الإمارة المحمودية: هاجرت عشيرة المحمودية مع عشيرة الدومبلية من بوتان إلى أذربيجان، واقتطعت حصوناً وقلاعاً عدة، تولى الشيخ محمود شؤون الامارة، ثم تولى ابنه مير حسن بك المهمة، وتولى الزعامة بعده آخرون. كانت عشيرة المحمودية من الكُرد الإيزيديين، وحين اعتنق الاسلام، عاد الكثير من أفرادها ممن رفضوا ذلك مع فرع (مام ره شان) من عشيرة الدومبلية إلى منطقة باسك شيخان الحالية، وتفرق بذلك شملهم، لكن يجدر الذكر أن الامارة ظلت قائمة حتى عام ١٧٠٠م.

---

(١) إحدى الدويلات الايطالية.

(٢) عدنان زيان فرحان، تاريخ الامارات الكوردية الإيزيدية، المصدر السابق. وأيضاً راجع: علي جزيري، الكُرد وكُردستان، كُردستان سوريا أنموذجاً، المصدر السابق، ص٢٢٨.

(٣) عدنان زيان فرحان، المصدر نفسه.

(٤) الدكتور عبدالفتاح بوتاني، ملاحظات أولية عن الإيزيدية والإيزديين... ص٤٣.

سبق أن مارس الصفويون سياسة القمع ضد الإيزيديين، بيد أن الإيزيديين كانوا يتمتعون بداية بحرية نسبية في المناطق التي خضعت للعثمانيين، لكن سرعان ما كشف العثمانيون عن أنيابهم، فشنوا سلسلة من الحملات ضد الإيزيديين، بأوامر من الباب العالي وبدوافع اقتصادية وأمنية، تحت ذرائع شتى منها أن الإيزيديين (يقطعون الطرق على التجار وقوافلهم، فكان لابد من تأمين المواصلات، لأجل ذلك فقد أصبح شن الحملات العسكرية على سنجار عادة مألوفة لدى السلطات العثمانية)[1]، لكن الإيزيديين كانوا يقاومونها ببسالة نادرة، رغم الحشد الذي ضم زعماء العشائر العربية، مثل شيخ قبيلة طي محمد الذياب، وقبيلة شمر الجربا، والجحيش، وبعض الكُرد مثل مير محمد الرواندوزي أمير سوران الملقب بـ "ميرى كُور" ، والكَركَرية..الخ.

الأسباب التي كانت تدفع الإيزيديين إلى مواجهة السلطات العثمانية كانت عديدة، منها مثلاً اجبار الإيزيديين على أداء الخدمة العسكرية، رغم أن الإيزيديين كانوا يطالبون السلطات العثمانية أن تعفيهم من الخدمة أسوة بأبناء الديانات الأخرى كاليهود والمسيحيين أو أن (يُؤخَذ البدل النقدي منهم)[2]، ناهيك عن البعثات البعثات الارشادية التي كانت تتوجه إلى مناطق الإيزيديين، بهدف اقناعهم لتبني الاسلام واعتناقه وتركهم لمعتقدهم الديني، ولم تبخل الدولة العثمانية على شراء الذمم وإغراء بعضهم بالألقاب والأوسمة والنياشين والرواتب، لكن حين تفشل محاولاتها على هذا الصعيد، سرعان ما تلجأ إلى تجهيز الحملات العسكرية، التي تعيث فساداً وتدميراً للقرى وردماً للآبار ونهباً للمواشي والمحاصيل وهتكاً للأعراض وسفكاً للدماء وعبثاً بالمقدسات، في ظل الخلل في موازين القوى بين الطرفين. وأتاحت سنوات اندلاع الحرب العالمية الأولى فرصة للإيزيديين بالتمرد من جديد ومهاجمة المعسكرات العثمانية وإيواء المهجّرين الأرمن عام ١٩١٥ في سنجار، حتى أضحت مناطق الكُرد الإيزيديين ملاذاً آمناً لمئات العوائل الأرمنية النازحة، فسيّرت على أثر ذلك حملة على سنجار، كان من جملة أهدافها تسليم الأرمن إلى السلطات العثمانية، لكن الإيزيديين رفضوا ذلك، فقمعوا وألحقت بالإيزيديين الهزيمة، مما

---

(١) محمود شيخ سين حسو الريكاني، سنجار في العهد العثماني، المصدر السابق، ص١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١٧.

اضطّر البعض إلى الاستسلام، والبعض الآخر من أمثال حمو شرو[1] واسماعيل جول، ممن لم يرضخوا للتهديد والوعيد، استمر في المقاومة.

لقد ساند الكُرد الإيزيديون عامة، وإيزيديو شيخان وجبل سنجار خاصة الأرمنَ أثناء محنتهم، كون الدولة العثمانية كانت تشكل العدو المشترك، وقدم الإيزيديون كل ما في وسعهم أن يقدموه للأرمن (في تلك الظروف العصيبة التي كانوا يعيشونها.. فقد وفروا لهم أقصى قيم الضيافة والانسانية، وقدموا لهم كافة مستلزمات المعيشة من المأكل والمأوى، كما أمنوا لهم الحماية الكاملة.. على الرغم من كل المخاطر التي ترتبت على ذلك)[2].

كانت الدولة العثمانية تثير حدة التناقضات دوماً بين الكرد الإيزيديين والكرد المسلمين، فقد أهدر أمير رواندز محمد باشا الملقب بـ " Mîrê Kor " فرصة ذهبية لإرساء بنيان دولته المزمع إقامتها، حين بدأ بقتل الإيزيديين، وربما هذا أحد الأسباب التي دفعت الإيزيديين بقيادة أميرهم حسين بك ومعه ٢٠٠٠ من الخيالة، للإنضمام إلى حلمي باشا لدعم حملة رشيد باشا، مما أدى هذا التحالف إلى هزيمة قوات كل من الأمير محمد باشا الرواندزي في زاخو، ويزدان شير في جزيرة بوتان[3].

٥. عاداتهم وطقوسهم:

١ـ **الختان**: عملية شعائرية قديمة وشائعة، وتتم غالباً بين السنة ٥ـ ١٠، أي قبل الزواج، وهذه العادة المتبعة حتى اليوم تقليد قديم، كان يسود لدى سكان الصحراء في شمالي القارة السوداء (افريقيا)، ثم انتقلت العادة إلى اليهود، ويذكر المؤرخون أن موسى أقرَّ الختان وأعتبره من مقومات دينه[4]، ومن ثم تبناها المسلمون.

---

(١) تختلف الآراء حول سنة مولده (١٨٥٠)، ويُقال أن الأسرة هاجرت من سميل، بعد مقتل جده، واستقرت فترة في الشيخان، ثم غادرتها إلى سنجار، وسكنت قرية زفكي، وفيها ولد حمو، المقاتل الذي ذاع صيته في الآفاق، وتوفي عام ١٩٣٣ في قرية جدالة، ودفن في قرية كرسي. راجع: مجلة كولان العربي، العدد (٥٠) اربيل ٣١ تموز ٢٠٠٠، ص١٠٩ـ ١١٠.

(٢) الدكتور عدنان زيان فرحان وقادر سليم شمو: دراسات في تاريخ الكورد الإيزيديين، مركز الدراسات الكوردية وحفظ الوثائق/ جامعة دهوك، ٢٠٠٩، ص٩٢.

(٣) كيست جون: الحياة بين الكُرد/ تاريخ الإيزيديين، اربيل ٢٠٠٥، ص٢٦٧.

(٤) علي جزيري: الأدب الشفاهي الكُردي/ أدب الأطفال أنموذجاً، الجزء ٣، من مطبوعات الأكاديمية الكردية، اربيل ٢٠١٧، ص٥٤.

تنجم عن عملية الختان توطيد الروابط الاجتماعية بين الإيزيديين من جهة وبين الآخرين من جهة أخرى، وتُدعى العلاقة الناجمة عن الختان برابطة "الكرافة" أو رابطة الدم، فالشخص الذي يُختن الطفل في حضنه يدعى "الكريف Kirîv" أو كريف الدم تيمناً بسقوط قطرات من دم المختون على ثياب الحاضن، وقد تنجم عن الكرافة هذه علاقة قوية قد تصل إلى حد التحالف بين أسرتين إيزيدية ومسلمة في سياق العلاقات الاجتماعية: (فالإيزيدي بحاجة إلى نوع من الحماية والأمان ضمن المحيط الاسلامي، عربياً كان أم كردياً، وهو لا يحتاج إلى المسيحي أو اليهودي في هذا الأمر، بل الأخيرين مثله بحاجة إلى تحقيق نوع من الحماية عن طريق الكرافة)[1].

٢ـ وهناك طقس **التعميد** أيضاً، ويتم من خلال غطس الطفل في مياه "العين البيضاء Kaniya Sipî" في لالش ٣ مرات، ربما تسرب إليهم من الصابئة، وقد تمتد جذور هذا الطقس إلى المثرائية، والتعميد شكل من أشكال الطهارة في كل الأحوال.

(1) أحمد سينو، المصدر السابق، ص٣١٢.

المبحث الثاني: النكبات التي حلت بالإيزيديين

تعرّض الإيزيديون إلى نكبات/ فرمانات[1] عبر التاريخ، كان آخرها النكبة التي ألمت بأهل قضاء سنجار وما حولها على يد تنظيم داعش الإرهابي، في ٣ آب عام ٢٠١٤، فلا يوجد شعب ظلم منذ فجر التاريخ مثل الشعب الكُردي[2]، وكانت المظالم التي جرت بحق الكُرد الإيزيديين مضاعفة (قومية ودينية) في آن، واستهدفت أول ما استهدفت هويتهم، وهي باختصار:

- ١٢٤٦: استدعى بدرالدين لؤلؤة، الشيخ حسن إلى الموصل، فقتله وقتل من معه غدراً، ودمّر العديد من القرى الإيزيدية.
- ١٢٥٤: شن بدرالدين لؤلؤة حملة على شيخان، وجرت المعركة بين الطرفين قرب باعدرة، وكانت الغلبة للؤلؤة الذي أسر أمير الإيزيديين ومَثَّلَ به، حيث قطعه إرباً إرباً وعلقها على أبواب الموصل، ونبش قبر عدي بن مسافر ودمّر الكثير من الأماكن الدينية والقرى.
- ١٤١٤: قام جلال الدين محمد بن عزالدين يوسف الحلواني بحملة على إيزيديي هكاري، وآزره بعض الأمراء الكُرد، في قتل الكثيرين من الإيزيديين، وتدمير مرقد الشيخ آدي، وأوقع خراباً بلالش.
- ١٥٠٠: شن حسن بن زين أمير بادينان حملة بهدف انتزاع دهوك من إمارة داسن، وضمها لإمارته.
- ١٥٠٦: استدعى سليمان خان القانوني الأمير حسين بك إلى استانبول، ثم اغتاله، وشن حملة على المناطق الإيزيدية، ونكل بأهلها.
- ١٥٠٩: تمكن اسماعيل الصفوي من اخضاع الإيزيديين بعد قتال شديد.

---

(١) نحو ٧٤ فرماناً، والفرمان يعني الأمر السلطاني وكلمة "فرمان" معادلة لكلمة "إبادة" اليوم. لفظ فارسي معناه أمر أو حكم أو دستور مُوَقّع من السلطان، والفرمان العثماني هو القانون بأمر من السلطان العثماني نفسه، ممهور بتوقيعه، وهو نافذ من دون رجعة عنه. في الاستعمال التركي، كلمة فَرْمان تعني صدور أمر أو منشور من السلطان العثماني، وبشكل أكثر تحديداً مصطلح فرمان يطبق على كل مرسوم صادر عن السلطان؛ وكان الصدر الأعظم "بمثابة رئيس الوزراء اليوم"، والدفتردار"وزير المالية"، وقاضي الشرع، يصدرون فرمانات، كل ضمن اختصاصه بعد موافقة السلطان. (نقلاً عن: ويكيبيديا/ الموسوعة الحرة).

(٢) أرشاك سافراستيان: الكُرد وكُردستان، ترجمة: د. أحمد محمود الخليل، دار الزمان/ دمشق ٢٠٠٩، ص٢١.

ـ ١٥١٦: شنت القوات العثمانية حملة على مناطق الإيزيديين، واحتلتها، وقامت بتصفية العديد من الإيزيديين وقادتهم.

ـ ١٥٧٠: أصدر أبو سعود العمادي، مفتي الدولة العثمانية فتوى بحق الإيزيديين، أباح بموجبها قتلهم وبيعهم في الأسواق شرعاً، فمهد بذلك ممارسة السلطات لمزيد من العنف ضد الإيزيديين. ألم يقل طرفة:

وظلْمُ ذَوي القُربى أشَدُّ مَضاضَةً على المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسامِ المُهَنّدِ

ـ ١٦٠٧: قاد علي باشا جنبلاط حملة على سنجار، كما شن الصفويون بدورهم حملات إبادة على الإيزيديين بمؤازرة أمير أردلان.

ـ ١٦٢٦: سيَّر خان أحمد خان، أمير أردلان حملة كبَّد فيها الإيزيديين خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات.

١٦٣٠: قاد الصفوي قارجي قاي خان حملة حصد خلالها أرواح عدد كبير من الإيزيديين، وقام بسبي النساء وتدمير القرى وأسر الناس وجمع الغنائم. وفي نفس السنة قاد أحمد باشا، والي ديار بكر حملة قتل فيها ١٠ آلاف من الإيزيديين وأسر الكثير منهم، ناهيك عن الغنائم التي استولى عليها.

ـ ١٦٤٨: زار ميرزا بك الإيزيدي استانبول، ودخل السراي "دار الحكومة" طالباً منصب الموصل، لكنْ لم يتيسر له ذلك، وأثناء عودته طوقه شمسي باشا، والي وان، فقتل مرافقيه وإقتاد ميرزا بك مقيداً إلى استانبول، حيث قتل هناك.

ـ ١٦٥١: حملة شمسي باشا والي وان الواسعة، قتل فيها أمير الإيزيديين.

ـ ١٦٥٥: شن مصطفى باشا والي دياربكر حملات عدة بفرمانات من السلطان.

ـ ١٦٧٤: شن كابلان باشا حملة على السنجاريين الذين تصدوا للجيش ببسالة.

ـ ١٧١٤: قاد والي بغداد حسن باشا حملة للتنكيل بالسنجاريين، لا تقل بشاعة عما إقترفه تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام.

ـ ١٧١٨: قاد حسن باشا حملة شعواء أخرى على أهالي سنجار، بدعم من بعض الأغوات الكُرد.

ـ ١٧٢٣: شن أحمد باشا والي بغداد حملة على إيزيديي منطقة شيخان.

ـ ١٧٣٣: شن أحمد باشا حملة أخرى على إيزيديي قرى الزاب.

- ١٧٤٣: حملة الأفشاري نادر شاه الصفوي على منطقة شيخان، عاث فساداً في بعشيقة والزاب الكبير، وقتل قادة الإيزيديين.
- ١٧٥٣: حملة سليمان باشا والي بغداد على جبل سنجار واستلائه على القرى الإيزيدية، بمؤازرة بعض الأمراء الكُرد وعدد من العشائر العربية، قتل فيها نحو ١٠٠٠ بين مسنٍ وامرأة وطفل.
- ١٧٦٦: أغار والي الموصل محمد أمين باشا الجليلي على جبل سنجار.
- ١٧٦٧: قاد سليمان باشا بن محمد أمين باشا حملة على السنجاريين.
- ١٧٧٠: حملة أخرى.
- ١٧٧٣: شن والي الموصل سليمان باشا الجليلي حملة على جبل سنجار.
- ١٧٧٨: قاد محمد باشا شقيق سليمان باشا الجليلي حملة على جبل سنجار.
- ١٧٧٩: قاد محمد باشا حملة أخرى على منطقة سنجار دمّر فيها القرى وأتلف البساتين وقام بسبي النساء والأطفال.
- ١٧٨٥: شن والي الموصل عبدالباقي باشا الجليلي حملة ضد عشيرة الدنادية.
- ١٧٨٦: شن عبدالباقي حملة أخرى ضد الإيزيديين.
- ١٧٨٩: نشب قتال بين أمراء شيخان الإيزيديين والشيخ محمد بن حسن زعيم الطي.
- ١٧٩٠: حملة أيوب بك على إيزيديي سنجار.
- ١٧٩١: أغار شيخ الطي فارس بن محمد على أهالي سنجار.
- ١٧٩٢: حملة والي الموصل محمد باشا الجليلي على جبل سنجار.
- ١٧٩٣: حملة أخرى لمحمد باشا الجليلي على مهركان من سكان جبل سنجار.
- ١٧٩٤: أرسل محمد باشا الجليلي حملة على سنجار، حملوا على أثرها رؤوس القتلى الإيزيديين إلى الموصل، ثم أرسلوها إلى بغداد.
- ١٧٩٤: أرسل والي بغداد سليمان باشا الكبير حملتين على إيزيديي سنجار.
- ١٧٩٩: قاد عبدالعزيز بك ومعه عرب العبيد وألبو حمدان وطي حملة نهب فيها ١٥ قرية، وقام بسبي النساء والأطفال ونهب الأموال، وحمل رؤوس قتلى الشيخان إلى بغداد.
- ١٨٠٠: شن الوالي محمد باشا الجليلي حملة على سنجار دمّر فيها القرى.

ـ ١٨٠١: حملة أخرى لوالي الموصل الجليلي على جبل سنجار دمر القرى ومارس فيها أعمال سلب ونهب وخطف.

ـ ١٨٠٢: حملة علي باشا والي بغداد، ساندها والي الموصل (الجليلي) وعشائر: بلباس الكردية والعبيد والجربا العربية، دمرت القرى وأتلفت البساتين ونهبت الأموال وقتلت خلقاً كثيراً، فاضطر الإيزيديون إلى الاستسلام.

ـ ١٨٠٣: شدد الوالي علي باشا الحصار على جبل سنجار، ودام القتال أياماً، هُدمت القرى وقُطعت الأشجار ونُهبت الأموال.

ـ ١٨٠٥: طلب قباد بك أمير بادينان المساعدة من والي الموصل محمد باشا الجليلي بعد فشل حملته في شيخان، لكن الإيزيديين تصدوا للقوات المعادية.

ـ ١٨٠٧: توجه والي الموصل نعمان باشا الجليلي إلى إمارة شيخان لإخضاع أهلها، وارتكب مذبحة بشعة.

ـ ١٨٠٨/ ١٨٠٩: شن سليمان القتيل بمساعدة والي الموصل أحمد باشا، وبمؤازرة آل فارس الجربا، ومساندة ميرى كور وعشائر البو حمدان والبو سليمان والطي والعبيد والبو حمد، حملة على الإيزيديين في سنجار، نهبت فيها القرى وقطعت الأشجار وقتل فيها الكثير من الإيزيديين.

ـ ١٨١٩: حملة أحمد باشا الجليلي على جبل سنجار، خلفت خراباً، ونهبت فيها الأموال.

ـ ١٨٢٦: شن داوود باشا والي بغداد حملة على سنجار، أسفرت عن قتلى وأسرى وهتك للأعراض، تحت حجة إيواء الإيزيديين للثائر قاسم بك الشاوي.

ـ ١٨٣١: قاد ميرى كور(محمد باشا) أمير راوندوز حملة، شتت فيها شمل الإيزيديين، حتى لم ينجُ أمير الإيزيديين علي بك من القتل. وتعرض إيزيدية سنجار إلى حملتين من قبل محمد رشيد باشا وحافظ باشا، قتل على أثرهما خلق كثير، بسبب خطأ ارتكبه الأمير علي بك، الذي دعا رئيس قبيلة الألقوشيين علي آغا البالطي إلى داره في قرية باعدرة، بحجة أنه يرغب في عقد صلة كرافة معه، واختتان ولده في حضنه.

ـ ١٨٣٥: دعا محمد باشا اينجه بيرقدار زعماء شيخان في احدى القرى وأبادهم عن بكرة أبيهم.

- ١٨٣٥: توجه حافظ باشا من استانبول نحو سنجار وشيخان، فاحتمى الإيزيديون بالكهوف، لكنهم قتلوا بالرصاص أو خنقوا بالدخان.
- ١٨٣٦: حملة محمد رشيد باشا على إيزيديي سنجار.
- ١٨٣٧: حملة حافظ باشا على إيزيديي سنجار.
- ١٨٣٨: فتك والي الموصل محمد باشا اينجه بيرقدار بإيزيديي سنجار.
- ١٨٤٠: حملة والي الموصل عمر باشا.
- ١٨٤٢: قتل محمد باشا اينجه بيرقدار أعضاء الوفد الإيزيدي، وعلق رؤوسهم على بوابة الموصل، تحت حجة تأخير دفع الضرائب.
- ١٨٤٤: أجرى والي الموصل محمد شريف باشا مذبحة لإيزيديي سنجار.
- ١٨٤٥: والي الموصل محمد باشا الكريدلي أوغلو، اللص وقاطع الطريق، قاد حملة على سنجار قطع فيها رؤوس الرجال أمام النساء والأطفال، وسلب الأموال بحجة عدم إمتثالهم للخدمة العسكرية. وفي نفس السنة قاد هذا الوالي الذي تميز بهمجيته وقسوته حملة على شيخان بحجة عدم دفع الضرائب.
- ١٨٤٦: سيّر الوالي طيار باشا حملة على سنجار بحجة الامتناع عن دفع الضرائب، فلجأ الأهالي إلى الجبل والكهوف، أحرقت فيها القرى وقتل الكثيرون، أما الأسرى فسيقوا إلى الموصل، وقتلوا بمنتهى الوحشية بالسهام والرماح، بعد رفضهم التخلي عن دينهم.
- ١٨٧٢: شن مدحت باشا والي بغداد حملات إبادة ضد إيزيديي سنجار، هتكت فيها الأعراض وسبيت النساء والأطفال وقتل المسنون وأحرقت المحاصيل.
- ١٨٩٠: خولت الدولة العثمانية الفريق عمر وهبي باشا بمحاولة "إرجاع الإيزيدية إلى حظيرة الاسلام"، فاستدعى زعماء شيخان، وتلا عليهم القاضي آية التوحيد، فرضخ أمير شيخان ميرزا بك، وامتنع الباقون، فزجوا في السجن. وأرسلت قوة إلى شيخان قامت بنهب قصر الإمارة والاستلاء على المقدسات بما في ذلك قبر الشيخ آدى وأرشيف لالش، أما إيزيديو سنجار فقاوموا وتحصنوا في الجبل وتوغلوا في الوهاد السحيقة، وكبدوا العدو خسائر فادحة.
- ١٨٩٤: حملة بكر باشا على جبل سنجار، حينئذ تجمع الأهالي في قريتي بكران واوسفان تحت قيادة سفوك مطو باشا، ودحروا الغزاة.

ـ ١٩١٠: حملة أسعد باشا الدرزي، والي الموصل، على سنجار بحجة أداء الخدمة.

ـ ١٩١٣: حملة شنت بهدف إخضاع الإيزيديين للتجنيد الاجباري.

ـ ١٩١٧: حملة ابراهيم بك على إيزيديي سنجار في عهد والي الموصل محمد أوج بك.

إن النكبات التي تعرض لها الإيزيديون والتي يمكن ادراجها تحت يافطة "الجنوساید"، دفعتهم إلى الابتعاد (عن المراكز الحضارية، والاعتصام بالجبال والكهوف والمغاور، وأدى هذا بمرور الزمن إلى انتشار الأمية والتخلف بينهم، ودخول معتقدات خرافية كثيرة في ديانتهم، أصبحت بمرور الزمن جزءاً ربما أساسياً منها، فضلاً عن معتقدات الديانات الأخرى، التي أخذ يتظاهر بها رجال الدين الإيزيدي مجاملة ولاتقاء الشر)[1]، أي من باب التقية.

(1) راجع تقديم ا. د. عبد الفتاح بوتاني لكتاب ممو فرحان: دراسات ومباحث في فلسفة وماهية الديانة الايزيدية، المصدر السابق، ص١٤.

النكبة (٧٤) في ٣ آب ٢٠١٤:

بعد سقوط سنجار بين مخالب وحوش داعش، سرعان ما انضم إليهم مقاتلون آخرون من "الخلايا النائمة" أعني "الحاضنة" المحيطة بسنجار وريفها، كان أغلبهم من المراهقين وبقايا النظام البائد. فرَّ ضباط وجنود الفرقة الثالثة من الجيش العراقي، وكذلك لواء حرس الحدود ١٥ ومقره داخل مدينة سنجار واللواء ١١ ومقره قرب سنجار في الحال ودون مقاومة، مما فندت الأحداث التي جرت في سنجار وتلعفر في ١٠ حزيران، بلا أدنى شك ادّعاء المالكي واعلامه بأن "الحاضنة" وحدها كانت وراء انهيار الجيش[١]. بيد أن ما أثار شكوك المراقبين حقيقة، بأن هناك ثمة اتفاق مسبق بين تنظيم داعش وبعض المتنفذين من السلطات العراقية في قمة الهرم السياسي، تلك الاجراءات التي اتخذتها قوات الأمن الوطني والجيش العراقي في معبر بزيبز، فكانت تلك القوات تسأل الفارين من جحيم داعش المتوجهين من محافظة نينوى إلى بغداد، فإن قال أحدهم سأعود إلى الموصل، كانت القوات تحجز شهادة الجنسية العراقية ريثما يعود من بغداد، فيضطر المسكين للعودة كي يستلم شهادته الجنسية، أما إذا قال بأنه هارب من بطش داعش ولن يعود إلى الموصل، فلا تسمح له تلك القوات بدخول بغداد[٢]..!.

بدأ التنظيم بشكل متعمد بازالة وتدمير المعالم الحضارية والأثرية والدينية في محافظة نينوى، كازاحة تمثال الشاعر أبي تمام، وتجريف قبر المؤرخ عزالدين بن الأثير، وتفخيخ العديد من المراقد والمساجد والحسينيات والمزارات وتفجيرها. ونسفت جميع مزارات الإيزيديين، في قضاء سنجار وبحزانى وناحية بعشيقة وقراها مثل مزار: الخضرالياس والشيخ حسن..الخ، بهدف طمس الهوية. كما أصدر ديوان القضاء في "الدولة الاسلامية"، التي تترأسها عصابات البغدادي بياناً في ٢٠١٤/٧/١٧، خيرت فيه المسيحيين بين (الأسلمة أو دفع الجزية أو القتل بالسيف)، وتضمن البيان أن "الخليفة" قد مَنَّ على المسيحيين بأن سمح لهم بالجلاء بأنفسهم فقط، وقد أشرفت مفارز داعش بالاشراف على إجلائهم من الموصل، بعد سلب ونهب كل

---

(١) ذنون بن متى الموصلي: الموصل بين احتلالين ٢٠٠٣- ٢٠١٤، مذكرات مواطن عراقي، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٦، ص٩٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٥.

ممتلكاتهم بما في ذلك مصوغات النساء الذهبية، ووضعت حرف (ن) على منازلهم، وتحته عبارة (عقارات الدولة الاسلامية)، ثم وزعتها على عناصر التنظيم على أنها غنائم.

من جهة أخرى استولى التنظيم على البنوك وأدرجت في عداد "بيت مال المسلمين". وفي ايلول ٢٠١٤ أصدر التنظيم بياناً، تضمن تعليمات تخص التربية والتعليم، ومنها: فصل الذكور عن الاناث في المدارس، وإلغاء مواد الموسيقى والتربية الفنية والفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ والجغرافية والأدب ومادة التربية المسيحية من المناهج.

لكن ما حل بالإيزيديين كان أقسى من كل ماجرى، فيضاف إلى السلب والنهب، القتل والأسر والسبي والاغتصاب. ففي روايته "سبايا سنجار"[1]، يتناول الأديب الكُردي سليم بركات مأساة الإيزيديين ومحنتهم، في مطلع الألفية الثالثة من منظور روائي، فيقول:

«لقد ابتُدِعَ في "بيت مال الخلافة" فرعُ السبي رافداً إلى مبادلات التجارة معلَنَةً بالذهب الأسود مع حاكم دمشق، أنجَدَهُ للبقاء حاكماً، غزاةٌ من بعض شيعة ايران، ومن بعض شيعة لبنان، ومن بعض الشيعة الأفغان، ومن بعض شيعة العراق. رافدُ السبي مضافٌ إلى تهريب المخدرات، وتهريب النفط في صهاريج إلى أسواق تركيا باشرافٍ غير معلن من بطانة سلطانها الحديث».

«بيعت الإيزيديات في أسواق الأقاليم المطوقة بعمامة الخليفة، ذي الساعة اليد الأكثر كلفةً أظهرها في معصمه يوم أول خطبة على منبرٍ، لإعلان الحقِّ في الذبح من الوريد إلى الوريد، محاطاً بعتاد هائل أهداه إليه جيش عراقي بأوامر من إيران، مُذ ارتضى حاكمو بغداد أن تغدو عاصمةُ العراق محافظة ايرانية، تُدار منها، ومن دمشق، ومن طهران، خططٌ لإرباك التاريخ بزعْمِ الوحشية في مِللِ أهل السُّنَّة، وخَلْطِ مطالب الحقِّ عند معذَّبي سوريا بـ "جهاد قطع الأعناق"»[2].

---

(1) مجازر مروعة هزت ضمائر المنصفين، حين عمد تنظيم "داعش" للترويع والتنكيل بالايزيديين واستباحة أرواحهم وممتلكاتهم.

(2) سليم بركات: رواية سبايا سنجار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/ لبنان ٢٠١٦، ص٣٩-٤٠.

«في سوق من مدينة الرمادي،... بيعت شاهيكا بأربعمائة دولار إلى عراقي من المدينة نَزَح بها،...إلى جهة... من نواحي مدينة الحسكة، في سوريا، بعد شهر من تبليغها الإسمَ الأكثر نقاءً من إسم لم تعترف به لوليٍّ جسدها ومالكه: أنتِ سَعْدَة، اسمكِ سعدة، ستسعدين بي أعدتُكِ من حظيرة الشيطان مسلمةً، قال لها مالكها الملقب بـ "أبي دِحْيَة"»[1].

«هاجم ارهابيو داعش مركز قضاء سنجار والمجمعات التابعة له في ٣ آب ٢٠١٤، وحاصروا منازل الإيزيديين بمساعدة الحاضنة العربية في المنطقة» [2]، تلك التي نجمت عن سياسة التعريب إبان حكم البعث وقبله، فحاول الفارون أن يلوذوا بالجبل، لكن الارهابيين استطاعوا بما لديهم من عدة، إلقاء القبض على الرجال واعدامهم في الحال، ونقلوا النساء والأطفال بالسيارات إلى قضاء البعاج الخاضع لسيطرة داعش، ومن هناك إلى مدينة الموصل التي سيطر عليها التنظيم في ١٠ حزيران ٢٠١٤[3]. على هذا النحو تشكل "جيش من السبايا" يقدر بالآلاف، بفضل تواطئ المالكي وأعوانه في العراق ونظام البعث في دمشق، والسلاطين الجدد في أنقرة ودول أخرى.

والنساء اللواتي تم إختطافهن، اغتصبن أو تم الاعتداء عليهن جنسياً أو تزويجهن قسراً أو إهداءهن لعناصر التنظيم أو بيعهن في أسواق النخاسة بمبالغ زهيدة لا تتجاوز ٢٥ دولاراً، بعد استرقاقهن وأسلمتهن، رغم أن الكثير منهن تتراوح أعمارهن بين ٨ ـ ١٢ سنة، وحين فشلت محاولات الكثير منهن الفرار، أقدمن على الإنتحار، من خلال قطع أوردة الرسغ أو استخدام الحجاب الاسلامي المفروض عليهن في صنع حبل مشنقتهن بأنفسهن أو رمي أنفسهن من سيارات التنقل الخاصة بالتنظيم أو رمي أنفسهن من أسطح المنازل أو صعق أنفسهن بالكهرباء أو قتل أنفسهن حرقاً أو غرقاً، وتشير التقارير أن عدد المنتحرات (أغلبهن قاصرات) تجاوز

---

(1) المصدر نفسه، ص٤١.

(2) راجع الملحق رقم (١).

(3) حسو هورمي: من تداعيات إبادة داعش للإيزيدية/ مأساة لا حدود لها، الحلقة الأولى، صحيفة كُردستان، العدد ٥٩٠، تاريخ ٢٠١٨/٨/١٥

١٨٠ ضحية فضلن الموت على العار الذي لحق بهن، ويروى أن جثثهن كانت تُرمى للكلاب! ».

حددت وثيقة صادرة في ٢١ ذي الحجة ١٤٣٥ من جهة تنظيم داعش أسعار السبايا الإيزيديات والمسيحيات حسب السن، على النحو التالي: بين ٤٠ـ ٥٠ سنة تباع بـ ٥٠ ألف دينار عراقي، بين ٣٠ـ ٤٠ سنة بـ ٧٥ ألفاً، بين ٢٠ـ ٣٠ سنة بـ ١٠٠ ألف، أما الأطفال بين ١ـ ٩ سنوات بـ ٢٠٠ ألف دينار عراقي[١].

(١) حسو هورمي: من تداعيات ابادة داعش للإيزيديين/ مأساة لا حدود لها، الحلقة الثانية، صحيفة كُردستان، العدد ٥٩١، تاريخ ٢٠١٨/٩/١.

الفصل الثالث

المبحث الأول: إيزيديو كُردستان ـ سوريا أنموذجاً
(دراسة تطبيقية)

تمهيد:

لا تتوفر معلومات دقيقة عن التعداد الدقيق للكُرد الإيزيديين، لكن التقديرات تشير إلى أن عددهم يتراوح بين (٧٠٠ـ ٨٠٠) ألفاً و(المليون) في العالم، أي يشكلون قرابة ٢.٣٪ من الكُرد، وفي مصدر آخر نحو ٣٪ [١]، وأغلبهم يعيش في اقليم كُردستان العراق. (٨٥٪ ضمن المناطق التي تشملها المادة ١٤٠).

من الطبيعي أن يختلف الباحثون في تقدير عددهم، فالأمر بتقديري يرجع إلى تلك الحكومات التي يعيش الإيزيديون في كنفها بالدرجة الأولى، لأنها تتكتم حول هذا الأمر ولا تنشر الأرقام الحقيقية لأسباب لا تُخفى على القارىء النابه. سبق لقسطنطين زريق أن قال: مما لا شك فيه أن عدد الإيزيديين قد تناقص كثيراً عما كان فيما مضى، بسبب الاضطهادات الدموية الشديدة التي نزلت بهم في زمن الأتراك العثمانيين في القرنين ١٨و١٩[٢]، ونضيف أسباباً أخرى من بينها: دخولهم في الاسلام سابقاً وفي المسيحية لاحقاً، ناهيك عن الهجرتين الطبيعية والقسرية، رغم أن الدراسات الحديثة تكشف أن تاريخ وجود الإيزيديين في كردستان الجنوبية والشمالية ومنطقة عفرين يعود إلى الألف الثالث ق.م[٣]. أهم مناطق الانتشار:

١ـ اقليم كُردستان العراق: ينتشرون بشكل خاص في منطقة شيخان (عين سفنى) حيث المركز الديني والمراقد، ومنطقة سنجار ونواحيها وقراها ومنها: مدينة سنجار وناحية سنونى وغيرها، وبعشيقة وبَحزانى ودهوك وزاخو، وقضاء تلعفر ناحية زمار(نحو ٤٠٠ـ ٥٠٠ ألفاً).

٢ـ الجزء الكُردستاني الملحق بسوريا: ينتشرون في الجزيرة العليا وقضاء عفرين، عددهم في تناقص بعد أن كان قرابة (٥٠) ألفاً عام ٢٠١٣.

---

(١) ممو فرحان عثمان، المصدر السابق، ص٢٢.

(٢) راجع: اسماعيل جول بك، مقدمة قسطنطين زريق، المصدر السابق، ص٤– ٥.

(٣) الدكتور خليل اسماعيل محمد: مجلة لالش، العدد ١٦، دهوك ٢٠٠١، ص٣٤.

٣ـ كُردستان الشمالية: في مناطق وقرى باتمان، دياربكر، ماردين، نصيبين، جبل طور عبدين، ويران شهر، سروج، عنتاب، سيرت، ساسون، هكاري، وان، لكن نسبة كبيرة هاجرت إلى المانيا.

٤ـ في ايران: (أعدادهم قليلة)، يتركزون في الشمال الغربي، في: ماكو، خوي، ونحو ٦ قرى للإيزيديين تشكل كَارمينه مركزها حول كرمنشاه[١].

٥ـ في مناطق القفقاس السوفيتية سابقاً (أرمينيا وجورجيا): أغلبهم هُجّر إبان الحكم العثماني من وان، قارس، سَرحد، وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي، توزعوا في بلدان شتى مثل: أوكرانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والولايات المتحدة الأمريكية. كان عدد قراهم في أرمينيا حتى عام ١٩٥٠ نحو ٣١ قرية، قدر عددهم حتى عام ١٩٩١ بنحو ٩٠ ألفاً، معظمهم كان يسكن: يريفان، آخوريانى، كَومري، تاشيرى، آبوفيان ..الخ. ونحو ٧٠ ألفاً في جيورجيا، استقروا في مدن: تبليس، باتومي، روستافي، تيلافي، كوتايسي ..الخ[٢]. وفي روسيا قدر عددهم بين ٧٠ـ ٨٠ ألفاً، يسكنون موسكو، كراسنادار، غوركي، نوفوسبيرسك، ياروسلاف..الخ.

٦ـ إيزيديو الشتات (الدياسبورا): (نحو ٥٥ ألفاً) هاجروا إلى المانيا، ويتوزعون في مناطق شتى، مثل مدن: تسيلى، غيسن، بريمن، هانوفر، كولن، برلين، بون، فرانكفورت، هامبورغ ..الخ. أما مجموعهم في المهاجر الأوربية وغيرها فقرابة (٩٠) ألفاً.

كان الكُرد الإيزيديون هدفاً سهل المنال للدولة العثمانية وولاتها المحليين، لأنهم كانوا دون غطاء أو حماية دولية أو اقليمية أو محلية، ولم يكن الكرد الإيزيديون بمنأى عن الحروب، وكانت مناطقهم ساحة ساخنة للحرب الروسية ـ العثمانية، والحرب الصفوية ـ العثمانية، والحرب الروسية ـ الصفوية، مما تعرضوا للقتل والابادة والتهجير وجباية الضرائب التي كانت تقصم الظهر من قبل الدولتين العثمانية والصفوية. ورغم بعض الاصلاحات في ظل الدولة العثمانية تجاه الأقليات غير المسلمة بضغط من الدول الأوربية، إلا أنها لم تشمل الإيزيديين لأنهم أدرجوا كـ "طائفة اسلامية مارقة ومنحرفة"، وهذا ما نستشفه من كثرة الفتاوى الصادرة بحقهم.

---

(١) Êzdiyatî, jêdereke berê, R 30

(٢) Êzdiyatî, jêdereke berê, R 30- 31

توزعهم الجغرافي في الجزء الكُردستاني الملحق بسوريا:

عانت سوريا منذ فجر الاستقلال من وطأة الانقلابات العسكرية، ثم تفاقمت معاناة السوريين في ظل نظام البعث الشمولي، الذي انتهج سياسة الاقصاء والتهميش بحق معظم المكونات، وكان اضطهاد الشعب الكُردي مضاعفاً، فإلى جانب سياسة الاقصاء والتهميش، مورست سياسة عنصرية ضده تجلت في تلك المشاريع الاستثنائية، كالاحصاء الجائر والحزام العربي والتعريب وترقيق المناطق الكُردية، بغية إحداث التغيير الديموغرافي في الاقليم الكُردي، وتجريد الكُرد من أبسط حقوقهم القومية. بالمختصر المفيد استهدفت تلك السياسة أول ما استهدفت الهوية الكُردية، لكنَّ الشعب الكُردي قاوم استبداد النظام بالطرق والوسائل السلمية، وانتفاضة آذار عام ٢٠٠٤ شاهدة على هذا القول، كما شارك مع باقي المكونات السورية في الثورة السورية عام ٢٠١١، بهدف اسقاط الدكتاتورية، وإلغاء كافة المشاريع الشوفينية بحق الشعب الكُردي وإزالة آثارها السلبية، وإقامة سوريا اتحادية تعددية جديدة، تنعم سائر المكونات في ظلها بالعدل والمساواة والديمقراطية، بما في ذلك الكُرد، وإقرار ذلك في دستور جديد، ينص على حرية معتقدات الناس وديانتهم، ويحترم خصوصية الديانة الإيزيدية أسوة بالديانات الأخرى، ويعتمد اللغة الكُردية لغة رسمية في البلاد إلى جانب العربية، لكن الثورة أجهضت بعد أخْوَنَتِها والتدخل الاقليمي.

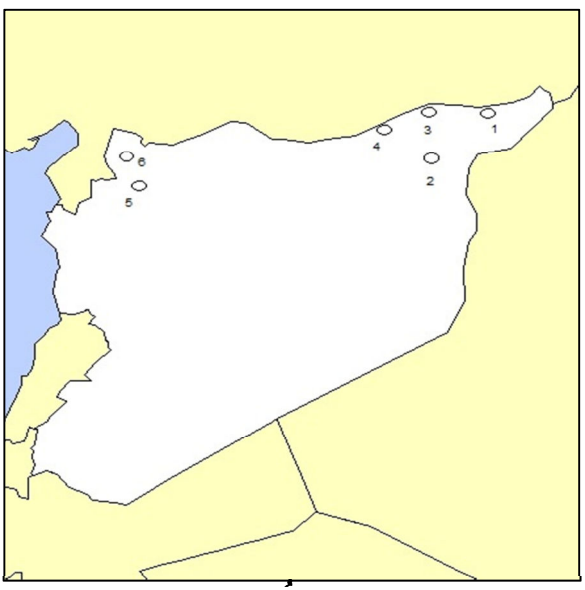

توزع الإيزيديين في الجزء الكُردستاني الملحق بسوريا

١ـ تربه سبي وريفها ٢ـ الحسكة وريفها ٣ـ عامودا وريفها
٤ـ رأس العين وريفها ٥ـ مدينة حلب ٦ـ عفرين وريفها

قدر عدد الإيزيديين في سوريا عام ٢٠١٣ بنحو ٥٠ ألفاً، يتوزعون في محافظتي الحسكة (٢٥ ألفاً) وحلب (٢٥ ألفاً) على النحو التالي:

أولاً . محافظة الحسكة (الجزيرة العليا):

١ــ نهر الجَرّاح (تربه سبي Tirbespî): يحتفل ايزديوها بعيد باتزمي (Batizmiya pîr Elî)، تحت اشراف شيخ مقبول ابن الشيخ ناصر Pêş îmam و پير عمو والفقير اسماعيل. يبدأ في السبت الأخير من كانون الأول، ويدوم سبعة أيام.

ـ الأحد: يخصص للتنظيف.

ـ الاثنين والثلاثاء والأربعاء: يقضونها في الصوم.

ـ ليلة الأربعاء/ الخميس: ذبح الأغنام وتوزيع خبز الموتى.

ـ الخميس: Şevberate شبيه بليلة القدر.

ـ الجمعة: يعايدون بعضهم البعض.

ـ السبت: تبدأ رأس السنة[١].

وهم يقطنون:

ـ بلدة تربه سبي يقطنها نحو ٥٠ أسرة ايزيدية، تنتمي إلى عشيرتي جيلكا (Çêlka) وخالتا (Xalita).

ـ قرية دريجيك (Dirêcîk) نحو ٥٠ أسرة ايزيدية، من عشيرة أفشي.

ـ قرية مِزْكَفت (Mizgevt) نحو ٤٠ أسرة ايزيدية، إلى جانب الكُرد المسلمين واليهود والمسيحيين. وايزيديوها من عشائر نمرداني وشفقتا وباجني ومحوكي.

ــ قرية تل خاتونك (Til xatûnk) نحو ٧٠ أسرة ايزيدية، إلى جاب الكُرد المسلمين. وايزيديوها من عشائر داسكا وبعجولا والبحنمنية وخالتا وتاقا وحزابية ونمر داني.

ــ قرية أوتِلْجه (Otilce) نحو ٣٠ أسرة كلها ايزيدية، تتوزع بين عشيرتي كيوخيا ومحوكا.

ـ قرية آلا رَشا (Alareşa) نحو ٣٠ أسرة ايزيدية، كلها من عشيرة الكفناسة.

وهناك أسر في القامشلي قرابة ٣٠ أسرة[٢]، فضلاً عن أسر أخرى في قريتي شَلومية (سكنها ايزيديو عشيرتي محوكا وأفشي) وگركێ شامو(سكنها أبناء عشيرة محوكا)[٣]، وبقيت أسرة واحدة في قرية ملا عباس[٤].

---

(1) Konê Reş, jêdera berê, R20

(٢) كونێ رەش، المصدر السابق، ص٣٥ـ٣٧.

(٣) فرماز غريبێ: الإيزيديون في سوريا، ٢٠١٣/١١/١٩ـ Malpera Dîmoqratî نقلاً عن كانيا سبي.

(4) Konê Reş, jêdera berê, R20

٢ـ الحسكة: يعيش قرابة ١٠٠ أسرة من عشائر مختلفة في مدينـة الحسـكة، كمـا يقطن الإيزيديون القرى التالية:

ـ بور سعيد: ٩ أسر من الـ (Sûanî).

ـ خربة ديلان: فيها ١٧ أسرة.

ـ مَعك: ١٢ أسرة من الـ (Sûanî).

ـ هيشَري (Hêşerî): ١٥ أسرة من الـ Sûanî.

ـ آفكَيرا (Avgîra): ٦ أسر من خالتا.

ـ خربة الجمل: ٢٠ أسرة من خالتا.

ـ موريك: ٧ أسر من الشرقية، من أقرباء درويش أفدي (Derwêşî Evdî).

ـ الناصرية: ٧ أسر من الشرقية، من أقرباء (Derwêşî Evdî).

ـ عنترية: ١٠ أسر من دنا.

ـ محمودية: ٦ أسر من خالتا، الآن لا شيء.

ـ كَرى رَش الغربية (Girê Reş Rojava): بقي فيها ٨ أسر.

ـ كَرى رَش الشرقية (Girê Reş Rojhilat): بقي فيها ١٢ أسر من عشيرة رَشِكا (Reşika).

ـ قُمَر غربي: نحو ٢٠ أسرة من عشيرة دِنا.

ـ قُمَر شرقي: ٧ أسر من عشيرة دِنا.

ـ جديدة 1 (Cidêda): ٨ أسر من دِنا.

ـ جديدة 2 (Cidêda): ٦ أسر من دِنا.

ـ تل تيّر (Til têr): نحو ٢٠ أسرة من دِنا.

ـ خربة شادي (Xirbê Şadî): ١٢ أسرة من Sûana.

- بَرزان (Berzan): ٢٥ أسرة من Sûana، وأسر عربية أيضاً في القرية.

- زيدية (Zêdiyê): نحو ٩٠ أسرة.

- تولكو (Toliko): نحو ٨٥ أسرة من عشائر الشرقية وخالتا والشيوخ.

ـ تل طويل (Til Tewîl): نحو ٤٠ أسرة من عشائر مختلفة، وأسر عربية.

ـ سليماني (Silêmanî): ٩٠ أسرة أكثرها من دِنا، وأسر عربية.

ـ خربة خِدِر (Xirbê Xidir): نحو ١٠ أسر من خالِتا.

ـ تِوينى (Tiwênê): بقي فيها ٦ أسر من عشيرة الشرقية.

ـ غيبش (Xêbiş): أسرة واحدة.

ـ تل تَمِر (Til Temir): أسرة واحدة من خالِتا.

٣ـ عامودا: يُطلق على ايزيديها (شرقيان)، وهم يعيشون مع مِلان، وينتمي شيوخها إلى عائلة الشيخ (هِتُّو Hito) من عائلة (Derwêşê Evdî)، وأولاد الشيخ هتو خالهم الأمير تحسين بك[١].

القرى التي يقطنونها:

ـ قِزِلجوك (Qizilçok): فيها ٢١ أسرة بما فيها أسرة الشيخ هتو، وهم من عشائر دنا، كرخي. في القرية مركز سياحي يُدعى بيلسان (Bêlîsan) عبارة عن مطعم واستراحة ومسبح.

ـ كرَنكو (Kerengo): نصف سكانها من الإيزيديين (١٥ أسرة)، والنصف الآخر من الكُرد المسلمين.

ـ كَندور (Gundor): نصف سكانها من الايزيديين (٢٠ أسرة)، والنصف الآخر من الكُرد المسلمين.

ـ دوكَر (Dugir): كل ساكنيها من الإيزيديين (٢٤ أسرة).

ـ جتَلى (Çetelê): بقيت فيها أسرتان ايزيديتان.

ـ خربه خوى القديم (Xirbî Xwêyî kevn): فيها ٢٥ أسرة ايزيدية.

ـ خربه خوى الجديد (Xirbê Xwêyî Nû): فيها ٧ أسر ايزيدية.

ـ قوليه (Qoliyê): فيها ١٠ أسر، وهي تتبع الدرباسية.

ـ خربه فقيرا (Xirbê Feqîra): بقي فيها نحو ١٥ أسرة.

ـ مركبة: فيها ٣٥ أسرة.

ـ تِر وهِشك (Tir û hişk): عُرِّبتْ إلى تل العشق، ظلت فيها ١٥ أسرة[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٥ـ ٢٨.

٤ـ رأس العين: بقي في مركز المدينة نحو ٣٠ أسرة، وقد هاجر ايزيديو المنطقة إلى كُردستان الجنوبية (جبل سنجار)، وهاجر بعضهم إلى منطقة عفرين، جرّاء الفرمانات التي أصدرتها السلطات العثمانية، وسنوات الجفاف، والصراعات العشائرية خصوصاً مع عشيرة قيس أو كَيس Gês العربية، أما الباقون فيتقاسمون شظف العيش مع أخوتهم الكُرد من مِلان (ملان خضر والباشا)[١]. يسكنون القرى التالية في شرقي رأس العين:

ـ جان تمر: تقع على نهر جرجب الكبير، وفيها ٣٥ أسرة من عشيرة خالتا.

ـ زيدية: ٢٥ أسرة من خالتا.

ـ شكرية: ٢٢ أسرة من خالتا.

ـ تل بيدر: فيها ٦ أسر.

ـ مِريكيش (Mirêkîs): بقيت فيها أسرتان.

ـ دردارا: بقيت فيها ١٠ أسر.

ـ تل صخر: بقيت فيها ١٥ أسرة من خالتا.

ـ Lizge: فيها نحو ٥ أو ٦ أسر من عشيرة ماسَكا.

ـ أسدية: ايزيديوها من خالتا.

أما قرى غربي رأس العين، فهي:

ـ خربه بتانى (Xirbê Betanê): تقع غربي رأس العين بنحو ٢٢ كم، فيها ١٠ أسر من خالتا.

ـ تل نايف: بقيت منهم ٧ أسر من خالتا.

ـ تل خنزير: بقيت منهم أسرة واحدة وهي من عشيرة خالتا.

ـ قيزى (Qîzê): عربت إلى أبو جرادة، كان فيها ٢٠ أسرة.

ـ تِليليه (Tilêliyê): فيها نحو ١٠ أسر[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٣١ـ ٣٣.

ثانياً ـ محافظة حلب/ قضاء عفرين جياي كُرمينج (Çiyayî Kurmênc):

معظم سكان Çiyayê Kurmênc/ عفرين كانوا من أتباع الديانات الشمسية التي تعد المثرائية والإيزيدية والزردشتية امتداداً لها. تعود الكثير من المعابد في منطقة عفرين إلى العصر الهوري ـ الميتاني، فمثلاً معبد قرية كفر نابو، كان معبداً إيزيدياً، قبل قدوم مار مارون، المبشر المسيحي في عفرين وجبل ليلون إلى هذه القرية (نحو عام ٣٩٨ ميلادي)، ومن المفيد قوله أن حجارة تلك المعابد أستخدمت في بناء الكنائس عقب إنتشار المسيحية في المنطقة، فمثلاً أقيمت كنيسة على أنقاض معبد كفر نابو، وحين جاء الاسلام استخدم بدوره حجارة المعابد والكنائس في بناء الجوامع (جامع بني أمية الكبير في دمشق والجامع الأموي الكبير في حلب أنموذجاً الذي بناه الأمويون عام ٧١٥م). ويشتهر قضاء عفرين بالآثار والقلاع والكهوف (كهف دودري)[١] والمزارات.

عدد الإيزيديين في تقهقر منذ العهد العثماني فلم يتنفسوا الصعداء جراء حملات الجيش العثماني، وتحول قسم كبير منهم إلى الاسلام، عدد قراهم نحو ٥٨ قرية، تتوزع في مناطق: جومى، شكاكا، شيراوا[٢].

قدر عدد الإيزيديين قبل عام ٢٠١١ بنحو ٢٥ ألفاً، رغم أن معظم سكان المنطقة كانوا إيزيديين قبل قرون، ولكثرة ما كان فيها من أتباع هذا الدين، خصص طاووس/ أحد السناجق لولاية حلب. الإيزيديون في عفرين أقل تعصباً، بدليل أن الزواج المدني بين الكُرد (الإيزيديين والمسلمين) يشق طريقه، رغم الحظر الديني من الطرفين.

ينتشر الإيزيديون حالياً في قرى سهل جوما (cûmê) وسفوح Çiyayê Kurmênc وسفوح جبل سمعان Çiyayê Lêlûnê منذ قرون، وفي العهد العثماني دخل الكثير من ايزيديي المنطقة الاسلام على مضض، وتبنى بعضهم المسيحية بعد الميلاد أو جرّاء نشاط البعثات التبشيرية فيما بعد، فضلاً عن الهجرة، وهم يتوزعون بين العشائر التالية: رَشكان (Reşkan)، دِنادي (Dinadî)، قوباني (Qopanî)، خالتي (Xalitî)، شرقيان (Şerqiyan)، داوديا (Dawidya).

---

(١) عثر فيه على هياكل عظمية تعود إلى إنسان نياندرتال.

(٢) أحمد سينو، المصدر السابق، ص٤٤.

أهم المناطق والقرى التي يقطنها الإيزيديون ويتوزعون فيها جغرافياً في مدن: عفرين، اعزاز، حلب، أما أهم القرى التي يتواجدون فيها حالياً، فهي:

ـ منطقة شكاكا: قسطل جندو، بافلون، قطمة، سينكا، Elîqîna.

ـ سهل جوما (Cûmê): فقيرا، كفر زيت، آشكى شرقي (Aşkê Şerqî)، شادرية، Ceqelê Cûmê، إيسكا، قيلى (Qîlê)، Qujûma.

ـ جبل ليلون وقلعة سمعان: عرش قيبار، ترندة، كيمارى (Kîmarê)، عين دارا، غزاوية، برجى عفديل (Bircê Evdêl)، باصوفان، كوندى مَزِن (Gundê Mezin)، شادير (Şadêr)، إيسكا، بعية[1].

جدير ذكره، أنه وبعد سيطرة "داعش" على إعزاز، تعرضت في نهاية تشرين الأول ٢٠١٢ قرية قسطل جندو وغيرها، التي يدين سكانها بالايزيدية لضغوط عناصر مسلحة، تدعوهم إلى نبذ دينهم وإعتناق الاسلام، كما شن تنظيم "داعش" والمجاميع التكفيرية هجمات على القرى الكُردية، وفي مقدمتها تلك التي يقطنها الكُرد الايزيديون، لكن تم التصدي لها ببسالة، وتكررت تلك الهجمات في منطقة الجزيرة أيضاً، من قبل جبهة النصرة (أحرار الشام) على المناطق الكُردية بما فيها القرى التي يقطنها الكُرد الايزيديون، كما في رأس العين (Serê Kaniyê).

عانت المنطقة من سياسة التعريب، فضمت ما تسمى (أراضي الدولة)، الأراضي الجبلية غير المستصلحة وحرم الأنهار والمناطق الأثرية، ومكامن الثروات الباطنية والمقالع، والثكنات العسكرية، ثم وزعت على المستقدمين العرب بعقود شكلية بداية، وبعد تثبيت ملكية هؤلاء، منحوا سندات تمليك تحت ستار الاصلاح الزراعي. أغلب المستقدمين كانوا من مناطق لواء اسكندرون ومنبج والباب والسفيرة وأبي الظهور وإعزاز، وقد منحهم النظام أراضي زراعية خصبة على طول نهر عفرين وفي سهل جومة وقرى جنديرس، ناهيك عن التات الذين قدموا من دارة عزة واعزاز، وعناصر قدمت من نبل والزهرء وحيان وتل رفعت، كما استقدم بعض الأغوات الكُرد العمالة العربية الرخيصة، بهدف الاستفادة منها. وبنتيجة ذلك تم استيطان هؤلاء في

---

(١) راجع الدكتور نضال درويش: الإيزيديون السوريون في كرداغ والجزيرة: بناء الهويات في مجتمع متغاير، موقع مدارات كرد. وراجع أيضاً محمود كلش: الإيزيدية في منطقة عفرين. وراجع أيضاً روجيه ليسكو، المصدر السابق ، الملحق ٦، القرى الإيزيدية في جبل سمعان.

نحو ٢٥ مستوطنة، بهدف إحداث التغيير الديموغرافي في المنطقة[١]. ومما زاد الطين بلة إصدار المرسوم رقم ٤٩ لعام ٢٠٠٨، الذي يتناول المناطق الحدودية، بغية دفع الكردي إلى بيع بيته وأرضه والهجرة، ولا ننسى قرارات وزارة الادارة المحلية التي نصت على تعريب أسماء القرى والمدن والجبال الكردية، أو تلك القاضية بمنع تسمية المواليد الجدد بأسماء كردية، أو القرارات الصادرة بين الفينة والأخرى من جهات مختلفة، والتي تقضي بعدم التكلم باللغة الكردية في الدوائر الرسمية، أو إغلاق محلات الكاسيت والفيديو في حيي الأشرفية والشيخ مقصود بحلب.

وفي عام ٢٠١٨ إجتاحت تركيا ومرتزقتها منطقة عفرين، وعاثت فيها خراباً ودماراً.

(١) زكريا حصري، عفرين نامة، المصدر السابق.

المبحث الثاني: الواقع والحل

وضعهم في العهد "الوطني":

حدد "قانون الأرض" في ظل الدولة العثمانية الصادر عام ١٨٩٨ الملكيات الاقطاعية الممنوحة للوجهاء، وقام الفرنسيون (١٩٢٠ ـ ١٩٤٦) بتسريع وتيرة تكوين طبقة الاقطاعيين في سوريا، من خلال خصخصة أراضي الوقف والدولة، بما في ذلك أراضي السلطان العثماني التي كانت تستثمر من قبل الفلاحين، وذلك من خلال بيعها بثمن بخس، فاستبدل نظام جباية الضرائب في العهد العثماني، وحل محله نظام الملكية الخاصة للأرض في العهد الفرنسي، في إطار العلاقات الاقطاعية ذاتها، مما تسببت هذه الاجراءات في سلب الأرض من ٢٠ ألف أسرة سورية، توزعت على ٨٥٤ قرية في العهد الفرنسي[١].

واستمر هذا الوضع في العهد "الوطني"، وكان الكرد الإيزيديون مع أسرهم يعملون في أراضي الاقطاعيين كفلاحين محاصصة، مستخدمين تكنولوجيا بدائية، حياتهم أشبه بحياة العبيد، كانوا يقدمون خدمات أخرى (السخرة) هم وأسرهم لسيدهم الاقطاعي، كارسال بناتهم وزوجاتهم إلى بيته للعمل مكرهين دون مقابل. وبعد صدور قانون الاصلاح الزراعي في نهاية الخمسينات وبداية الستينات من القرن العشرين، لم تتحسن أوضاعهم، مما شكل حافزاً قوياً للهجرة إلى الخارج.

١ـ الوضع الديني: الإيزيديون في سوريا، مضطّهَدون على كافة الصعد، فهم مضطهَدون قومياً لأنهم كُرد، ومضطهَدون دينياً لأنهم إيزيديين. فقد حرموا من حرية ممارسة شعائرهم الدينية، وتعليم أصول ديانتهم، وحظر عليهم بناء أماكن العبادة أسوة بالمسيحيين واليهود والدروز، أو إقامة مراسيمهم الدينية مثل طواف طاووس ملك، التي كانت تتم بمنتهى السرية، وأجْبِروا على دراسة مادة "التربية الدينية الاسلامية" في المدارس، وتقديم إختباراتهم بها.

٢ـ الوضع القانوني: وضعهم القانوني غير معترف به، فهم في قضايا الزواج والطلاق، وما يتعلق بذلك يخضعون للمحاكم الشرعية الاسلامية[٢]. لذا، تتم طقوس

---

(١) رايموند هينبوش: تشكيل الدولة الشمولية في سوريا البعث، ترجمة: د. حازم نهار، مراجعة وتقديم: د. رضوان زيادة، دار رياض الريس، بيروت ٢٠١٤، ص٦٧.

(٢) عمار قربي، الديانة الإيزيدية، مصدر سابق، ص٢٤.

الزواج من قبل رجال الدين الإيزيديين، لكنها غير معترف بها من قبل السلطات القضائية، فيضطر الإيزيديون اللجوء إلى المحاكم الشرعية الاسلامية، رغم أن المادة (٣٥) من الدستور السوري تنص على أن حرية الاعتقاد مصونة، وتكفل الدولة حرية القيام بالشعائر الدينية للجميع.

٣ـ الوضع الاقتصادي: يتصف الواقع الاقتصادي بأنه مزري، فقد عانى الإيزيديون على يد الأغوات الكُرد من بني جلدتهم، كما عانوا الأمرّين من سياسات التمييز العنصري للسلطات المتعاقبة، التي جرّدت قسماً منهم من حقوقهم الاقتصادية، من خلال مشاريع استثنائية وسياسات تعريب مقيتة، كاقامة مزارع الدولة "الحزام العربي"[1]، في منطقة الجزيرة، فاستولت على أراضيهم الخصبة، وأسكنت العرب (المغمورين) من محافظتي الرقة وحلب فيها، وجردت قسماً آخر من الجنسية وفق الاحصاء الاستثنائي ١٩٦٢، وهم المصنفون في عداد "الأجانب والمكتومين"، فمن الطبيعي أن يعاني الإيزيديون في ظل هذه السياسة الاقتصادية الفقر المدقع، مما سرّع هذا الوضع من وتيرة هجرتهم إلى أوربا.

٤ـ الوضع السياسي: يعاني الكُرد الإيزيديون كسائر أخوتهم الكُرد المسلمين، من سياسات تعدُّ عليهم الأنفاس، وفي مقدمتها سياسة التمييز العنصري، وتجريدهم

---

(١) في عام ١٩٦٢ ساد المد الشوفيني في سوريا، بدليل أن الصحف الرسمية الصادرة يومذاك كتبت على صدر صفحاتها بالمانشيت العريض "اسرائيل ثانية في شمال سوريا"، وأصدر الملازم أول محمد طلب هلال رئيس الشعبة السياسية بالحسكة دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية، الاجتماعية، السياسية، كانت محشوة بالحقد والكراهية والنزعة الشوفينية ضد الكُرد، طالب فيها السلطة تنقية الجزيرة من "الأغيار" ـ الكُرد، صعاليك الشرق، وإسكان العناصر العربية في المناطق الكُردية بعد تهجير الكُرد، واصفاً اللغة الكُردية في الوقت نفسه بلغة النَّوَر، كما زعم أن لا تاريخ للشعب الكُردي ولا حضارة، واعتبرً القضية الكُردية بأنها مشكلة لا بل ورم سرطاني خبيث في جسم الأمة العربية يجب بتره. بعد ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠ بدأت بوادر تطبيق الحزام العربي على أرض الواقع، وذلك ببناء عشرات المستوطنات النموذجية للعرب الذين إستقدمتهم السلطات من محافظتي حلب والرقة، على طول الحدود السورية ـ التركية في منطقة الجزيرة، عقب استلائها على كامل الشريط الحدودي (بطول ٢٧٥كم وعرض حتى ٢٠كم، واعتبار هذا الشريط عبارة عن "مزارع الدولة").

راجع: الحزام العربي في الجزيرة ـ سوريا، عبدالصمد داوود، الطبعة الثانية المعدلة ٢٠١٥، بلا مكان الطبع.

من أبسط حقوقهم السياسية والثقافية، ناهيك عن سياسات التعريب المختلفة التي طالت البشر والحجر وفق تعبير سليم بركات.

هناك تساؤل مفاده، لِمَ لَمْ يُقْدِم الإيزيديون في سوريا والعراق وغيرهما من مناطق الانتشار على تأسيس أحزابهم السياسية الخاصة بهم؟ نجد أن الأخوة الإيزيديين ينخرطون في كل الأحزاب الكُردستانية، وساهموا في الثورة الكُردية في العراق، لأنهم كُرد أصلاء لا غبار عليهم، وإذا كان هناك مَنْ يُرجع نسبه إلى العرب، فهذا يُعَدُّ استثناءً، فَكَمْ من الكُرد المسلمين الذين يُرجعون بدورهم نسبهم إلى آل البيت أو إلى أحد الصحابة، ويتباهون به أمام الملأ[1].

ويمكن هاهنا تأمل نموذجين يعرّيان سياسات التعريب المقيتة السالفة الذكر، في كل من العراق وسوريا:

أ ـ نموذج قضاء سنجار في الجزء الكُردستاني الملحق بالعراق:

شهد القضاء تغييراً ديموغرافياً وعرقياً ودينياً، منذ وصول جيوش الغزو العربي سنة (٢٠ هـ ـ ٦٤٠ م)، ومروراً بأواخر العهد العثماني حيث شهدت المنطقة قيام مستوطنات عربية (لاسيما خلال ولاية مدحت باشا للعراق ١٨٦٩ـ ١٨٧٢ من خلال تشجيعه العشائر البدوية على الاستقرار في المنطقة، حيث أقيمت المئات من القرى بين سنتي ١٨٥٠ـ ١٩١٨ بين سنجار وتلعفر)[2]، وانتهاءً بتأسيس الدولة العراقية والمشاريع المنفذة في العهدين الملكي والجمهوري. ففي العهد الملكي شجعت الدولة العشائر العربية الرحالة القادمة من الجنوب عام ١٨٠٣ مثل الشمر على الاستقرار في منطقة سنجار، وفي العهد الجمهوري، خصوصاً في عهد البعث، تصاعدت وتيرة التعريب، فقد أجبروا سكان الريف في المنطقة العيش في مجمعات خاصة ليسهل التحكم بهم، مثل: العروبة، القادسية، الأندلس، اليرموك، حطين، الجزيرة[3]. ويورد الاستاذ الدكتور خليل اسماعيل محمد جدولاً عن سكان قضاء سنجار بحسب القومية في الفترة (١٩٥٧ـ ١٩٧٧):

---

(1) زيادة في التوضيح راجع: علي جزيري، كُردستان سوريا أنموذجاً، المصدر السابق.

(2) الدكتور خليل اسماعيل محمد: المؤشرات السياسية للتغيير الديموغرافي في قضاء سنجار، مجلة الأكاديمية الكُردية، العدد (٣٦) اربيل، ٢٠١٦، ص٣٣٦.

(3) المصدر نفسه، والصفحة ذاتها.

الفترة	الكُرد ٪	العرب ٪
١٩٥٧	٧٨,٣	–
١٩٦٥	٦٧,٢	٢٦.٤
١٩٧٧	٦,١	٩٣,٥

لو تأملنا الجدول لتبين ما فعلته سياسة التعريب في "قضاء سنجار" بين عامي (١٩٥٧ ـ ١٩٧٧)[١]، في انخفاض نسبة الكُرد ومعظمهم من الإيزيديين من ٧٨,٣٪ إلى ٦,١٪ في هذه الفترة القصيرة، وارتفاع نسبة العرب بالمقابل إلى ٩٣,٥٪ خلال نفس الفترة[٢]. لم تمنح الحكومات العراقية المتعاقبة في العهد "الوطني" أية حقوق أو امتيازات دينية، كما لم يشهد العراق تسلم أي إيزيدي لمنصبٍ إداري مهم باستثناء قلة قليلة، بل عمدت بعد سنة ١٩٦٣ إلى تسجيلهم عرباً خلافاً لرغبتهم، في التعدادات السكانية (١٩٧٧، ١٩٨٧، ١٩٩٧)، بينما يتمتعون، في القسم المحرر من كُردستان بحقوقهم الدينية[٣].

بعد سقوط الطاغية في العراق جاء ذكر (الإيزيدية) في المادة (٢–٢) من الدستور العراقي ٢٠٠٥، كاعتراف رسمي لم يحظ به الإيزيديون من ذي قبل، فضلاً عن تمثيلهم في ديوان أوقاف الديانات الثلاث التابع لمجلس الوزراء في الحكومة الاتحادية، وهناك مدير عام لشؤون الإيزيدية في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في حكومة اقليم كردستان العراق، ونص القانون رقم (٤) لحماية المكونات في اقليم كردستان العراق لسنة ٢٠١٥ على الاعتراف بالإيزيدية في مادته الأولى فقرة (٢)... والأعياد الرسمية للإيزيديين معترف بها في الأقليم، وتدرس مادة (الأيزيدياتي) للطلبة الإيزيديين، وتحظى المراكز الثقافية التي تعني بالثقافة والتراث الايزيدي بالدعم الرسمي من قبل حكومة الاقليم (سعد سلوم: حماية الأقليات الدينية والاثنية واللغوية في العراق، جامعة الكوفة ٢٠١٧، ص١٦١–١٦٢).

---

(١) حدث هذا عقب نكسة الثورة الكُردية ١٩٧٥.

(٢) للمزيد عن سياسة التعريب والتطهير العرقي في منطقة شنكَال (سنجار) راجع الملحق رقم (٢).

(٣) الدكتور عبدالفتاح بوتاني: ملاحظات أولية عن الإيزيدية والإيزيديين، مجلة لالش، العدد ١٢، مصدر سابق، ص٤٥.

ب ـ نموذج منطقة نهر الجراح (تربه سبي: قبور البيض أو القحطانية) في الجزء الكُردستاني الملحق بسوريا:

شمل المشروع الخطير "مشروع الحزام العربي" في محافظة الحسكة (الجزيرة)، القرى الكُردية على طول الحدود السورية ـ التركية، بما فيها القرى التي يقطنها الإيزيديون، هذا المشروع استهدف أول ما استهدف الوجود الكُردي. ففي عام ١٩٦٦ تم الاستيلاء على الشريط الحدودي (الحدود السورية ـ التركية)، من نهر دجلة شرقاً وحتى حدود محافظة الرقة غرباً بطول ٣٥٠ كم، وعرض من ١٠ـ ١٥ كم، وباشرت الدولة باستثماره تحت اسم "الحزام العربي"، ولما تنبهت السلطات الأمنية السورية أن التسمية تعبر عن سياسات التعريب بشكل فاضح، سرعان ما لجأت إلى استبدال التسمية بـ "مزارع الدولة"، كيلا تثير حنق الكُرد الذين حُرموا من استثمار أرض آبائهم وأجدادهم، لكن المشروع قوبل بالاستنكار من قبل الفلاحين الكُرد، لادراكهم كنهه، فهو كان يستهدف فصل الكُرد عن أخوتهم في كُردستان الشمالية والجنوبية على حد سواء أولاً، وتجريد الكُرد عن أرضهم ثانياً، والمشروع نفذ وفق مقترحات محمد كرد علي في العهد الفرنسي، ومحمد طلب هلال في العهد "الوطني"، بهدف تهجير الكُرد أو طمس الهوية الكُردية على أقل تقدير.

وقد انتفض الفلاحون الكُرد ضد هذا المشروع العنصري في العديد من القرى، ففي قرية تل خاتونكى، التابعة لناحية تربه سبي (التي عُرِّبَت إلى قبور البيض، ثم إلى القحطانية)، جرت مقاومة الحزام، وكان ٤٢ فلاحاً يستثمرون (٥٠٤٠ دونماً أي ٥٠٤ هكتاراً) من أملاك آل حاجو آغا، أي بمعدل (١٢٠ دونماً / ١٢ هكتاراً) لكل عائلة، لكن السلطات جاءت وهددت أولاً بالاستيلاء لصالح ما يُسمى "مزارع الدولة"، وحين رفض الفلاحون، جاءت مفرزة من الشرطة، لكن الفلاحين منعوهم من ذلك، فضربَ الفلاح عصمت أرزانة أحد رجال الشرطة دفاعاً عن النفس، وفي يوم الخميس ١٥ أيار ١٩٦٧، حضرت قوة تحت قيادة الملازم محسن غبرة، على متن ١٥ سيارة زيل عسكرية، مدعومة بـ ٢٠٠ عنصر مسلح من الهجانة والشرطة، فقاوم الأهالي بعد أن خطب فيهم الفلاح فقير حسي يحرضهم على المقاومة، وحدث الاشتباك الذي دام أكثر من ساعة، وجرح على أثر ذلك خمسة من الفلاحين، هم: كَينجو ميرزا، رشو تمو، ميرزو علي، عزيز كلامة، ميرزو حسن حزير. ورغم التهديد والوعيد من قبل

غبرة، رفض الفلاحون الانصياع لأوامره، فاعتقلوا على أثره ١٦ فلاحاً، منهم: خلف كلش، حنو فرحو، حزني محو، يوسف أرزانة، سليمان ابراهيم، سلو نبو، اسكندر ابراهيم، عصمت ابراهيم، تحلو عمر. وقامت الشرطة بضرب الجميع بمن فيهم الجرحى، وساقتهم إلى سجن القامشلي، ثم أفرج عنهم في ١٠ حزيران ١٩٦٧ عقب الحرب العربية ـ الاسرائيلية في ٥ حزيران، بعد أن أمضوا في السجن ٢٦ يوماً[١].

بعد الاستيلاء على الأرض، شُكلت لجنة برئاسة محمد جابر بجبوج، الأمين القطري المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي، وعبدالله الأحمد عضو القيادة القطرية، اللذين أشرفا على استقدام العرب من محافظتي الرقة وحلب لاسكانهم في منطقة الحزام العربي، في ٢٤ حزيران ١٩٧٤، بعد اتخاذ القرار المشؤوم تحت الرقم (٥٢١). أقامت الدولة على نفقتها ٤٣ مستوطنة في أخصب الأراضي الزراعية، وزودتها بكل مستلزمات الحياة. وسنكتفي بذكر تلك المستوطنات التي أقيمت في عقارات القرى التي يقطنها الكُرد الإيزيديون في ناحية تربه سبي وحدها، وهي[٢]:

اسم القرية	الرقم العقاري	المساحة العامة	المساحة المستقطعة
مستوطنة المناذرة			
آلا رَشا	٧٥٤	١٠٨٤٠ دونم	٩٦٦٠ دونم
أوتلجة	٥٧٨	٥٠٠٠ دونم	٣٠٩٠ دونم
مستوطنة الحرمون			
تل خاتونكي	٥٥٧	٧١٠٠ دونم	٦١٩٢ دونم
مزكَفت	٦١٦	٦٥٥٠ دونم	٦٤٦٠ دونم
مستوطنة القحطانية			
تربه سبي	٦١٤	١٥٠٠٠ دونم	١١٣٥٠ دونم
دريجيك	٦١٣	٥٠٨٠ دونم	١٥٠٠ دونم

إزاء هذا المشروع الشوفيني تباينت المواقف إلى حد التناقض، ففي الوقت الذي أصدر فيه الحزب الديمقراطي الكُردي اليساري في سوريا نداء إلى الرأي العام

---

(١) عبدالصمد داوود: الحزام العربي في الجزيرة ـ سوريا، ط٢ المعدلة ٢٠١٥، ص٤٤ و٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٤ و١٢٣ و١٣١.

السوري، في أوائل حزيران ١٩٧٣، وتلاه الحزب الديمقراطي الكُردي في سوريا (البارتي) باصدار بيان بهذا الصدد في أواسط تموز ١٩٧٣، لكن ـ وللأسف الشديد ـ تقاعسَ (بعضُ الوجهاء، وبعض رؤساء العشائر، وبعض الملاكين الوصوليين، وباركوا أو غضوا الطرف عن مجيء هؤلاء، إلا أن الطامة الكبرى كانت في أن بعض القوى السياسية المحلية ـ الأممية والكُردية ـ باركت أو آثرت السكوت، وكان من بين هذه القوى، الحزب الشيوعي السوري، ومن خلال منطقية الجزيرة، التي رحبت بهذا المشروع ودافعت عنه)[١].

ومما يؤسف قوله، أن عضو الحزب الديمقراطي الكُردي في سوريا (البارتي) محمود صبري، كتب آنذاك مقالاً في جريدة الحزب المركزية[٢]، تحت عنوان: "أهلاً بك يا أخي الفلاح العربي الوافد"، عقب اعتقال قيادة حزبه[٣] بخمسة أشهر، الغالب عليه (طابع الاستجداء والاستعطاف، والتملق، والتذلّل، وطلب العفو والمغفرة... لا بل إنه مسرور بقدوم هؤلاء)[٤].

تناولتْ هذا المشروع العنصري العديد من الأقلام والمغنون، ومن هؤلاء الشاعر جكرخوين، وفيما يلي أبيات من قصيدته (حزام / زنار):

Zincîreke ji hesin
Ew davêjin milê min
Da mi ji qurm ve rakin

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٥.

(٢) دنكي كرد، العدد (١٩)، أواخر كانون الأول ١٩٧٣، دون ذكر اسمه، لأنه كان يومها رئيس هيئة التحرير وفق قول سليم عمر(محمود حسين)... ينظر كتابه.

(٣) اعتقل النظام في ١ آب ١٩٧٣ أربعة من أعضاء قيادة الحزب، بمن فيهم السكرتير، وهم: دهام ميرو، كنعان عكيد، نذير مصطفى، أمين كلين، إضافة إلى ثلاثة من أعضاء اللجنة الاستشارية، وهم: محمد ملا فخري، خالد مشايخ، عبدالله ملا علي.

(٤) سليم عمر: الحركة القومية الكُردية في غرب كُردستان ١٩٦٥ـ ٢٠٠٤، التّبعيّة وغيابُ الرؤية، ص٨٤. وهو اسم حركي للاستاذ محمود حسين، الذي تبوّأ مناصب قيادية، وكان عضواً في المكتب السياسي في (البارتي)، ومقيم الآن في هولندا، وقد نشر المذكور المقال بالكامل، لكنني إرتأيت أن أكتفي بعبارة واحدة من المقال المذكور، يقول فيها: "يسرّني أن أستقبلك بأرضي أيها الأخ الفلاح العربي"...!. وبلهجة المتهكم يردُّ سليم عمر: ربما تأثر الرجل (يقصد بالرجل محمود صبري) ببيت شعر قال فيه المتنبي:

لا خَيْلَ عندكَ تُهديها ولا مالُ فلْيُسعد النُطْقُ إنْ لم تُسعدِ الحالُ

Qada min jî levakin
Ereb anîn gundê min
Min dijmêrin ji dijmin

الترجمة: "حزام من الحديد، حملوه على منكبي، كي يجتثوني من الجذور، ويقتسموا أرضي، أسكنوا العرب في قريتي، وصنفوني من الأعداء".

وقد سبق هذا المشروع اصدار المرسوم رقم (٩٣) عام ١٩٦٢، أي في عهد حكومة الانفصال، وقضى المرسوم باجراء إحصاء استثنائي في الجزيرة (محافظة الحسكة)، في يوم ٥ تشرين الأول ١٩٦٢، وعلى أثره صنفت شريحة كبيرة من الكُرد كأجانب ومكتومين، وطالت النتائج شريحة واسعة من الكُرد الإيزيديين. وتواصلت سياسات التعريب، ففي أيلول ٢٠٠٨ صدر المرسوم (٤٩)، الذي نص على مايلي: لا يجوز نقل أو بيع أو شراء عقارات في المناطق الحدودية، إلا بموافقة أمنية. وما زاد الطين بلة، تلك القرارات التي كانت تصدر بين الفينة والأخرى لتعريب أسماء البلدات والقرى والمزارع الكُردية، ومنها طبعاً التي يسكنها الكُرد الإيزيديون، مثل بلدة تربه سبي، التي عربت مرتين، المرة الأولى إلى قبور البيض والثانية إلى القحطانية، كما عربت وفق القرار رقم ٢١٢٣/ ن الصادر عن وزارة الادارة المحلية أسماء القرى التالية في منطقة نهر جرّاح:

اسم القرية القديم	اسمها بعد التعريب
أوتلجة	الثلجة
دريجيك	المرج
مزكَفت	وهران
ملا عباس	دلتا

أما بالنسبة لتغيير اسم قرية ملا عباس، ننوه بأنه تم وفق القرار رقم (٣٣٤) الصادر عن محافظ الحسكة ورئيس المكتب التنفيذي صبحي حرب، هذا القرار الذي نص على تغيير أسماء ٢٠٩ مدرسة لتتوافق مع أسماء القرى الجديدة[١].

(١) ينظر كراس حملة تعريب أسماء المدن والقرى الكُردية في كُردستان سوريا، ص٥٥، الذي قام التحالف الديمقراطي الكُردي في سوريا بإعداده، والذي طبع في مركز الدراسات الكُردية وحفظ الوثائق (مركز بيشكجي) التابع لجامعة دهوك سنة ٢٠٠٩.

ما العمل؟

المتأمل في الخطاب الشعبي السائد اليوم، والذي يتمترس تحت عباءة الاسلام السياسي من جهة، والخطاب السياسي الرسمي الذي يُروِّج اليوم تحت يافطة "الفضاء الوطني الجامع" من جهة أخرى، لن يجد فرقاً شاسعاً بين الأنساق القيمية المهيمنة التي تُرَوَّج اليوم، وتلك التي دعا إليها زهير بن أبي سلمى والمتجسدة في قوله: "ومَنْ لا يَظلم الناس يُظلم"، أو ما أنشده عمرو بن كلثوم:

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
بغاة ظالمين وما ظلمنـــا ولكننا سنبدأ ظالمينـــا

وسبق أن أدلى محمد مهدي الجواهري في مقابلة تلفزيونية لإحدى الفضائيات، أجراها معه حسن العلوي عام ١٩٧٠: (إن معاناتي الحالية كجواهري هي نفس معاناة المتنبي، رغم أنه بيننا مسافة ألف سنة، لأن المنطق الذي ساد عصر المتنبي هو نفس المنطق الذي يسود مجتمعنا).

إن هذا التجانس، بين الماضي والحاضر، ينطوي على عيوب نسقية في الثقافة الرائجة اليوم في الدول التي تقتسم بلاد الكُرد بحق، ولعل "الأنا" المتورمة، وإلغاء الآخر، والتعالي عليه في الممارسة يأتي في المقدمة. ويكمن الخطر أن مثل هذا الموروث السلبي، المستلهم من الماضي من جهة، والمُوَّلَف وفق الايديولوجيات الرائجة، وفي مقدمتها ايديوجية الاسلام السياسي إلى حدٍّ الثمالة من جهة أخرى، تنساق وراءَه الجماهير، فتغدو تلك الثقافة أداة للهيمنة على الآخر ـ الإيزيدي تحديداً ـ بهدف تجريده من هويته الكردية والدينية على السواء[1].

من هنا باتت القضية تتطلب في الجزء الكُردستاني الملحق بسوريا، بغية وضع حد لهجرة وتهجير هذا المكون الأصيل، النضال في سبيل:

أ ـ الاعتراف الدستوري بالديانة الإيزيدية، وتخصيص مديرية في إطار وزارة الأوقاف كما هو الحال في إقليم كُردستان العراق، تضمن السماح لهم بإقامة معابدهم، وشعائرهم الدينية، أسوة بالاسماعيليين مثلاً في منطقة السلمية وغيرهم.

ملاحظة: كان التحالف يضم يومها الأحزاب التالية: الاتحاد الشعبي الكردي في سوريا، الديمقراطي التقدمي الكردي في سوريا، الديمقراطي الكردي في سوريا/ البارتي، الوحدة الديمقراطي الكردي في سوريا/ يكيتي، اليساري الكردي في سوريا، الديمقراطي الكردي السوري.

(1) علي جزيري، دور الانتلجنسيا الكردية في الحياة السياسية، المصدر السابق، ص١٣.

ب ـ تأسيس مديرية في إطار وزارة التربية، تقوم بالاشراف على وضع مناهج التربية الدينية الإيزيدية في كافة المراحل التعليمية، بما في ذلك التعليم العالي، من قبل إيزيديين مختصين.

ج ـ إقامة محاكم خاصة بالإيزيديين تحت اشراف وزارة العدل، مختصة بالأحوال المدنية، وتعيين مرجع قضائي خاص بهم في محكمة النقض.

د ـ يضاف إلى ما ذكر، تأمين حقوقهم السياسية والاقتصادية والثقافية، في إطار الاعتراف بحقوق الشعب الكُردي.

لكن هذا الأمر يستدعي تحقيق الديمقراطية التوافقية، وإعادة ترتيب علاقة الأقليات الدينية من مسيحية وإيزيدية وغيرهما بالأكثرية المسلمة على أساس فصل الدين عن الدولة، وهذا يتطلب وضع دستور جديد ضماناً للمساواة، في كل الدول التي تتضمن هذا المكون العريق.

رغم معرفتنا أن واقع الحال أمرّ وأقسى مما نتصور بعد ما آلت إليها الأوضاع في سوريا والعراق مؤخراً، فالمأساة التي عاشها الإيزيديون فيما يُسمّى بـ: "العهد الوطني"، أضيفت إليها مخاوف الحاضر، فزادت من وتيرة الهجرة والتهجير. والملف الذي أعده جابر جندو، في ١٣ تشرين الثاني ٢٠١٤، واستطلع فيه عدداً من الآراء للنخبة الإيزيدية، يظهر حجم المأساة الحقيقية، ويسلط الضوء على واقع مزري يتسم بإنكسار الأحلام والمستقبل المجهول.

ـ سعيد عبدي (ناشط سياسي إيزيدي من رأس العين، ومقيم في المانيا)، يقول: منعنا من ممارسة شعائرنا الدينية، والاحتفاء بمناسباتنا، وتدريس ديانتنا في المدارس. ويضيف: كانت في سوريا مادتا التربية الدينية (الاسلامية والمسيحية)، حين تقدمت بطلب إلى مديرية التربية في الحسكة لاختيار الديانة المسيحية، رفضوا طلبي، وأجبرتُ على دراسة منهاج التربية الدينية الاسلامية. ثم يستأنف الحديث: سلبت حقوقنا كسوريين أولاً وكأكراد ثانياً، إذْ سحبت منا الجنسية، وتم الاستيلاء على أراضينا الزراعية، ومنحت لعرب الغمر[1].

---

(1) المقصود هنا الذين غمرت مياه سد الفرات أراضيهم، وكانت هذه هي الذريعة التي تحججت بها السلطات السورية حينئذ. ويذكر ا. د. عبد الفتاح علي بوتاني بالمقابل قائلاً: حين غمرت مياه سد الموصل عدداً من القرى العربية في العراق، قامت السلطات العراقية بتوطين الأسر العربية في قضاء تلكيف، أي في الأراضي الزراعية الكُردية.

ـ يقول زياد حامد (عضو اللجنة الإيزيدية في تربه سبي/ القحطانية، وعضو لجنة إغاثة أهالي شنكال في منطقة الجراح): تميز الإيزيديون بالتعامل الجيد، لا بل والممتاز مع سائر المكونات الأخرى.. عشنا في ظروف اقتصادية قاسية، حُرمنا من الجنسية ومن تسلط الأغوات، مما دفع كل هذا بالشباب إلى الهجرة.

ـ أما الشيخ سليمان، فيقول: نحن لا نريد الهجرة، لكن هناك عوامل كثيرة تدفعنا إلى ذلك، وخاصة مع تزايد خطر التنظيمات التكفيرية.

ـ ويقول حمود (من إيزيديي الدرباسية، وعضو لجنة السلم الأهلي فيها): الإيزيديون يحبون التعامل مع بقية المكونات، والدخول في علاقة "كرافة" معها، وهو تقليد رائج في الوسط الكُردي، يقضي بوضع الطفل ـ أثناء عملية الطهور/ الختان ـ في حضن شخص آخر، بغية الدخول في شراكة معنوية معه. لقد ازدادت مخاوف الإيزيديين من المستقبل المجهول عقب اندلاع الثورة السورية، بعد أن ساهم الإيزيديون في الحراك السلمي مع سائر المكونات، لكنهم فوجئوا باستهداف كتائب جبهة النصرة لقراهم (قسطل جندو ـ عفرين)، وقرية (الأسدية ـ رأس العين) في ٢٠١٤/٨/١٧، وقرى أخرى. لقد أصدرت تلك الكتائب التكفيرية فتاوى، شرّعت سلب ونهب أموال الإيزيديين، والاستيلاء على أراضيهم، واعتبارهم كفار، ناهيك عما تعرض له الإيزيديون في الحسكة من مضايقات وتهديد وخطف، كل هذا سرّعت من وتيرة الهجرة، سيما بعد مأساة شنكال، عقب دخول تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) إليها.

ـ يقول معاذ ميرو (عضو اللجنة الادارية في فرقة لالش الفولكلورية): نحن الإيزيديين، غيّرنا حتى لباسنا ومظهرنا، ولم يعد هناك شيء يعبر عن هويتنا، وأصبح أغلب الإيزيديين، إن لم نقل كلهم، يلبسون الزي العربي والعكَال، وحتى النساء غيّرن ملابسهن.

ـ ويتساءل فواز (من قرية دوكر، وهي قرية إيزيدية): على مر السنين لم يعتدِ أي إيزيدي على الآخرين.. فديننا يفرض علينا أن نحب الآخرين، ونحترمهم، فالإيزيدي يدعو الله في صلواته: يا رب، إحمِ الناس جميعاً. فلِمَ نُضْطَّهَد؟

حول ظاهرة الجماعات التكفيرية، وفي مقدمتها داعش وأخواتها، يُنَظّر مثقفو الاسلام السياسي والشعبوي، ويلقون المحاضرات عن العنف المعاصر والأفكار

المتطرفة ويبرئون فيها أنفسهم، ويلقون بالتبعية على عاتق القوى العظمى وحدها، وعلى رأسها الولايات المتحدة، معتكزين على دورها في ظهور المقاتلين الأفغان وتنظيم القاعدة مثلاً. ووفق تحليلاتهم فإن الولايات المتحدة ودول اقليمية هي مَنْ أنتجت داعش وأخواتها، بهدف تشويه صورة الاسلام أولاً، وإطفاء جذوة الربيع العربي ثانياً.

نحن في الوقت الذي لا ننكر ما للولايات المتحدة الأمريكية وتركيا وايران والعراق وسوريا والسعودية وقطر وغيرها، من يد في انتاج داعش وأخواتها، ومن ثم توظيفها وتمويلها وتسليحها وتوجيهها بشكل مباشر أو غير مباشر، لكننا نتساءل في الوقت نفسه: هل ظاهرة العنف، أو الارهاب، هي ظاهرة حديثة أم أن جذورها موغلة في القِدَم؟

إن ظاهرة العنف ظاهرة موغلة في القدم، تعود إلى فجر التاريخ. أما عن منابع "ثقافة العنف" التي تخيم اليوم في مجتمعاتنا، فيمكن الرجوع إلى كتاب: "قراءة في تاريخ العنف في الشرق الأوسط من نهاية السلطة العثمانية إلى تنظيم القاعدة"[1]، أو كتاب: "العنف المقدس"[2]، وكتب أخرى تناولت الارهاب الذي تمارسه الدول أو التنظيمات الارهابية، كيلا نقدم التبريرات الساذجة للنجاة بأنفسنا أو موروثنا الثقافي الذي وَلَّدَ مثل هذه الظواهر. فالارهابيون، مهما كانت طبيعتهم (لا تخلو جعبتهم بوجه عام من الأفكار، مهما كانت تلك الأفكار خطيرة أو منافية للعقل والطبيعة. فإرهابهم إذن ليس إلا وسيلة تساعدهم في تنفيذ رؤاهم السياسية، وليس بديلاً لها)[3].

---

(1) للسيد حميد بوزارسلان، استاذ الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية بجامعة باريس.

(2) للفيلسوف رينيه جيرار.

(3) تيري ايجلتون: الارهاب المقدس، ترجمة أسامة إسبر، بدايات للطباعة والنشر والتوزيع، جبلة/ سوريا، ٢٠٠٧، ص٦.

الخاتمة

مشهد النظام العالمي الجديد في مستهل الألفية الثالثة، يشبه منظر تلك القوارب التي كان يقودها قراصنة يتاجرون بأرواح البشر، وهي تقل المهَجّرين من شرق المتوسط، عبر البحار المتلاطمة الأمواج. هذا المشهد يوحي حقيقة بانعدام الأمن في عالمنا، وبالمزيد من عولمة القهر والابادة العرقية والفوضى، على حد وصف الأمين العام للأمم المتحدة انطونيو غوتيريش، ناهيك عن المزيد من ارهاب الدولة واستخدام منطق القوة في العلاقات الدولية، وتطرف الحركات الأصولية من كل نوع، مما بات الأمر يتطلب المزيد من التأمل الحذر في الأسباب المولِّدة لهذا الارهاب (إرهاب الدول والمنظمات على السواء)، بدءاً من مسائل الفقر والبطالة، وانتهاءً بتمكين الشعوب والأمم من تقرير مصيرها بنفسها، ناهيك عن البحث في سبل تجفيف منابع هذا الإرهاب بشقيه، من خلال الإرادة المشتركة لتحقيق مبدأ السلم والعدل الدوليين.

فالدافع الذي حفزني لاستغوار التاريخ، كان سببه تلك الشرارة التي أوقدتها عبارة: "لا يمكننا الاعداد لبناء المستقبل، دون الإلمام بأحداث الماضي"[1]، وحِكْمَة تودوروف المُعَبِّرة، تلك التي لخصها في قوله: "يتحتمُ على الذين يلّمون بخفايا الماضي، أن ينقلوا الدروس والعبر لأولئك الذين يجهلون أحداثه"[2]، ناهيك عن المقولة التي تُنْسَب إلى شيشرون ومفادها: "مَنْ لا يُحسن قراءة التاريخ، يبقى أبد الدهر طفلاً صغيراً". وبما أن تغيير الواقع المزري يستوجب بداية تشخيص الأزمة وسبر أغوار المسكوت عنه، لذا انكببتُ إثر هذه القناعة على تناول ماضي الكُرد الإيزيديين، وتأمل حاضرهم واستشفاف مستقبلهم المنظور، بعد أن حفزتني العبارات السالفة الذكر؛ فمضيت قدماً لكشف النقاب عن كنه عِبَرِ التاريخ التي أومأ إليها: جيرمن تيلون، تودوروف وشيشرون، وعرضها أمام من أصابهم مرض الأنوميا[3]. لكنني صممتُ منذ البدء، أن تكون الدراسة موجّهة للجيل الناشئ، الذي

---

(1) نطقت بها "جيرمن تيلون" ذات يوم.

(2) تزفيتان تودوروف: الأمل والذاكرة/ خلاصة القرن العشرين، نقله إلى العربية: نرمين العمري، السعودية/ الرياض، ٢٠٠٦، ص١٦.

(3) الخَرَف أو فقدان الذاكرة.

لم يتسنَ له قراءة التاريخ والنكبات التي تخللته بعين نقدية من جهة، كما أحببت من جهة أخرى أن أزيل الغشاوة عن أعين ممن تسنى لهم تأمل الأحداث الأخيرة في شنكَال على شاشات التلفاز أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي، تلك التي ألَمَّتْ بالكُرد الإيزيديين بعد ظهور تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام، وأعني تحديداً تلك الغشاوة التي جعلت شريحة واسعة من الكُرد ينبهرون بتلك المقولات المُضلِّلة التي شغلتنا طيلة القرن العشرين ودفعنا ضريبتها الكثير الكثير، ومنها على سبيل المثال لا الحصر تلك الشعارات الخلبية:

١ـ بعد إلحاق الجزء الجنوبي من كُردستان بالعراق، والجزء الجنوبي ـ الغربي بسوريا، ساءت أحوال الكُرد جرّاء ما آلت إليها الأوضاع بعد الإلحاق المشؤوم، في ظل الانتدابين الانكليزي والفرنسي وفقاً لـ(سايكس ـ بيكو). ففي العهد الموصوف بـ "الوطني"، عانى الشعب الكُردي الأمرّين في ذينك الدولتين الناشئتين (العراق وسوريا)، لأنه لم يحظَ في النهاية بشراكة حقيقية، بل أصيب بخيبة أمل من المزامير التي كانت تُتْلى، مثل: "الوطنية" و"مقاومة الاستعمار".

٢ـ أما موضوعة "الاشتراكية"، فرغم ملامستها لأفئدة الكُرد المضطهَدين وانبهارهم بها بداية، لكنها سرعان ما أجْهَضَتْ آمالهم، خصوصاً إبان الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي، وتواطؤ الاشتراكية المُشَيّدة مع الأنظمة التي تضطهِد الكُرد في الدول التي تقتسم بلادهم.

٣ـ إنبهر الكُرد في الآونة الأخيرة بموضوعة "الديمقراطية"، عقب سقوط جدار برلين وانهيار المعسكر الاشتراكي، حيث ساد التفاؤل حينئذٍ بأن حقبة الحرب الباردة قد تم طي صفحتها، وأن الحدود السياسية التي رسمها الاستعمار آيلة إلى السقوط لامحالة، لكن سرعان ما تبين زيف الرؤية، وأكذوبة شعار إرادة الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها، وعدم إكتراث رافعي هذه الشعارات بمضامينها، فكانت تجربتا الاستفتاء الكُردية والكاتالونية عام ٢٠١٧، بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، وكفيلة بفضح عُهر رافعي شعار الديموقراطية.

أجل، يخبرنا التاريخ القديم كيف كانت ديمقراطية أثينا ـ الحاضنة الأولى للديمقراطية ومنطلقها ـ عرجاء، لأنها ببسيط العبارة تجاهلت جمهرة النساء والعبيد، بمعنى أنها كانت تستبعد قرابة ثلاثة أرباع مواطني أثينا من ممارسة حقوقهم. وقد

يقول قائل، إن هذا الكلام لا غبار عليه، لكنه يعود إلى ما قبل الميلاد، وها نحن ولجنا الألفية الثالثة، فالديمقراطية تطورت وإرتقت وإغتنت مفهوماً وممارسة. فأجيب: مادامت صناديق الاقتراع في عُرف الديمقراطيين تُعَدُّ محكاً في الممارسة، فماذا عسانا أن نصف تلك "الديمقراطية" التي أوصلت هتلر مثلاً إلى سدة الحكم في المانيا؟ ألا يحق لنا وصف إرادة الشعب التي أوصلته إلى قمة الهرم السياسي بالكارثة؟ ثم ماذا حَلَّ بالكُرد في اقليم كُردستان العراق والكتالونيين عقب الاستفتاء على مبدأ "حق تقرير المصير"، هذا المبدأ الذي أجمعت عليه قيم الاسلام المتجسدة في مقولة عمر بن الخطاب: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ زد على ذلك مواثيق الأمم المتحدة، والديمقراطية التي تتباهى بها أمم الأرض قاطبة ودعاتها اليوم. أليست في هذه البروباغندا ثمة ازدواجية بين النظرية والتطبيق؟ لنتأمل هاهنا على سبيل المثال لا الحصر منظمة الأمم المتحدة، التي يُفترض أن تكون تجسيداً لإمكانية لجم تمادي القوي في إذلال الضعيف، لكنْ لابد، من أجل التخلي عن هذا الوهم، أن نتذكر أن في أصل منظمة الأمم المتحدة يوجد اختيار لا يقوم على أي حق، أعني "حق النقض" بالنسبة إلى الأعضاء الدائمين الخمسة في مجلس الأمن، والإستئثار بهذا الحق قد يتوسع ليمتد من "أعضاء النقض" إلى حلفائهم[1]، ويمكن أن نستشهد على سبيل المثال لا الحصر هاهنا بالموقف الروسي إزاء الأزمة السورية على هذا الصعيد، حيث لم تتورع موسكو عن الاقدام على استخدام حق النقض "الفيتو" لصالح نظام الأسد مرات ومرات.

إن سدّ السبل والمنافذ أمام شعبنا في ممارسة حقه في تقرير مصيره، وخلق الذرائع لاجهاض إرادته في ممارسة هذا الحق بحجة مراعاة ما يُسمى "الفضاء الوطني" أو أخذ الرأي العام في الدول التي تقتسم كُردستان بعين الاعتبار أو التحجج بـ "الأكثرية" لمصادرة حقوق "الأقلية"[2]، ينسف كل أسس الديمقراطية، ويدعونا إلى

---

(1) تزفتيان تودوروف: اللانظام العالمي الجديد/ تأملات مواطن أوروبي، ترجمة: محمد ميلاد، دار الحوار، اللاذقية ٢٠٠٦، ص٩٣ـ ٩٤.

(2) كان جلال أمين ـ وفق هذا العرف ـ على قناعة، حين كان يردد بأن الأكثرية ليست بالضرورة على حق في جميع الأحوال. راجع مقالة: (ليس أدباً) لسمير عطاالله، صحيفة الشرق الأوسط، العدد ١٤٥٥٠، تاريخ السبت ٢٩ أيلول ٢٠١٨.

ترديد مقولة: "لا ديمقراطية بلا ديمقراطيين"، واشهارها كوصمة عار في وجوه دعاة الديمقراطية المزيفين.

٤ـ أما موضوعة "الاسلام هو الحل"[١]، فقد إرتأت جماعة الاخوان المسلمين بمصر تبنيها في ثمانينيات القرن الماضي، إبان تحالفها مع حزبي العمل والأحرار المصريين في الانتخابات البرلمانية. هذه الموضوعة تثير القرف حقيقة، لأن مثل هذه الشعارات أثبتت التجارب فشلها، بدليل تعثر أنظمة الاسلام السياسي القائمة ـ تركيا وايران ـ في تجاوز أبسط مآزقها، ناهيك أن هذا الشعار الذي لم يظهر بمحض الصدفة، يومئ لكل ذي بصيرة، بأن رافعيه مازالوا يدَّعون باحتكار الحقيقة كأسلافهم، لذا فمن نافل القول التأكيد بأنه شعار غير واقعي بل ومضلل، سيما وهو يعتكز على المنطلقات النظرية لغلاة رجال الدين، من أمثال شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وغيره في التاريخ الوسيط، ويندرج في إطار فتاواه بحق سائر الأديان والمذاهب وفي مقدمتها الإيزيدية. فـ "وصيته الكبرى" الموجهة للإيزيديين، وتصنيفه للإيزيدية كفرقة ضالة عن الاسلام، مما يتوجب تقويم هذا الاعوجاج بـ "الجهاد" إن لزم الأمر على حدِّ زعمه، خير دليل على ما نقول.

وفي العهد العثماني أصدر المفتي الشيخ أبو سعود بن محمد العمادي[٢]، فتوى أباح فيها قتل الإيزيديين وسبي نسائهم وبيعهن في الأسواق، وكفّر الشيعة أيضاً وأباح قتلهم، وهذا ما أقدم عليه مؤخراً تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام، وكأن التاريخ يعيد نفسه، في المرة الأولى كتراجيديا وفي الثانية ككوميديا.

ومن المفيد قوله أن هذا الشعار يعتكز على فكر حسن البنا، مؤسس حركة الإخوان المسلمين، وأمثاله؛ تلك الحركة التي خرجت كل الجماعات التكفيرية من تحت معطفها، وفي مقدمتها جماعة "التكفير والهجرة" السلفية وغيرها في التاريخ

---

(١) راجع كتاب: الاسلام هو الحل، لـ: مصطفى مشهور، المرشد العام السابق للاخوان المسلمين. وكتاب: هل الاسلام هو الحل؟ للدكتور محمد عمارة. وراجع أيضاً التصريحات التي أدلى بها الشيخ عبدالفتاح مورو، أحد مؤسسي حركة النهضة في تونس، حول هذا الشعار عام ٢٠١٤، والتي رفض فيها هذا الشعار.

(٢) كان يلقب بأبي سعود أفندي، ولد عام ١٤٩٠ أو ١٤٩١ أو ١٤٩٣م، وتوفي سنة ١٥٧٤م، فقيه وقاض، أمضى ثلاثين سنة في منصب مفتي القسطنطينية في عهد سليمان القانوني.

المعاصر. يرى حسن البنا أن: (دورة التاريخ قد بلغت من جديد المرحلة التي سيقوم فيها المسلمون بقيادة العالم)، وإن القرآن يُقيم المسلمين أوصياء على البشرية "العاجزة"!، لكن البنا دعا في الوقت نفسه إلى التدرج في نشر الدعوة "الاسلامية"، إذْ ينبغي أن تبدأ الحركة بالسعي إلى تعميم الدعوة بين الناس بـ "الحجة والبرهان"، فإن أبوا، فبالسيف والسنان. وليس صدفة أن تتخذ أغلب الجماعات الاسلامية من السيفين المتقاطعين والمصحف أو من كلاشنكوفين متقاطعين والمصحف رمزاً دالاً على نواياها المبيتة لاستخدام العنف بغية تحقيق أهدافها وتطويع الآخرين. وكانت المهادنة مع السلطة هي طريقة "الاخوان" في المرحلة الأولى من نشأتهم، ولا شك أنها كانت نوعاً من التكتيك العملي لإخفاء تشكيلاتهم العسكرية تمهيداً لمراحل أخرى تقربهم من هدفهم وهو السلطة، أي إقامة الخلافة "الاسلامية"، وهكذا تحول الاخوان من المهادنة مثلاً في ظل النظام الملكي إلى المعارضة في ظل الحكم الناصري[1].

كما يبدو واضحاً أن مثل هذا الشعار، أعني "الاسلام هو الحل"، مقتبس من نظرية الاسلام السياسي لأبي الأعلى المودودي، التي تتلخص في أن العالم كله يعيش اليوم "جاهلية جديدة"، بدليل أن الحاكمية، أي السلطة، أضحت للبشر، ولا سبيل للقضاء على هذه الجاهلية الجديدة إلا بإقامة الحاكمية الإلهية وفق زعمه. أما سيد قطب في مؤلفه "معالم الطريق"، فلايرى أي صراع في المجتمع، وإنما يرى أن المعركة هي معركة عقيدة في الصميم، فإما كفر أو إيمان، جاهلية أو اسلامية، فهو يدعو صراحة إلى "بعث" الاسلام الذي يتطلب كخطوة أولى خلع الولاء لهذا المجتمع "الجاهلي" وفق زعمه وقطيعة كاملة معه، لأن الهدف النهائي يقتضي تحرير العالم من حاكمية البشر وإقامة حاكمية الله. بيد أن محمود أمين العالم يتساءل: كيف يمكن إقامة الحاكمية الإلهية؟ هل تقوم من تلقاء نفسها أم بواسطة البشر؟ وهؤلاء البشر ألا يختلفون في حقيقة حاكمية الله: أي يختلفون في تفسير الآيات والأحاديث، كما يختلفون في منهج تطبيقها وتوجيهها؟[2]. في المقابل نجد مثلاً أن حسن

---

(1) محمود أمين العالم: ليست ظاهرة دينية خالصة، صحيفة القبس الكويتية ١٩٨٤/١٢/٢٣. ملاحظة: الحكم الناصري، نسبة إلى جمال عبد الناصر.

(2) المصدر نفسه.

الهضيبي يستنكر بدوره تكفير المسلمين جميعاً، لأن الحاكمية وفق منظوره لا ينفي أن الله ترك للانسان الكثير من أمور الدنيا لينظمها حسبما يهديه إليه عقله.

وقد نص العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، المؤرخ في ١٦ ديسمبر ١٩٦٦ بذكر الأقليات صراحة في المادة (٢٧) منه، والتي جاء فيها: (لا يجوز في الدول التي توجد فيها أقليات إثنية أو دينية أو لغوية، أن يحرم الأشخاص المنتسبون إلى الأقليات المذكورة من حق التمتع بثقافتهم الخاصة أو المجاهرة بدينهم وإقامة شعائره أو استعمال لغتهم، بالاشتراك مع الأعضاء الآخرين في جماعتهم). لكن اعتادت الحكومات التي يعيش الكرد الإيزيديون في كنفها تجاهل التنوع، وشرعت باحتواء هذا التنوع والتعددية الدينية قسراً، على أساس بنية مركزية للسلطة والتباهي بالتجانس، ولا يخفى على كل ذي بصيرة كيف ضربت المادة (٢٧) بعرض الحائط عبر سياساتها المنتهجة في القرن العشرين على نحو خاص. وهذا الأمر أدى إلى فقدان الثقة بالأمم المتحدة والمنظمات الدولية ذات الصلة التي لاحول لها ولا قوة.

إن الارهاب في عالمنا الاسلامي ليس بجديد، فسعي المسلمين لتقويض أسس الإيزيدية منذ البدء تؤكده النكبات والفواجع التي حلت بالإيزيديين إلى اليوم. لذا، لم يتجاوز نجيب محفوظ ـ الذي طالته يد الجاني ذات يوم وكادت أن تقضي عليه ـ الحقيقة، حين قال:

"يعود الارهاب إلى العصور الأولى للإسلام .. فمنذ أن أقبل المسلمون على الدنيا يكثرون من الأموال .. حصل رد فعل شديد في نفوس طائفتين من الناس، طائفة معتدلة راحت تدعو إلى التقوى والزهد والإعراض عن مغريات الحياة، فكانت الأصل الأول للتصوف الاسلامي، وطائفة متطرفة كَفَّرَتِ الدولة والمجتمع، وسلت السيف لتغيير نظام الحكم من أساسه"[1].

بقي أن نقول: عقب ما ارتكبه نظام البعث في بغداد من جينوسايد في حلبجة في ١٦ آذار ١٩٨٨، انعقد المؤتمر الاسلامي الذي ضم ٥٣ دولة في الكويت، لكنه لم يتطرق إلى الحدث من قريب أو بعيد، رغم أن رائحة جثث الضحايا كانت تزكم الأنوف

---

(1) نجيب محفوظ: حول التدين والتطرف، الناشر: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦، ص٥٧.

وتملأ مناخيرهم. وقتذاك كان كنعان إيفرين يُمَثِّل تركيا في المؤتمر، ويمضى لإلهاء المؤتمرين بسيناريو انتقاداته اللاذعة لجارته بلغاريا، التي كانت تسعى إلى تبديل أسماء الأتراك البلغاريين بأسماء بلغارية وفق سياسة البَلْغَرَة [1]، ومما زاد الطين بلة أن الفارين إلى تركيا من الكُرد العراقيين الذين تعرضوا للهجمات الكيمياوية، سرعان ما تكتمت السلطات التركية على حالتهم، وادّعت أن لا وجود لأعراض الاصابة بالمواد الكيمياوية على الفارين. لكنها أثارت غضب السلطات العراقية بقبولها الكُرد الفارين، رغم أنها استقبلتهم على مضض، أما سبب تكتم تركيا على أعراض الاصابة، فالدافع لمثل هذا السلوك واضح لكل ذي بصيرة، لأنه يكمن في تلهفها على المشاركة في التعامل التجاري مع العراق، وكذلك المساهمة في حملة إعمار العراق التي تقدر بحوالي ٥٠ مليار دولار[2].

لقد صمت المسلمون طويلاً، في الوقت الذي كان يتوجب عليهم التنديد بما يجري، كي يبعدوا عن أنفسهم عَار عدم الاكتراث بمصير شعب يتعرض للابادة. أما الرئيس العراقي صدام حسين الذي تفتقت مواهبه، والذي أزهق أرواح (١٨٢) ألف كردي في ثمانينات القرن الماضي، حين دفن أكثرهم أحياءً، ومن ضمنهم نحو ٣٠٠ من الكُرد الإيزيديين من أهالي: تلكيف، الشيخان، حمدانية، باشيك، وشنكَال[3]، راح يطلق على الابادة الجماعية هذه "الأنفال"، تيمناً باحدى سور القرآن.

إن الازدواجية في تركيا التي يحكمها اليوم حزب العدالة والتنمية (الاسلامي)، تبدو فاضحة للعيان، فحين تُناقَش مثلاً القضية الفلسطينية على محك الديمقراطية، كوسيلة يمكن للفلسطينيين نيل حقوقهم من خلالها، يعترضون في الحال، ويقولون: يجب أن تكون فلسطين مستقلة، وعندما يشار إلى القضية الكردية، يقولون: حينما تتحقق الديمقراطية تصبح المشكلة الكُردية محلولة[4]. أما نظام الملالي في ايران

---

(١) اسماعيل بيشكجي: الدولة والكُرد: اللغة، الهوية، القومية، الوطنية، ج٢، المصدر السابق، ص١٨٦.

(٢) ديفيد ماكدوال: الكُرد، شعب أنكر عليه وجوده، ترجمة: عبدالسلام النقشبندي، دار آراس للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠١٢، ص٧٤.

(٣) راجع: صحيفة هولير باللغة الكُردية والصادرة في اقليم كردستان العراق، العدد (٢٩١٠)، الاثنين ٢٧ آب ٢٠١٨، ص٤.

(٤) اسماعيل بيشكجي، الدولة والكُرد، ج٢، المصدر السابق، ص٢٨٤.

فعمد لحل قضايا الشعوب الايرانية التي تعيش تحت وطأة استبداده، عن طريق حقنها بجرعة الاستسلام لايديولوجية ولاية الفقيه.

على هذا النحو تمضي الدول التي تتقاسم جغرافية الكُرد في استغلال الاسلام في خدمة مصالحها القومية منذ البداية، بينما الكُرد والأمازيغ وغيرهم، ممن خدموا الاسلام، ورفعوا رايته عالياً في أحلك الظروف، خصوصاً أحفاد القائدين صلاح الدين الأيوبي (الكُردي) وطارق بن زياد (الأمازيغي)، لم يَجِرّوا وراءهم سوى أذيال العبودية، فمن الطبيعي أن يصابوا بخيبة أمل تجاه مواقف المسلمين هذه.

ما من شك أن الاسلام سعى لصهر الشخصية الكُردية في بوتقته، بيد أن هذه الشخصية ـ بحكم بنيتها الذهنية التي كانت تتمتع بقدر غير قليل من التطور ـ احتفظت بالكثير من عناصر تكوّنها، أما الشخصية الكُردية الإيزيدية فقد صانت هويتها طوال قرون أكثر من الشخصية الكُردية المسلمة، وهذا لا جدال فيه، وهاهنا ربما تكمن أحد أهم أسباب محنة الإيزيديين ومآسيهم.

من هنا، يمكن فهم فحوى السؤال الذي طرحه ذات يوم أحد أساطين النهضة والاصلاح، أعني الامام محمد عبده[1]، والذي حاول من خلاله، مقاربة تلك المفارقة التي كانت ومازالت تؤرق المعنيين حتى الآن، أعني: "لماذا تقدم الآخرون، وبقينا نضرس الحصرم"؟ وكذلك شكيب أرسالان: لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟

---

(1) يقال أنه كُردي الأصل.

الملحق (١)

مكتب مفوض الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان ومكتب حقوق الانسان في بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق

نداء من اجل المساءلة والحماية: الايزيديون الناجون من الاعمال الوحشية التي ارتكبها داعش/ آب 2016

"بعد مرور عامين من سقوط نينوى، يواصل تنظيم داعش استهداف المجتمع الإيزيدي بجرائم مختلفة إذ يتعرض آلاف الرجال والنساء والأطفال الى اعتداءات جنسية وجسدية، اذ قتل أو فقد أو أختطف الآلاف منهم. ويبقى أولئك الذين أجبروا على اعتناق الاسلام تحت مراقبة دقيقة من قبل داعش. ولقد قتل التنظيم الكثير من الرجال الذين رفضوا اعتناق الاسلام وتم بيع النساء والفتيات والفتيان كعبيد لمقاتلي داعش. ودمرت الأماكن ذات الأهمية الدينية والثقافية بشكل منهجي. وتشير الطبيعة المبينة للشهادات الحية التي قدمها هذا التقرير من خلال شهود العيان والناجين، وبشكل جلي الاسلوب الممنهج والواسع النطاق الذي ارتكب فيه داعش هذه الأعمال الوحشية ضد المجتمع الإيزيدي والمكونات الدينية والعرقية الأخرى. من الأهمية بمكان بالنسبة للضحايا والناجين من هذه الجرائم، وكما يملي الضمير الانساني، ان يتم تقديم مرتكبي هذه الجرائم الفظيعة الى العدالة بشكل كامل وصحيح".

يان كوبيش/ الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة في العراق ـ بغداد/ العراق ـ ١٨ آب ٢٠١٦

"أشعر ببالغ القلق إزاء التأثير الكبير للصراع الراهن على المدنيين وخصوصا على الأشخاص من المكونات العرقية والدينية القديمة والمتنوعة. وتكشف التجارب التي سردها الناجون والموثقة في هذا التقرير عن أعمال غير انسانية وعن قسوة لا يمكن تصورها والتي تشكل اعتداء خطيراً ومتعمداً على الكرامة الانسانية وإهانة للإنسانية جمعاء. ولقد وثقت مفوضية الامم المتحدة السامية لحقوق الانسان وبعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق هذه الانتهاكات والخروقات لحقوق الانسان إلى أبعد مدى ممكن وستستمر في هذه المهمة بهدف المساعدة في استعادة كرامة الضحايا والناجين وكوسيلة لضمان تكريس العدالة. وستكون الشهادات الحية المسجلة في هذا التقرير النداء

الصارخ لكل أعضاء المجتمع الدولي لكي يبذلوا قصارى جهودهم لضمان المساءلة في هذه الجرائم الشنيعة وتقديم رسالة واضحة مفادها بأنه لا يمكن أن يفلت أي مرتكب لهذه الجرائم من العقاب".

السيد زيد رعد الحسين/ المفوض السامي للأمم المتحدة لحقوق الانسان ـ جنيف/ سويسرا ـ ١٨ آب ٢٠١٦

أولاً : المقدمة

في شهر آب / اغسطس 2014، اجتاح ما يُسمى بتنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام (داعش) شمال العراق. واستهدف أفراد التنظيم أبناء المجتمع الإيزيدي بصورة ممنهجة في قراهم المتمركزة في محافظة نينوى مما أدى الى مقتل واختطاف الآلالف منهم فيما هرب عشرات الآلالف من السكان في بادئ الأمر إلى جبل سنجار بينما هرب الآخرين الى محافظة دهوك في إقليم كردستان العراق. ومنذ ذلك الحين، تم تشريد ما يقارب من 360000[1] إيزيديا من قراهم الأصلية وهم يعيشون اليوم في عشرات المخيمات للنازحين أو المجتمعات المضيفة في كل أنحاء إقليم كردستان العراق وهم غير قادرين على الرجوع إلى أماكنهم الأصلية.

وقد راقب مكتب حقوق الانسان في بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي) ومكتب مفوض الامم المتحدة السامي لحقوق الانسان وضع الإيزيديين ووثق تجاربهم منذ الهجوم على سنجار في شهر آب 2014 وقدم الأفراد والعائلات الذين تمت مقابلتهم من قبل البعثة ومكتب مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الانسان وصفاً لهروبهم المأساوي والمخيف من منازلهم والرعب الذي واجههم. ففي البعاج والموصل وتلعفر ومناطق أخرى تحت سيطرة داعش قتل الكثير من الإيزيديين خلال مرحلة الهجوم الأولي واختطاف الآلالف منهم. وتم فصل الرجال عن النساء بصورة ممنهجة وكذلك البنات الشابات عن النساء الكبار سناً لكي يتم اجبارهن على الاسترقاق الجنسي [2]

---

(١) تم الحصول على التقديرات من السلطات الحكومية المحلية ـ أيار2016.

(٢) جاؤوا ليدمروا داعش ترتكب الابادة الجماعية ضد الإيزيديين - تقرير صادر عن لجنة التحقيق الدولية المعنية بالجمهورية العربية السورية ١٥ حزيران ٢٠١٦ (A/HRC/32/CRP.2 PARA 209) الذي وصف معاملة الإيزيديين وقدمت عددا من التوصيات إلى الأمم المتحدة وحكومتي سوريا والعراق،

وقد وصف الناجون وبشكل متكرر كيفية اخضاعهم للعمل القسري وسوء المعاملة، وخصوصا في قضاء تلعفر في محافظة نينوى بينما نقلت نساء أخريات الى سورية حيث تم بيعهن الى مقاتلي داعش. ولايزال الآلالف من الإيزيديين في عداد المفقودين، اضافة الى تدمير الأماكن ذات الأهمية الدينية والثقافية الخاصة بهم بشكل منهجي من قبل تنظيم داعش في محاولة لطمس الثقافة الدينية وإمحاء وجود الإيزيديين[1].

وتدعم الأدلة والمعلومات التي جمعتها البعثة والمفوضية بشأن الإنتهاكات والخروقات الخطيرة لحقوق الانسان والخروقات للقانون الدولي الإنساني، والمفصلة في هذا التقرير، الاستنتاج بأن هذه الخروقات والانتهاكات قد ارتكبت بطريقة ممنهجة وواسعة النطاق لاستهداف والسعي إلى تدمير الإيزيديين، كليا أو جزئيا [2] وكما تشير

والمجتمع الدولي والمتعلقة بحماية ورعاية المجتمع الإيزيدي في قضاء سنجار. التقرير متوفر على الصفحة المخصصة للجنة لمزيد من المعلومات يرجى متابعة الرابط أدناه:
www.ohchr.org/EN/HRBodies/HRC/IICISyria/Pages/IndependentInternationalCommission.aspx

(1) تقرير البعثة والمفوضية السابقة تقرير بشأن حماية المدنيين في الصراع المسلح في العراق11 أيلول الى 10كانون الاول2014؛ ص١٢.
http://www.ohchr.org/Documents/Countries/IQ/UNAMI_OHCHR_Sep_Dec_2014.pdf

(2) بالإشارة الى الإيزيديين الذين يطلق عليهم داعش اسم المشركين (فقد افصح داعش عن نيته تدمير السكان أو اجبارهم بالقوة على تغيير ديانتهم من خلال أعمالها والخروقات التي تستهدفهم بصورة مباشرة وكما هو مذكور في هذا التقرير وكذلك في منشوراتهم. على سبيل المثال، في مجلة التنظيم دابق كتبوا ما يلي: " بعد غزو منطقة سنجار في ولاية نينوى، واجهت الدولة الإسلامية شعب الإيزيديين، قلة مشركة موجودة منذ عصور في مناطق من العراق والشام. وجودهم المستمر حتى اليوم الحاضر مسألة ينبغي على المسلمين طرح السؤال بشأنها، بما أنهم سيسألون عنها يوم القيامة. بالنظر لكون الله أنزل آية السيف قبل ١٤٠٠ سنة. يقول تعالى:" فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " ـ سورة التوبة آية ٠٥ وفقا لذلك، تعاملت الدولة الإسلامية مع هذه المجموعة كما أمر أغلبية الفقهاء بالتعامل مع المشركين، على عكس التعامل مع اليهود و النصارى لا مكان لدفع الجزية فيما يخص الإيزيديين. و أيضا يمكن استعباد نسائهم على عكس نساء المرتدين اللواتي قال معظم الفقهاء أنه لا يمكن استعبادهن، و يمكن فقط

التقارير السابقة[١]، تلاحظ البعثة والمفوضية بأن الكثير من الجرائم التي ارتكبها داعش قد ترقى الى جرائم الحرب والجرائم ضد الانسانية وجريمة الابادة الجماعية. ويبقى ذلك خاضعا لتقدير محكمة مختصة مستقلة.

ومنذ تقدم داعش في شمال العراق، أصدرت البعثة والمفوضية خمسة تقارير[٢] بشأن حماية المدنيين فيما يتعلق بالصراع الحالي في العراق موثقة بذلك الانتهاكات والتجاوزات ضد الرجال والنساء والاطفال من جميع المكونات العرقية والدينية. لقد تم استهداف هذه المكونات واضطهادها بشكل ممنهج من قبل داعش كجزء من سياسة تهدف الى قمع وطرد بشكل كلي و تدمير المكونات التي تقطن هذه المناطق الخاضعة لسيطرة داعش[٣].

إعطاؤهن مهلة للتوبة أو مواجهة السيف. بعد القبض عليهم تم تقسيم نساء الإيزيديين و أطفالهم وفقا للشريعة بين المقاتلين من الدولة الإسلامية الذين شاركوا في عمليات سنجار، بعدما تم إرسال خمس المستعبدين إلى سلطات الدولة الإسلامية لتقسيمهم كخمس. المستعبدين من عائلات الإيزيديين تم الآن بيعهم من طرف جنود الدولة الإسلامية كما تم في السابق بيع المشركين من طرف الصحابة (رضي الله عنهم) قبلهم. مجلة دابق العدد ٤ لسنة ١٤٣٥ (الغزوة الصليبية الفاشلة) صفحة ١٤ متوفرة على الموقع الالكتروني:
http://media.clarionproject.org/files/islamic-state/islamic-state-isis-magazine-Issue-4-the-failedcrusade.pdf

(١) حسب النتائج التي توصلت اليها البعثة والمفوضية وكذلك بعثة تقصي الحقائق التابعة لمفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الانسان (التقرير(A/HRC/28/18 of March 2015

(٢) من ٥ حزيران الى ٥ تموز ٢٠١٤ ومن ٦ تموز الى ١٠ ايلول ومن ١١ ايلول الى ١٠ كانون الاول ٢٠١٤ ومن ١١ كانون الاول ٢٠١٤ الى ٣٠ نيسان ٢٠١٥ ومن ١ ايار الى ٣١ تشرين الاول ٢٠١٥. التقارير متوفرة على الموقع:
http://www.ohchr.org/EN/Countries/MENARegion/Pages/UNAMIHRReports.aspx

(٣) وكذلك تم استهداف مكونات عرقية ودينية اخرى مثل المسيحيين والشبك والتركمان والصابئة والكاكائيين واليهود والمجموعات الأخرى. وسوف توثق البعثة والمفوضية الانتهاكات والتجاوزات التي ترتكب ضد هذه المكونات في التقارير المستقبلية.

ثانيا : منهجية العمل

تم نشر هذا التقرير بالتعاون بين بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي) ومكتب المفوض السامي للأمم المتحدة لحقوق الانسان بموجب ولاية كل منهما [1].

وقد استند هذا التقرير على المعلومات التي تم الحصول عليها بصورة مباشرة من الناجين وشهود العيان بخصوص الخروقات والانتهاكات للقانون الدولي لحقوق الانسان و/ أو الانتهاكات الخطيرة للقانون الدولي الانساني والتي جمعت من قبل المحققين العاملين في مكتب حقوق الانسان للبعثة منذ الهجوم على سنجار في آب / أغسطس2014 ويتم تضمين المعلومات في هذا التقرير فقط إذا تم الحصول على الموافقة المسبقة من الناجين وشهود العيان للقيام بذلك وبعد تقييم الحالة أنها لا تشكل خطرا على مقدم المعلومة. وقد تم الحصول على المعلومات من مجموعة متنوعة من المصادر، بما في ذلك المؤسسات الحكومية وغير الحكومية والمنظمات والكيانات التابعة للأمم المتحدة.

ان الوضع الأمني في العراق لا يزال يؤثر سلبا على قدرة البعثة والمفوضية في اجراء الرصد الميداني والتحقق من الحوادث بصورة مباشرة. وبشكل خاص، لا تزال البعثة والمفوضية تواجهان العديد من الصعوبات في التحقق من الحوادث في المناطق التي يسيطر عليها داعش. وقد قدم التقرير أمثلة من الانتهاكات والتجاوزات بشكل رمزي ولا تقدم وصفا كليا لجميع التجاوزات والانتهاكات التي تم الإبلاغ عنها والتحقق منها من قبل البعثة والمفوضية.

---

(1) في القرار ١٧٧٠ والصادر بتاريخ ١٠ آب ٢٠٠٦، طلب مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة من يونامي القيام أيضا بتعزيز وحماية حقوق الإنسان والإصلاح القضائي والقانوني من أجل تعزيز سيادة القانون في العراق ... الفقرة ٢ج. وتم تمديد ولاية البعثة بنفس الشروط لعامي ٢٠١٥ – ٢٠١٦ بواسطة قرار مجلس الأمن رقم ٢٢٣٣ بتاريخ ٢٩ تموز ٢٠١٥. ووفقا لولايتها يقوم مكتب حقوق الانسان في البعثة بمجموعة من النشاطات التي تهدف الى تعزيز حماية المدنيين في النزاع المسلح بما في ذلك القيام برصد مستقل وحيادي وكتابة التقارير بشأن العنف المسلح وتأثيره على المدنيين وحول الخروقات للقانون الدولي الانساني والقانون الدولي لحقوق الانسان.

ثالثا : الخلفية

خلال العام 2013 ، وسع تنظيم داعش من نطاق عملياته في كل انحاء العراق. وفي اواخر كانون الأول 2013 ونيسان2014 وسع داعش سيطرته على محافظة الأنبار. وبحلول اوائل شهر حزيران 2014 كان تنظيم داعش يهاجم مناطق في نينوى وصلاح الدين وديالى [١].

وبتاريخ 10 حزيران 2014 استولى داعش على الموصل بصورة كاملة مما أدى الى بدء عملية نزوح واسعة للأهالي ويقدر عددهم بـ 500.000 شخصا[٢] وبتاريخ 23 حزيران 2014احتل تنظيم داعش مدينة تلعفر. وعلى مدى شهر تموز، استمرت المعارك بين داعش والمجموعات المسلحة المرتبطة به من جهة وقوات الأمن العراقية والكردية والمجموعات المسلحة المرتبطة بها من جهة اخرى في كل انحاء نينوى بما في ذلك سنجار وتلعفر وسهل نينوى.

وبين 2 و 3 آب 2014، تقدم داعش بسرعة الى تلعفر وسنجار. وانسحبت قوات البيشمركة الكردية الى مواقع دفاعية على طول الحدود الكردية لمحافظة دهوك حيث استمر القتال لعدة ايام للسيطرة على سد الموصل.

بتاريخ 3 آب 2014 تسبب سقوط سنجار الى موجة نزوح كبيرة للمدنيين نتيجة الاستهداف المباشر لهم. ويقدر عدد سكان قضاء سنجار عام 2014 بـ 308.315 نسمة والذي يسكنه ابناء المجتمع الإيزيدي بصورة رئيسية [٣] وخلال المدة من 4 الى 8 آب

---

(١) للحصول على معلومات مفصلة بشأن النزاع الجاري في العراق، انظر الى تقارير البعثة والمفوضية السابقة : تقرير بشأن حماية المدنيين في الصراع المسلح غير الدولي في العراق : من 5 حزيران الى 5 تموز 2014 ؛ تقرير بشأن حماية المدنيين في الصراع المسلح في العراق 6 :تموز الى 10 أيلول2014؛ تقرير بشأن حماية المدنيين في الصراع المسلح في العراق 11 :أيلول إلى 10 كانون الأول 2014 ؛ تقرير بشأن حماية المدنيين في الصراع المسلح في العراق 11 كانون الأول 2014 إلى 30نيسان 2015 ؛ تقرير بشأن حماية المدنيين في الصراع المسلح في العراق من 1 آيار الى 31 تشرين الاول 2015 وجميعها متوفرة على الرابط:
http://www.uniraq.org/index.php?option=com_k٢&view=itemlist&layout=category&task=category&id=١٦٤&Itemid=٦٥٠&lang=en

(٢) مكتب تنسيق الشؤون الانسانية في العراق : لوحة متابعة الحالة الانسانية (لغاية 29 حزيران ٢٠١٤) .

(٣) معلومات مكتب تنسيق الشؤون النسانية :أزمة العراق – النزوح الكبير من سنجار رقم 3 - 1 أب

2014، هرب ما يقرب من 200.000 شخصا الى اقليم كردستان العراق أو الحدود المتنازع عليها داخل محافظة نينوى والتي بقيت تحت سيطرة البيشمركة [1] ولجأ عشرات الآلالف الى جبل سنجار حيث حاصرهم تنظيم داعش.

وتم تلقي تقارير تفيد بأنه تم مهاجمة الأشخاص الذين حاولوا مغادرة الجبل. وتدهور الوضع الانساني مع ارتفاع درجة الحرارة التي فاقت الأربعين درجة مئوية مع نقص كبير في الماء والطعام والمأوى والخدمات الصحية [2] واشارت المعلومات في ذلك الوقت بأن الخسائر البشرية بلغت 40 طفلا لقوا حتفهم على الجبل نتيجة للتعرض للشمس ونقص العلاج الطبي [3].

بتاريخ 8 آب 2014 ، سلمت القوات العراقية والقوات الجوية للولايات المتحدة الغذاء ومواد الاغاثة الانسانية الأخرى بإلقائها من الجو الى المدنيين المحاصرين في جبل سنجار. وبتاريخ 14 آب 2014، وبمساعدة الضربات الجوية التي نفذتها قوات الولايات المتحدة تمكنت قوات من قوات حماية الشعب المتمركزة في سورية وحزب العمال الكردستاني من فتح ممر الى جبل سنجار. وذكر بأن ما يقارب من 55.000 شخصا بما فيهم اغلبية قد نزحت الى جبل سنجار، عبروا الى مناطق أكثر أمنا داخل سورية. وتمكن أغلبهم من العودة فيما بعد الى العراق من خلال معبر بيش خابور مع اقليم كردستان العراق.

2014متوفر على الرابط:

https://reliefweb.int/report/iraq/ocha-flash-update-iraq significant-displacement-sinjar-no-1-3-august-2014-crisis-significant-displacement-sinjar-no-1-3-august-2014

(1) مكتب تنسيق الشؤون النسانية، ازمة النازحين في العراق .(تقرير الموقف رقم 8 - 2) 6 أب 2014.

(2) معلومات مكتب تنسيق الشؤون الانسانية: أزمة العراق – النزوح الكبير من سنجار رقم ١ / ٣ آب ٢٠١٤ متوفر على الرابط:

http://reliefweb.int/report/iraq/ocha-flash-update-iraq-crisis-significant-displacement-sinjar-no-٢-august-٢٠١٤

(3) انظر بيان منظمة اليونيسيف بشأن وفيات الطفال في العراق: منسوب الى السيد مارزيو بابيلي ممثل اليونيسيف، ٥ آب ٢٠١٤ متوفر الى الرابط:

http://www.unicef.org/media/media_٧٤٦٧٦.htm.

وتقدر المصادر بأنه تم قتل بين 3200 الى 5500 إيزيديا على يد داعش منذ 3 آب 2014ووفقا الى السلطة المحلية فإن ما يقارب من 6386 إيزيديا تم خطفهم من قبل افراد داعش بتاريخ 3 آب 2014 أو بعد ذلك التاريخ بما فيهم (3537 امرأة و2859 رجلا) وبحلول منتصف شهر أيار 2016 ، ذكر بأنه 2587 إيزيديا تمكنوا من الهرب من قبضة داعش بما فيهم (934 إمرأة و325 رجلا و658 فتاة و670 صبي) وبقي حتى وقت كتابة هذا التقرير 3799 شخص تحت اسر داعش بما فيهم (1935 إمرأة و 1864 رجل) ولم تفلح البعثة والمفوضية من التحقق من الارقام من مصدر مستقل.

رابعا : الاطار القانوني

يتألف الإطار القانوني الدولي ذي الصلة والمعمول به في العراق من القانون الدولي الانساني والقانون الدولي لحقوق الانسان [1].

ويستمر تطبيق القانون الدولي لحقوق الانسان سواء كان مبني على معاهدات أو على القانون الدولي العرفي خلال النزاع المسلح غير الدولي. ويفرض القانون الدولي لحقوق الانسان مسؤولية مباشرة على الدولة التي ترتكب الانتهاكات أو الخروقات على أراضيها وتحت اختصاصها.

ويترتب على العراق التزام ضمان اتخاذ الإجراءات المناسبة، لمنع الانتهاكات والخروقات وضمان عدم تكرارها، واجراء التحقيق العاجل والفوري بشكل فعال وحيادي، لكشف الجناة وتقديمهم الى المحاكمة، العادلة، وضمان تقديم العلاج المناسب للضحايا. وبينما لا يمكن رسميا للأطراف الفاعلة من غير الدول بما في ذلك المجموعات المسلحة الانضمام رسميا الى اتفاقيات حقوق الانسان الدولية، تعتبر الجهات من غير الدول مثل داعش والمجاميع المسلحة الأخرى، تكون ملزمة بضمان حقوق الانسان

---

(1) يعد العراق طرفا، في جملة أمور، في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية والعهد الدولي الخاص بالحقوق القتصادية والاجتماعية والثقافية والتفاقية الدولية للقضاء على جميع اشكال التمييز العنصري واتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة او العقوبة القاسية او المهينة واتفاقية القضاء على جميع اشكال التمييز ضد المرأة واتفاقية حقوق الطفل وبروتوكولها الاختياري المعني بمشاركة الأطفال في الصراعات المسلحة وبيع الاطفال وبغاء الاطفال واستغلال الاطفال في المواد الاباحية واتفاقية حقوق الاشخاص ذوي العاقة والاتفاقية الدولية لحماية جميع الاشخاص من الاختفاء القسري واتفاقيات جنيف الرابع وبروتوكولها الاضافي الاول لاتفاقيات جنيف.

الدولية فيما يتعلق بجميع الاشخاص في هذه المناطق، كما ويجب ان يكون الأداء الحكومي مقترنا باحترام معايير حقوق الإنسان في الأراضي الخاضعة لسيطرتهم وضمان ان يكون سلوك هذه المجاميع غير مؤثر على حقوق الفراد.

يجب ان تكون جميع أطراف النزاع ملزمة بالقواعد السارية للقانون الدولي الانساني بما فيها القواعد العرفية. ومن بين اهمها مبادئ التمييز، والتناسب ومتطلبات اتخاذ جميع الاحتياطات الممكنة لتجنيب وتقليل أثر الصراع على المدنيين. وقد تشكل الخروقات الجسيمة للاتفاقية والقانون الانساني العرفي جرائم حرب[1].

إن ارتكاب افعال محددة مثل القتل والتعذيب والاغتصاب والعبودية الجنسية والخفاء القسري جزء من هجوم واسع ومنظم ضد أي مجموعة من السكان المدنيين، مع العلم بالهجوم، فإنه قد يشكل جريمة ضد الإنسانية[2].

ان هذه الجرائم المحددة مثل، القتل او الأذى الخطير الجسدي أو النفسي لأفراد منتمين الى مجموعات، قومية، اثنية، او دينية، إذا ما ارتكبت بقصد التدمير الكلي او الجزئي لجماعة قومية او اثنية او دينية، والتي قد تشكل جريمة ابادة جماعية [3].

---

(1) مخالفات جسيمة لاتفاقية جنيف وانتهاك قواعد 156 ، 158 من القانون الإنساني العرفي(دراسة حول القانون الدولي الإنساني العرفي).

(2) المادة ٧ (١) من قانون روما الاساسي للمحكمة الجنائية الدولية والمادة 5 من قانون المحكمة الجنائية الدولية والمادة 3 من قانون محكمة رواندا.

(3) تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة اتفاقية منع الابادة الجماعية والمعاقبة عليها بتاريخ ٩ كانون الول ١٩٥١ واصبحت سارية المفعول بتاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩٥١ القرار ٢٦٠ (٣)، المادة ٢: تعني الإبادة الجماعية أيا من الأفعال التالية، المرتكبة على قصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو اثنية أو عنصرية أو دينية، بصفتها هذه: قتل أعضاء من الجماعة، إلحاق أذى جسدي أو روحي خطير بأعضاء من الجماعة، إخضاع الجماعة، عمدا، لظروف معيشية يراد بها تدميرها المادي كليا أو جزئيا فرض تدابير تستهدف الحؤول دون إنجاب الأطفال داخل الجماعة، نقل أطفال من الجماعة، عنوة، إلي جماعة أخرى. وتنص المادة ٦ من قانون روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية على ما يلي: تعني " الـ: إبادة الجماعية " أي فعل من الأفعال التالية يرتكب بقصد إهلاك جماعة قومية أو أثنية أو عرقية أو دينية بصفتها هذه، إهلاكا كليا أو جزئيا: أ– قتل أفراد الجماعة . ب – إلحاق ضرر جسدي أو عقلي جسيم بأفراد الجماعة . ج – إخضاع الجماعة عمدا لأحوال معيشية يقصد بها إهلاكها الفعلي كليا أو جزئيا. د – فرض تدابير تستهدف منع الإنجاب داخل الجماعة . هـ – نقل أطفال الجماعة عنوة إلى جماعة أخرى.

خامسا: انتهاكات حقوق الإنسان التي ارتكبها تنظيم داعش ضد الديانة الإيزيدية في الفترة ما بين آب 2014 الى حزيران 2016.

١– التهجير القسري.

في الساعات الاولى من يوم 3 آب 2014 ، اقتحم تنظيم داعش قضاء سنجار. حيث حاصر التنظيم واحتل القرى بضمنها مجمع خانه صور، وقرية تل عزير، وقرية تل بنات ومجمع تل قصب وقريتي صولغ والوردية. وذكر العديد من الأشخاص الذين تم مقابلتهم بأنهم قرروا ترك منازلهم بعد معرفتهم بتقدم تنظيم داعش. وتوجه الآلالف صوب جبل سنجار حيث حوصر أكثر من 50000 – 35000 شخص على الجبل من قبل تنظيم داعش في ٤ آب ٢٠١٤ [١] ولكن أكثر من 6300 شخصا ألقي القبض عليهم من قبل تنظيم داعش أو اختطفهم أو قتلهم قبل ان يصلوا الى مكان آمن.

وذكر أحد الشهود من مجمع تل قصب، جنوب قضاء سنجار انه في الساعات الأولى من يوم 3 آب 2014 بدأ بتلقي مكالمات من اقاربه في مختلف انحاء سنجار مفادها ان التنظيم استولى على عدة اقضية . وفي تمام الساعة السادسة صباحا، كانوا يشاهدون عناصر التنظيم يتجولون في سيارات على مسافة كيلومترين او ثلاثة من قريتهم، وبدأ التنظيم بعد ذلك بتصويب نيرانه تجاه القرية . وقرر بعدها الشاهد واسرته فضلا عن35 إيزيديا اخرين الهرب . وكانت حشود الناس كبيرة جدا الأمر الذي دفع الناس الى ترك سياراتهم والسير على الأقدام.

وفي النهاية قامت سيارتان تقلان عناصر تنظيم داعش بإيقاف الشاهد. وتساءَلَ عناصر التنظيم، الذين كانوا يتحدثون بلهجات عراقية وهم يرتدون زيا أفغانيا [٢] والذي يتمثل برداء طويل وسروالا فضفاضا بلون واحد – لماذا يغادر السكان طالما أنهم لن يصيبهم اذى إذا سلموا هواتفهم النقالة وأسلحتهم . وقرر الشاهد وأسرته الذهاب الى

---

(١) النداء الإنساني العاجل لمكتب تنسيق الشؤون الإنسانية التابع للأمم المتحدة: ازمة العراق - نزوح كبير من سنجار، رقم (٢) بتاريخ 4 آب 2014، المنشور على الرابط التالي:
http://reliefweb.int/report/iraq/ocha-flash-update-iraq-crisis-significant-displacement-sinjar-no-٢-august-٤-٢٠١٤

وأوردت بعض المصادر في حينها ان قرابة ٢٠٠٠٠٠ شخص ربما لجأوا الى الجبل.

(٢) على النحو الذي وصفهم فيه الشاهد.

مدينة سنجار . وعند احدى نقاط التفتيش في المدينة، شاهدوا جثة رجل إيزيدي من قرية كوجو وأُبلغوا بأن عناصر داعش قتلوا الرجل لأنهم وجدوا أسلحة في سيارته وفي هذه النقطة، تم فصل الرجال عن النساء . وتم حجز قرابة 350 رجلا إيزيديا في الطابق الثاني من مبنى البلدية بينما أودعت قرابة 2000 إمرأة وطفل في الباحة الخلفية من المبنى. وواصلت العديد من العوائل الوصول . وفي تمام الساعة 9:00 مساءا، سمع الشاهد صوت نساء يصرخن ويبكين في الخارج وقيل له لاحقا ان التنظيم قام بأخذ500 فتاة إيزيدية شابة بضمنهم ابنته البالغة من العمر 13 سنة ووضعوهن في حافلات وأخذوهن بعيدا. وبعد أشهر، قام أحد عناصر داعش والذي كان متعاطفا معه بتأمين اتصال له مع رجل في الموصل اشترى ابنته بمبلغ قدرهُ/ 600 / دولار امريكي. وأُعيدت الفتاة الى أسرتها لاحقا عندما كان التنظيم يحتجزهن في احدى قرى قضاء تلعفر الذي كان يسكنه التركمان الشيعة الذين هربوا قبيل وقوع الهجوم.

وافادت شاهدة اخرى من مجمع تل قصب الواقع جنوب قضاء سنجار الذي يتألف من 2500 الى 3000 منزل أنه في صبيحة يوم 3 آب 2014 ، هاجم التنظيم المجمع السكني بقذائف الهاون والأسلحة الثقيلة . ولم يعرف السكان بالهجوم الوشيك الى ان وصل إليهم عناصر التنظيم، وقاومت قوات البيشمركة الموجودة في القرية اضافة الى الرجال الإيزديين والمسلمين لمدة ثلاثة أو اربعة ساعات الهجوم الذي شنه التنظيم، بيد ان سلاحهم الوحيد كان بنادق الكلاشينكوف لذلك لم يصمدوا طويلا، وفي تمام الساعة التاسعة صباحا فرّ السكان.

وفي طريقها للهرب شاهدت الشاهدة رجالا وتعرفت عليهم بأنهم من سكنة القرية العربية المجاورة يرتدون زيا افغانيا وهم الذين هاجموا القرية. وعندما كانت الشاهدة وأسرتها يسيرون في طريقهم الى جبل سنجار اوقفهم ثلاثة من مقاتلي التنظيم يستقلون ثلاثة سيارات بيضاءة اللون كانوا يحملون اسلحة رشاشة وأبلغوهم باللغة العربية بعدم الهرب وانهم سيحمونهم إذا ما اعتنقوا الإسلام.

وفي ذلك المساء أخذت ابنة الشاهد ذات الثلاثة عشر ربيعا من أبيها وبيعت، حتى ان الشاهدة بقيت سبية الى ان هربت بعد قرابة تسعة أشهر.

وذكرت شاهدة اخرى انه عند الساعة السابعة صباحا في يوم 3 آب 2014 اتصل والدها هاتفيا ليحذرها من اقتراب تنظيم داعش، وأنها لم تسمع اي اصوات قتال لأن

قوات البيشمركة كانت قد انسحبت سلفا من قريتها(قرية تل عزير) في قضاء سنجار. وعندما هربت مع اسرتها الى جبل سنجار ضمن مجموعة يبلغ عددها حوالي 400 شخصا إيزيديا اعترضهم عناصر داعش في قرية الوردية وأوقفوهم في صف مصوبين اسلحتهم تجاههم وصادروا اموالهم ووثائقهم التعريفية وحليهم الذهبية. وحاولت إمرأة حامل إخفاء بعض حليها الذهبية فأطلقوا عليها النار في منطقة البطن وأردوها قتيلا. وافادت الشاهدة انها رأت جثث رجال مقتولين في "كل مكان" من القرية. وأصاب الشاهدة الذهول فلم تكن قادرة على تصديق ما كان يحدث وذكرت ان الرجال الكبار في السن كانوا يبكون حالهم حال النساء والأطفال. وقالت شاهدة اخرى انها عندما كانت تهمُّ بالهرب مع زوجها وأطفالها الستة من قرية تل عزير وانضموا الى طابور كبير من السيارات التي تقل إيزيديين خرجوا من مختلف مناطق سنجار. وعندما وصلوا قرب جبل سنجار اوقفهم عناصر من قوات البيشمركة على ما يبدو إذ كانوا يرتدون زي البيشمركة ويتكلمون اللغة الكردية بلهجة الكورمانجي المحلية وامروا الشاهدة واسرتها بالصعود في شاحنات بدت انها تابعة للبيشمركة حيث انضمت الشاهدة الى العديد من الإيزديين جاؤوا من سيارات اخرى. وبعد ان استقلوا تلك المركبات، وصل رجال آخرون ميزتهم الشاهدة بأنهم عناصر داعش، وأدركت ان من اعتقدت انهم بيشمركة كانوا في الحقيقة عناصر من داعش متخفين . واقتيدت الشاهدة الى مبنى في مدينة سنجار حيث تم احتجازهن فيها سبعة أيام، وفي الطريق الى ذلك المبنى شاهدت جثث سبعة رجال إيزيديين ملقاة على الأرض.

وأفادت شاهدة اخرى انها عندما مكثت في بادئ الأمر في قرية الوردية ذلك أنها صدقت ادعاء تنظيم داعش بأنهم لن يقتلوا المدنيين، إلا ان مختار القرية حذرهم من أن التنظيم يكذب وكان ينوي قتل الرجال وسبي النساء والأطفال. وقررت اسرتها المتكونة من 21 شخصا الهروب الى جبل سنجار يوم 5 آب 2014 وعندما كانوا يسيرون على الأقدام في منتصف الليل سمعوا رجلا إيزيديا ينادي عليهم من مكان بعيد. وارتأت الشاهدة على أسرتها ان ينتظروه علـه يحتاج الى مساعدة . وبينما كانوا ينتظروه، اقتربت ثلاثة سيارات فيها عشرة من عناصر داعش وهم يطلقون النار في الهواء. وأدركوا ان ذلك كان فخا، وبعد ذلك اعتذر منها ذلك الرجل الإيزيدي وأدّعى بأن عناصر داعش اجبروه على ذلك تحت تهديد السلاح وهدده بالقتل اذا لم يوقفهم.

وعلى الرغم من تمكن العديد من الإيزديين الوصول الى جبل سنجار إلا أن الوضع على الجبل كان في غاية الصعوبة، حيث كان الآلالف منهم عالقين على قمة الجبل دون اي مؤونة إنسانية. وذكر أحد الشهود، للبعثة ومفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان والذي عزله التنظيم عن زوجته وأطفاله الأربعة عندما هربوا انهم حوصروا مع أحد اولاده لمدة خمسة ايام مع الآلالف من الإيزديين. وشاهد ثلاثة نساء وعشرة أطفال ماتوا بسبب الجوع والعطش. وعلم الشاهد بعد ذلك ان بقية افراد اسرته قد اخذهم التنظيم. وقال الشاهد انه كان يتصل بشكل محدود بزوجته واطفاله حتى شهر آب 2015وعلم ايضا ان احدى بناته قد اخذت الى الرقة في سوريا. وعلى أية حال، ومنذ آب 2015لم يحصل على أية معلومة عن محل تواجدهم.

واشار شاهد آخر أنه عندما تركت اسرته مجمع خانة صور في قضاء سنجار في الساعة الثامنة صباحا يوم 3 آب 2014، لم يأخذوا معهم كميات كافية من الغذاء أو الماء لاعتقادهم بأنهم سيعودون الى منازلهم في وقت قريب. وذكر الشاهد انهم عندما وصلوا جبل سنجار وجدوا العديد من الناس دون ماء أو الغذاء. وكانت هناك بئر واحدة تجمع عليها الآلف من الناس وهم يحاولون الحصول على القليل من الماء. ووجد الشاهد أحد الأشخاص ومعه كيسي طحين وعرض عليه ان يبيعه إحدهما بمبلغ 100 دولار امريكي إلا انه رفض.

وروى الشاهد كيف ان الطائرات شرعت في إلقاء الرزم الغذائية جوا إلا انها سقطت بعيدا، وكان المحاصرين متخوفين من النزول من الجبل لجلب المواد الغذائية لئلا يمسك بهم تنظيم داعش. وكانوا لا يعلمون ماذا يفعلون وهم محاصرين على الجبل، وسمعوا ان البعض حاول الهروب الى سوريا بيد ان تنظيم داعش قبض عليهم وقتلهم . وفي 11 آب 2014، سمعوا ان قوات حماية الشعب الكردية التي تتمركز في سوريا تمكنت بالتعاون مع حزب العمال الكردستاني من فتح ممر الى سوريا فقرروا ان يحاولوا التوجه الى سوريا عبره. وعلى طول الطريق، قدم لهم الجنود الماء بينما عثروا في احدى المزارع على رقي و خيار.

وفي الحدود، كانت هناك شاحنة توزع الماء حيث كان الناس يتقاتلون للحصول عليه، وتمكن الشاهد وأسرته من الحصول على قنينتي ماء وعبروا الحدود الى سوريا. واستطاعوا لاحقا من العودة الى اقليم كوردستان العراق.

٢- التغير القسري للدين.

أفاد الإيزديون الذين تمكنوا من النجاة من الهجوم الأولي بأنه عند اعتراضهم من قبل افراد داعش يطلب منهم داعش عادة اعتناق الإسلام او مواجهة القتل. وبالنسبة للأفراد الذين رفضوا عرض داعش فانهم يقتلوا في الحال وغالبا امام الإيزديين الآخرين المحتجزين. وبالنسبة للآخرين الذين جُمعوا تحت هذا الضغط الشديد فانهم على الرغم من ذلك خضعوا الى سوء المعاملة والاعتداء الجنسي.

فعلى سبيل المثال، أفادت شاهدة كانت في مدينة سنجار مع عائلتها بأن داعش كان قد وصل الى المدينة في تمام الساعة8:30 صباحا في يوم 3 آب 2014 في شاحنات عديدة . وكانت قوات البيشمركة قد انسحبت من المدينة من دون اخبار السكان. وكان أفراد داعش يرتدون الزي الأفغاني لكنهم كانوا يعرفون شقيقها وابن عمها بالاسم" طلب افراد داعش منهم اعتناق الاسلام او مواجهة القتل لذا فانهم رضخوا لذلك حيث لم يكن هناك اي خيار آخر لديهم.

عاد شاهد من قرية تل قصب من جبل سنجار الى مدينة سنجار مع افراد اسرته بعد ان أقنعه افراد داعش بأنهم سوف لن يمسوهم بأي ضرر، وعند اقترابهم من الملعب شاهدوا اثنين من الشباب مقتولين وملقيين على الأرض وملطخين بدمائهم. وفي نقطة السيطرة بالقرب من الملعب جرى فصل النساء عن الرجال واقتيادهم الى مبنى حكومي سابق. حاول رجلان يبلغان من العمر زهاء 45 - 40 سنة الفرار لكنهم فشلوا في ذلك لذا قتلهم افراد التنظيم رميا بالرصاص . وبعد مضي ثلاثة ايام قام داعش بعصب أعين نحو 250 – 200 رجل كانوا في المبنى وقاموا بربط أيديهم خلف ظهورهم ومن ثم جعلهم يجثون على الركبة لحوالي 24 ساعة. قام افراد داعش بتصويرهم واخبروهم بانهم سوف يقومون بقتلهم جميعا. بعدها أخبرهم افراد داعش زاعمين انه بنا ء على أوامر زعيم داعش ابو بكر البغدادي فانهم إذا اعتنقوا الاسلام سوف لن يقتلوا. وافق الرجال على اعتناق الاسلام.

وذكرت امرأة أخرى أنه بعد مضي عدة أيام في قبضة داعش، رفض زوجها البالغ من العمر 85 سنة تغيير ديانته إثرها اقتيد من قبل أفراد داعش، وقالت إنها لا تملك معلومات حول مكان وجوده.

وأفادت احدى الشهود أنه بعد اختطافها مع أسرتها من قبل داعش جرى نقلهم إلى سوريا قبل جلبهم إلى العراق بعد أسبوع. وفي الأسبوع الأول من الأسر، اقتيدوا الواحد تلو الآخر أمام أحد العراقيين الذي عرف نفسه بانه المُلا وامرهم باعتناق الإسلام. ثم تم فصلهم إلى ثلاثة مجموعات - البنات والشباب و العوائل – وتمت اعادتهم إلى العراق في صباح يوم 4 آب 2014، استولى داعش على قرية سوخاني بالقرب من مدينة سنجار. ووفقا لشاهد عيان ألقى داعش القبض على حوالي 110 شخصا من الإيزديين والشيعة ووضعوهم باكتظاظ في خمسة منازل. وفي ذلك المساء، طلب داعش من الإيزديين اعتناق الإسلام بينما طلب من الشيعة "التوبة" من "الأخطاء" رفض نحو 50شخصا من الإيزديين ذلك، اثرها قتل داعش نحو 30 منهم، معظمهم من كبار السن رميا بالرصاص أمام البقية. وتم احتجاز 15 آخرين من الذين رفضوا تغيير ديانتهم ووضعهم في غرفة وكانت هناك امرأة عجوز بين المجموعة والبقية رجال . قدم داعش لهم المياه القذرة فقط دون أي طعام. وبعد حوالي 16 يوم ماتوا جميعا. ولحظ الشاهد ان افراد داعش يأخذون الجثث من الغرفة.

أفادت اسرة من قرية الوردية بأنه وبعد قيام داعش باحتجاز 17 فردا من العائلة في يوم 4 آب 2014، تمكن رب الأسرة من الاتصال بشخص يعرفه في قضاء البعّاج وطلب منه انقاذهم . وبعد تدخله أخذت الأسرة إلى منطقة خارج مدينة البعاج وتم وضعهم في غرفتين لمدة سنة وسبعة أشهر على الأقل. اضطرت العائلة إلى اعتناق الإسلام واداء الصلاة خمسة مرات في اليوم، حيث كان افراد داعش يأتون الى غرفهم لترويع افراد الأسرة متهمين إياهم بأنهم مسلمين غير صالحين ويقومون بتهديدهم.

٣– الاختطاف والحرمان من الحرية، والمعاملة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة

ذكر ان الأشخاص الذين كانوا في قبضة تنظيم داعش يوم 3 آب 2014 والأيام التي تلته تم نقلهم من مكان الى آخر وبشكل تكرر وأخضعهم التنظيم الى معاملة سيئة جدا مع عدم توفير الاحتياجات الأساسية لهم بضمنها الماء والغذاء .ولم تستثنِ تلك المعاملة غير الإنسانية أحدا، حتى الأشخاص المختطفين الأشد ضعفا كالأطفال وكبار السن والأشخاص ذوي الإعاقة.

وذكرت احدى الشاهدات انه بعد ان ألقي عليها القبض، أخذوها في بادئ الأمر الى مبنى في مدينة سنجار لسبعة أيام مع مجموعة من النساء ثم نقلوها الى الموصل لمدة

20يوما ومن ثم الى سجن في قضاء تلعفر لثلاثة ايام وبعدها نقلت الى مدرسة في تلعفر وبقيت فيها سبعة ايام وبعدها الى سجن بادوش قرب مدينة الموصل وبقيت فيه نحو شهر. وذُكرَ ان تنظيم داعش كانوا يسجلون اسماء السبايا في كل مرة يقومون بنقلهن من مكان الى آخر. ففي المدرسة في تلعفر، التقى البعض بأفراد من اسرهم – وكان افراد التنظيم يذيعون اسماء الرجال الذين يلم شملهم بأسرهم – إلا انهم كانوا يأخذون منهم الفتيات. وبعد ذلك نقلت الأسر الى قرية مهجورة في قضاء تلعفر والتي كان يقطنها في السابق التركمان الشيعة. عندما أخلي سبيلها من قبل التنظيم في نيسان 2015 مع مجموعة من السبايا اللواتي كن كبيرات في السن او من ذوي الاحتياجات الخاصة، واخذ أفراد التنظيم ابنتها البالغة من العمر أربعة سنين وهددوها بأنهم سيقتلونها مع بقية اطفالها إذا رفضت ان تغادر دون الفتاة ولاتزال البنت مفقودة.

وذكر الأشخاص الذين تم مقابلتهم انهم بقوا في بعض الأحيان بدون طعام لثلاثة أيام. وكانت احدى النساء مرضعة لم يبلغ عمر طفلها سوى ثلاثة أشهر، ولذلك لجئن لشرب الماء من مراحيض المبنى الذي احتجزوا فيه. وذكرت امرأة اخرى ان افراد التنظيم جلبوا لهم قطعا من الخبز القديم واليابس في صناديق ليأكلوه، وعندما كانت النساء يهرولن للحصول على الخبز، قام افراد التنظيم بتصويرهن وقالوا لهن انهم سيبثون تسجيلا حتى ترى أسرهن بأنهن محتجزات كسبايا. وروت بضعة نساء كيف كن محتجزات في اماكن مختلفة في العراق وسوريا تحت الأرض أو في غرف تم تغطية نوافذها لكي لا يعرفن الوقت هل هو ليل أم نهار وان بعضهن احتجزن في مثل هذه الأماكن لمدد تراوحت بين أربعة الى خمسة أشهر. وذكرت بضعة نسوة انهن كن محتجزات تحت الأرض لأكثر من خمسة ايام في ما بدا انه سجن في مدينة الرقة بسوريا حيث كانت مياه الصرف الصحي تصل الى ركبهن.

وذكرت العديد من الإيزيديات انهن كثيرا ما تعرضن للضرب اثناء السبي. إذ أشارت احدى النساء بينما كانت محتجزة في سجن في تلعفر، ان اثنان من عناصر داعش كانا يتكلمان باللغة العربية وبلهجة سكان تلعفر، كانا يضربان النساء بعصي طويلة و يقولن لهن ان الإيزديين "كفار" و"خنازير". وألقى التنظيم القبض على رجل إيزدي من ذوي الاحتياجات الخاصة واقتادوه الى قضاء البعاج بسبب عدم تمكنه من الهرب من قرية جيل زوير في قضاء سنجار. هذا وقد أودع الرجل في غرفة مع عشرة رجال كان

اغلبهم من العرب. وبين لحظة واخرى كان عناصر داعش يأتون إليهم ويأخذون أحد الرجال العرب ويضربونهم بالأسلاك، وقال الضحايا للشاهد انهم يعذبون بسبب عملهم مع الحكومة العراقية.

وقالت احدى الشاهدات انها اجبرت مرتان على الصعود الى حافلة صغيرة مع نساء اخريات واخذن الى الموصل لكي يتبرعن بالدم لمقاتلي التنظيم الجرحى. وعندما وصلن الى المستشفى، قام احد الأطباء بصفهن في طابور وسحب قنينة دم واحدة من كل إمرأة.

وذكر بعض الإيزديين انه سمح لهم بالعيش مع اسرهم في قرى مهجورة في قضاء تلعفر كان يقطنها سابقا التركمان الشيعة.

وأُشيرَ الى ان جميع الإيزديين اجبروا على القيام ببعض الأعمال. وذكرت احدى الشاهدات ان ابنيها البالغين من العمر 20 سنة و 45 سنة أجبروا على العمل يوميا من الساعة 4:00 صباحا الى الساعة 6:00 مساء. أجبر التنظيم الرجال على بناء انفاق أو العمل كرعاة ومزارعين. وذكر أحد الرجال الذين عملوا كرعاة مع سبعة من اقاربه بأنهم لم يتلقوا أجرا مقابل عملهم وأنهم "لم يجرؤا" على طلب الأجر.

وذكر ان التنظيم كان يعمد بشكل دوري الى تفتيش المنازل بحثا عن الهواتف النقالة، وفي حالة العثور على هاتف نقال بحوزة أي شخص، يقوم عناصر التنظيم باقتياده الى وسط القرية ويضربونه بالسياط أمام انظار الإيزيدين الآخرين الذين يجبرونهم على مشاهدة عملية الجلد.

اجبر التنظيم الأطفال فوق سن الخامسة على اعتناق الإسلام وادخلوا في مدارس حيث اجبروا على تعلم القرآن. وذكر شاب في التاسعة عشرة من العمر انه عندما كان في قبضة داعش في تلعفر، علمه افراد التنظيم وشقيقه في احدى مدارس المدينة كيفية استخدام السلاح. وكان التنظيم يدرب جميع الأولاد الإيزديين ممن تتجاوز أعمارهم 12 سنة كيفية استخدام السلاح مع عدد من الصبية الذين يعتقد الشاهد انهم كانوا شيشانيين. ووفقا للشهود، بلغ مجموع الصبية الذين تم تدريبهم وتلقينهم في المدرسة حوالي 300 صبي.

٤- عمليات القتل الممنهج والواسع النطاق

ذكر العديد من الشهود انه بعد ان قام تنظيم داعش باقتحام مدينة سنجار واحتلالها فضلا عن القرى الإيزدية المجاورة، عمد افراد التنظيم الى قتل العشرات من المدنيين الإيزديين. ووفقا لروايات أوردها شهود وناجين فأن عمليات القتل الجماعي فضلا عن الأعمال الأخرى التي ارتكبها عناصر داعش بحق الإيزديين تبدو بأنها ارتكبت كجزء من نهج منظم لسلوك مماثل نفذ برغبة إبادة هذه الأقلية [١].

وهربت احدى الشاهدات من قرية تل بنات مع عشيرتها صبيحة يوم 3 آب 2014، وعندما اسرعوا بالمرور من احدى نقاط التفتيش، شاهدت مسلحين ملثمين كان الكثير منهم يرتدي زيا اسودا شبيها بالزي الأفغاني قاموا بإطلاق النار على سيارة خلفها كانت قادمة من اتجاه مدينة سنجار تقل ثلاثة رجال إيزيديين مما ادى الى مصرع جميع الركاب على الفور. وعلمت الشاهدة لاحقا من شاهد عيان آخر ان التنظيم اختطف 40 رجلا بضمنهم والد الشاهدة من قريتها الى منطقة زولياله قرب جبل سنجار حيث تم قتلهم. وفي صبيحة نفس اليوم، رأى أحد الشهود عناصر تنظيم داعش وهم يقتلون ابن عمه البالغ من العمر 16 سنة بعد ان حاول الهرب. وبعد ان بدأت والدة الضحية بالصراخ وتلعن داعش، قام افراد التنظيم بإطلاق النار عليها وأردوها قتيلة.

وأفادت إمرأة من قرية تل عزير إن تنظيم داعش اعتقل 74 فردا من اسرتها صبيحة يوم 3 آب 2014 واقتادهم التنظيم الى منطقة سيبا شيخ خدر. وبعد يومين، تم فصلها عن والديها وزوجها وبقية أقاربها. وذكرت لمحققي حقوق الإنسان انها رأت عدد كبير من الجثث [ربما مئات الجثث] مرمية على أمام احد الجدران في المنطقة اعلاه. وقالت انها شاهدت زوجها ورجال ايزديين آخرين وقد اجبروا على رمي جثث المئات من الضحايا الإيزديين، الذين أطلق عليهم التنظيم النار وقتلهم، في حفر كبيرة. ولم ترَ الشاهدة زوجها او بقية أقاربها بعد هذه الحادثة.

وذكر أحد الشهود انه قرر البقاء في قرية كوجو في صبيحة يوم 3 آب 2014 بعدما تناهى الى سمعه ان الإيزيديين الذين حاولوا الهروب الى جبل سنجار اما قتلهم التنظيم أو القى عليهم القبض. وفي 10 آب 2014 ، وصل عناصر التنظيم على متن 60 سيارة

---

(١) انظر الهامش 4 اعلاه.

وحاصروا القرية. وبعد خمسة أيام، وصلت جرافتان. وأمر أحد امراء [1] التنظيم شيخا من شيوخ القرية بجمع الأهالي في مبنى المدرسة حيث ابلغهم عناصر التنظيم بوجوب ترك اموالهم وهواتفهم وبقية ممتلكاتهم. وسأل عناصر التنظيم سكان القرية فيما إذا كانوا يرغبون باعتناق الإسلام فأجاب الشيخ بالرفض نيابة عنهم. بعد ذلك، اخذ عناصر داعش بتقسيم الرجال الأيزيديين الى مجاميع كل مجموعة تتكون من 50 رجلا ووضعهم في سيارات حيث كان الشاهد في المجموعة الأولى. وتوقفت السيارة بعيدا عن القرية عند احدى المزارع بعد ان سارت بهم لمسافة 350 متر. امر الرجال بالجلوس ارضا حيث كان يقف عناصر داعش خلفهم وكان احد عناصر داعش يقوم بالتصوير. وأمر امير التنظيم عناصره بإطلاق النار فأصيب الشاهد بإطلاقتين في ساقه اليمنى واخرى في ساقه اليسرى وبرصاصة في ظهره. وتظاهر الشاهد بأنه ميت. وبعد حوالي15 دقيقة انسحب عناصر التنظيم فرفع الشاهد رأسه ليرى ابنه البالغ من العمر 15 سنة واثنين من ابناء اخيه صرعى. وعندما زحف الشاهد بعيدا الى مزرعة اخرى، شاهد ثمانية ناجين اخرين يحاولون الزحف في اتجاهات مختلفة، فشاهد عناصر التنظيم وهم يقتلون المجموعة الثانية من الرجال وسمع صراخ وبكاء النساء والأطفال. وعندها وصلت الجرافات ودفنت الجثث بالرمال.

وقال عدة شهود انهم عندما صادفوا عناصر داعش امروهم بالعودة الى منازلهم لأنهم لن يصيبهم أذى، فصدقهم العديد منهم فعادوا الى ديارهم . وعلى سبيل المثال، افادت احدى الشاهدات انه عندما سيطر التنظيم على قرية الوردية يوم 3 آب 2014 من خلال نشر 20 مقاتلا من عناصره، قام هؤلاء بإبلاغ السكان بأنهم لن يؤذونهم .ولكن في اليوم التالي، رأت عناصر التنظيم يطلقون النار على ثلاثة رجال ويقتلونهم، رجل وابنه وجار الشاهدة وهو رجل شاب. والقى القبض على الشاهدة بينما كانت تحاول الهرب لاحقا الى جبل سنجار.

وبعد اشهر، وحينما كانت الشاهدة اسيرة في قرية حي الخضراء - وهي قرية شيعية مهجورة تقع في قضاء تلعفر - تمكنت بعض الأُسر الإيزيدية من الهرب. قام امير

---

(1) الأمير مصطلح يطلق في تنظيم داعش على قادة التنظيم. ومما يثير التأمل أن المسؤول الأول للجماعة الاسلامية في إقليم كُردستان العراق علي بابير أطلق على نفسه المصطلح ذاته (راجع: ا. د. عبدالفتاح علي بوتاني، الاسلام السياسي).

داعش العراقي بجلب جميع الرجال الى المسجد وقال إن فر عدد اخر منهم فأنه سوف يقتل الرجال ويأخذ النساء والأطفال. وفي اليوم التالي فرت ثلاثة أُسر إيزيدية اخرى من القرية. وقام الأمير بجلب أكثر من 600 رجلا إيزيديا الى المسجد واجبرهم على الصعود الى حافلات طويلة بما فيهم زوج وشقيق واثنين من أعمام الشاهدة. بعد ذلك قام عناصر داعش - الذين وصفهم الناجون بانهم ذوي شعر طويل ويرتدون ملابس افغانية و يتحدث العديد منهم اللهجة السورية - بجلب كافة النساء والأطفال الى باحة المسجد واخبرهم امير داعش بانهم قتلوا الـ 600 رجلا. بعد ذلك وضعوا النساء والاطفال بما فيهم الشاهدة في حافلات واخذوهم الى مدرسة في تلعفر" من ثم بيعت الشاهدة واخذت الى سوريا قبل ان تتمكن من الهرب. ولم تسمع أية اخبار بشأن ذويها من الرجال منذ ذلك الحين.

روى شاهد آخر نقلا عن قرويين آخرين ان عناصر داعش اخبروهم بانهم سوف لن يمسوهم باي ضرر لذا قرر العودة مع ابنه الى المنطقة ولكن عند سيرهم شاهدوا عناصر داعش يأسرون الرجال ويفصلوهم عن النساء ويقتلون العديد من الرجال. بعد ذلك القى عناصر داعش القبض على الشاهد وابنه في قرية الوردية وأّخذوهم الى تلعفر ووضعوهم في قاعة مع حوالي 600 رجل اخرين جميعهم من اماكن مختلفة حول قضاء سنجار. كان عناصر داعش يأتون الى القاعة ويختارون خمسة او ستة رجال ويأخذونهم الى خارج القاعة وعندها يُسمع صوت اطلاق النار" وكان مجموع الرجال الذين اخذهم افراد داعش نحو 20 رجل.

بعد ذلك يأتي افراد داعش احيانا ويسألون المحتجزين عن هؤلاء الرجال واين ذهبوا، لكن لم يجرؤ أحد على الاجابة لأنهم اذا أجابوا فهذا يعني انهم يعرفون وبالنتيجة سيكون مصيرهم القتل على يد افراد داعش.

أفاد شاهد آخر بانه وبعد مضي عدة اسابيع على اختطافه في قرية صولغي اندلعت المواجهات بين داعش وقوات البيشمركة. القى عناصر داعش القبض على نحو 20مدني كانوا باقين في القرية ـ قاموا بقتل العديد منهم - ووضعوا البقية في منزل حتى لا يتسنى لهم الهرب. بعدها أطلق افراد داعش النار ببندقية على ثلاثة مدنيين - بضمنهم واحد من قرية كوجو وآخر من قرية تل قصب - على مرأى المجموعة ودون اي تفسير.

وافاد اثنين من الشهود بانه في يوم 3 آب 2014 حاصر افراد داعش مزرعة في تل عزير وطلبوا من مجموعة من الإيزيديين المختبئين هناك اعتناق الإسلام او مواجهة القتل. وقد رفض كافة رجال المجموعة الذين يقدر عددهم بنحو عشرين رجل ذلك عندها تم قتلهم برصاصة في الرأس على الفور" من ثم جرى اصطحاب كافة النسوة والأطفال في سيارات واخذهم الى الموصل مع مجموعة اخرى مؤلفة من حوالي – 300 400امرأة وفتاة.

كما أفاد شاهد آخر بأنه بعد يومين من احتجازه طلب افراد داعش منهم اعتناق السلام، رفض رجل في الحادية والعشرين من عمره الاستجابة للطلب إثرها قام داعش بقتله برصاصة في رأسه وعلى مرأى مجموعة من الأسرى الإيزديين.

كما قتل داعش الإيزديين الذي القي القبض عليهم اثناء محاولتهم الفرار. فعلى سبيل المثال افاد عدة شهود(بما فيهم احد اقارب الضحايا) ان داعش كان قد القى القبض على اثنين من الإيزديين اثناء محاولتهم الفرار من قرية كسر المحراب في قضاء تلعفر وقام بقتلهم. هذا وقد أخبر داعش الإيزديين الأسرى بأن من يحاول الهرب فأنه سيواجه نفس المصير.

وقام عدة شهود بتقديم قائمة الى البعثة والمفوضية تضم معلومات عن أسرهم وافراد مجتمعاتهم الذين خطفهم داعش والذين مازالوا مفقودين او ربما قتلوا على يد داعش.

٥- العنف الجنسي والاستعباد الجنسي

بعد القبض على الآلالف من الإيزديين المدنيين قام داعش بفصل منظم للرجال عن النساء والأطفال. وفي كثير من الأحيان، بعد اعتقال النساء والأطفال يأخذ داعش الفتيات الصغيرات بعيدا. تشير معلومات الشهود الى أن معظم الفتيات تحت سن ما يقرب من ثماني سنوات من العمر يُتركن مع أمهاتهن بينما تؤخذ الفتيات فوق هذه السن من قبل أفراد داعش. ولم تكن النساء المتزوجات ممن لديهن أطفال صغار أو حوامل بمنأى عن الاعتداء الجنسي.

أكد داعش بنفسه أن الرق الجنسي مقبول بشأن الأسرى الإناث أو كما يشير

إليهم داعش "بالسبايا" أو"غنائم الحرب "في العديد من التصريحات العلنية [1] فعلى سبيل المثال، في حوالي شهر تشرين الأول عام 2014 أصدر داعش كتيب بعنوان 22 :أسئلة وأجوبة عن أخذ الأسرى والسبايا. تنص الوثيقة على أنه يجوز الجماع الجنسي مع فتاة لم تبلغ سن البلوغ وتعتبر "السبية" ملكية خاصة تخضع للتوزيع بعد وفاة مالكها باعتبارها جزء من تركته[2].

وثيقة أخرى أصدرت أيضا في حوالي تشرين الأول 2014 تُحدد أسعار بيع النساء والأطفال في الأسر 300000 دينار عراقي للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 1 - 9 سنوات" 150000 دينار عراقي للفتيات اللائي بين20 10 -سنة" 100000 دينار عراقي للنساء بين 20 - 30 سنة" و 75000 دينار عراقي للنساء بين 30 - 40 سنة" و 50000 دينار عراقي للنساء بين50 – 40 سنة. وتشير الوثيقة أيضا الى أنه يسمح للمقاتلين الأجانب من تركيا وسوريا ودول الخليج فقط شراء أكثر من ثلاثة أسرى.

أفادت احدى الشهود أنه بعد احتجازها لمدة أربعة أيام تم فصل الفتيات الصغيرات عن النساء الكبيرات في السن، وتم اخذ اثنين من بناتها اللائي تتراوح أعمارهن بين 13 و 14 سنة. وتم عزل الرجال أيضا وتسجيل أسمائهم في السجلات . وبالمثل، أفادت شاهدة أخرى أنه بعد إلقاء القبض عليها مع عائلتها تم نقلهم إلى مدرسة في قضاء تلعفر. وفي المدرسة أجبر التنظيم الرجال على الصعود في شاحنة أخرى. وعندما حاولوا ابداء المقاومة تعرضوا للضرب. وتم نقل النساء والأطفال إلى المدرسة. حيث هنأ أعضاء داعش بعضهم البعض على نجاح العملية حيث أنهم استولوا بأثرها على "عدد كبير" من النساء والفتيات. وعلى مدار12 يوما، تم تسجيل أسماء النساء من قبل داعش وتم فصل النساء المتزوجات عن الفتيات.

---

(1) اشير اليها من قبل داعش بـ"ما ملكت ايمانكم" والتي تعني ما تمتلكه يدك اليمنى؛ على سبي المثال - انظر صحيفة دابق التابعة الى داعش 1435العدد (4 الحملة الصليبية الفاشلة)، ص 14 ؛ متوفرة على الرابط الالكتروني:

http://media.clarionproject.org/files/islamic-state/islamic-state-isis-magazine-Issue-٤-the-failedcrusade.pdf

(2) https://www.hrw.org/news/٢٠١٥/٠٩/٠٥/slavery-isis-rules

وذكرت امرأة أخرى أنه بعد ان افترقت عن زوجها وثلاثة من أبنائها في 3 آب 2014في مدينة سنجار، قام داعش بفصل الفتيات الصغيرات عن النساء. استغرقت العملية زهاء خمسة ساعات حيث أخذ داعش حوالي 500 شابة بعيدا، بما في ذلك ابنتها البالغة من العمر 13 عاما. اقتيدت ابنتها إلى قاعة في الموصل كانت "مليئة بالفتيات وبعد سبعة أيام تم بيع ابنتها إلى أحد أعضاء داعش من العراقيين في مقر المحكمة السابقة في الموصل بمبلغ 1000 دولار أمريكي.

غالبا ما تعتقل النساء معا في المباني الكبيرة مثل مباني البلدية والمدارس والسجون. وكثيرا ما يأتي افراد داعش ليأخذوا الفتيات والنساء الى الخارج بسحبهن من شعرهن وضربهن في كثير من الأحيان على ما يبدو لاغتصابهن والاعتداء عليهن . اعتقلت احدى الشهود من كبار السن مع 900 امرأة أخرى في قاعة كبيرة في الموصل وقالت ان 76فتاة اخذهن داعش خارجا بعضهن لا يتجاوزن سن خمسة سنوات. واوردت النسوة ادعائهن بالزواج من اي رجل من العائلة أحيانا لإخوانهم "لحماية أنفسهن من توزيعهن بين افراد داعش".

وأفادت إحدى النساء بانها اقتيدت إلى سجن في تلعفر كان مكتظا بالسبايا الإيزيديات. وفي إحدى الليالي، دخل أفراد داعش، الذين تعتقد المرأة أنهم سوريين من لهجتهم، الى زنزانة كانت تقبع فيها برفقة أم وابنتيها وهم يحملون سكاكين كبيرة. حاول افراد داعش أخذ الفتيات الذين تتراوح أعمارهن بين حوالي 20 و 23عاما لكن الأم والفتيات قاومن. وقام أحد عناصر داعش بوضع سكينا على رقبته الأم وقام الآخر باغتصاب واحدة من بناتها. بعدها تناوب افراد داعش على اغتصاب الفتيات، والرجل الثاني اغتصب فتاة أخرى.

وأفادت شاهدة اخرى بأنها بعد عدة أشهر من الأسر في قضاء تلعفر، وضعت في واحدة من مجموعة حافلات يقودها افراد داعش ذهابا وإيابا إلى الموصل. وفي طريق العودة توقفت الحافلة في مكان حيث كان هناك حوالي 50 سيارة مع رجال يرتدون ثياب بيضاء طويلة، مشابهة للزي الوطني الخليجي. جاء هؤلاء الرجال الى داخل الحافلة وبدأوا باختيار الفتيات. استخدم بعض الرجال العصي لضرب الأمهات اللائي حاولن المقاومة. وبعد وضع الفتيات في سياراتهم اعطى هؤلاء الرجال المال الى أعضاء داعش قبل مغادرتهم.

سردت احدى الناجيات من أسر داعش الذي استمر سنة وسبعة أشهر في منطقة تلعفر الى محققي حقوق النسان كيف قام افراد داعش بضربها عندما حاولت منعهم من أخذ ابنتها البالغة من العمر 13 عاما بعيدا عنها" حيث صرخت تتوسل إليهم ترك ابنتها بينما كانت تمسك بيد ابنتها بإحكام لمنعهم من أخذها بعيدا. قام احد افراد داعش بضرب يدها وكسرها وجر ابنتها الى الخارج. ومنذ هروبها، ذكرت أنها تعاني من كوابيس متكررة لأفراد داعش يضربون يدها ويأخذون ابنتها. وقالت انها لا تعرف مكان وجود ابنتها. وروى العديد ممن تمت مقابلتهم أن بناتهم اخذوا اسيرات.

كما أفادت امرأتان بأنه في كثير من الأحيان يجري نقلهن بين قرية كسر المحراب وقضاء تلعفر. وتعرضت النسوة الإيزيديات للاغتصاب والاعتداء الجنسي مرارا. وبعد نحو 11 شهرا من الأسر، نقلن إلى الرقة في سوريا، حيث يحتجز داعش هناك نحو 400 إمرأة يعتقلهن في مواقع تحت الأرض، كالأنفاق، لمدة أربعة إلى خمسة أشهر من دون الحصول على الضوء الطبيعي ومياه الشرب أو الغذاء السليم. وأفادوا أن العديد من الأطفال الذين احتجزوا كأسرى تعرضوا الى الاعتداءات الجنسية والقتل، وغيرها من الانتهاكات. ولا تزال تظهر علامات الصدمة على الكثير من الأطفال بما في ذلك التعب الشديد واضطرابات النوم والدوار وصعوبة التركيز.

وذكرت امرأة أخرى أنه بعد ان تمكن بعض الإيزديين من الفرار من القرية الشيعية المهجورة تم احتجازهم، ووضعت النساء في حافلات انتقلت إلى مدرسة في تلعفر. وجاء أعضاء داعش، الذين تعتقد الشاهدة أنهم سوريين من لهجاتهم لشراء النساء. وتم اخبار النساء بأنه قد تم بيعهن جميعا لداعش في سوريا. وبينما أجبرت الشاهدة على الصعود في واحد من ثلاثة باصات أخذ افراد داعش منها ابنتها التي تبلغ من العمر 11 سنة، حيث اقتيدت جميع الفتيات فوق سن التاسعة بعيدا وبقيت بناتها البقية معها في هذه المرحلة. وبعد ثلاثة أيام من السفر وضعت النساء تحت الأرض في غرفة مليئة بالماء القذر جاثين على ركبهم. وطلب افراد داعش من النساء الصعود الى الأعلى لتسجيل أسمائهن، وعندما رفضت النسوة الذهاب بسبب خشيتهن أخبروهم بأنهم سوف لن يعطوهم الحليب لأطفالهن. وبعد ستة أيام نقل داعش النسوة إلى سجن في الرقة في سوريا. وبعد ثلاثة أشهر، وضعت الشاهدة في حافلة أخرى وأخذ داعش منها ابنتها البالغة من العمر ثلاثة سنوات. ومرة أخرى عندما حاولت المقاومة تعرضت للضرب.

وروت الشاهدة كيف انتقلت إلى تدمر حيث سجل اسمها مرة أخرى. وكانت كل مساء تُجبر على إزالة حجابها والمشي ذهابا وإيابا في قاعة كبيرة أمام أعضاء داعش. وكان أحد افراد داعش ينادي "املاك رخيصة". بعدها بُيعت الشاهدة الى رجل تركي" وبعد شهر بيعت إلى رجل سوري. وفي احدى الليالي جاء صديق مالكها محاول أخذ ابنتها البالغة من العمر سبع سنوات.

وبعد أن تمكنت الشاهدة من إنقاذ ابنتها قامت بقص شعرها ورموشها وتمزيق ملابسها وألبستها حفاظة وقالت لها أن تتظاهر كأنها مريضة عقليا لكي يتركوها وشانها.

بعدها أعطيت الشاهدة كهدية لرجل سوري آخر" ثم بيعت في وقت لاحق إلى مقاتل تونسي، ومن ثم بيعت الى رجل سعودي. وبعد ثلاثة أشهر بيعت لمقاتل مصري حاول اغتصابها وابنتها في اليوم الأول. وبعد ذلك حاولت الشاهدة أن تقتل نفسها وأطفالها لكنها تعرضت للضرب بأنبوب بلاستيكي حتى أغمي عليها .وحدث الشيء نفسه في اليوم التالي. وساعدتها زوجة الرجل، التي قال لها أن تعيش لأطفالها. وفي نهاية المطاف هربت الشاهدة من خلال مساعدة أحد المهربين. وذكرت امرأة أخرى أنه بعد يومين من اعتقالها من قبل داعش، جرى فصلها عن والديها وزوجها وأقاربها الآخرين وسُمح لبنتيها التي تتراوح أعمارهم بين أربعة وستة سنوات بالبقاء معها .واقتيدت مع غيرها من النساء الحوامل أو لديهن أطفال الى تلعفر بينما أُخذت النساء غير المتزوجات الى مكان آخر. وجرى نقل الشاهدة عدة مرات حتى نيسان ٢٠١٥، عندما نقلت إلى الرقة في سوريا. ومع غيرها من النساء احتجزت الشاهدة لمدة خمسة ايام في سجن تحت الأرض حيث يصل منسوب الماء فيه إلى الركبة. وكانت النساء تؤخذ الى سوق السبايا حيث يتم بيعهن. وقد اخذ داعش مولودها الذكر الجديد منها في الرقة ونقلها مع بناتها إلى تدمر حيث بيعت الى مقاتل سوري يبلغ من العمر 26 سنة. وكان هذا الرجل يقوم باغتصابها بانتظام لمدة 15 يوما على الأقل مهددا اياها بقتل بناتها إن لم ترضخ له. تمكنت الشاهدة من الهرب مع بناتها لكن ألقي القبض عليها في نهاية المطاف عند نقطة تفتيش وسجنت في عزلة لمدة أربعة أيام من دون طعام أو ماء.

وبعد تعرضها للضرب المبرح، بيعت الى مقاتل سعودي قام باغتصابها أمام بناتها. وبعد ثمانية أيام بيعت مرة أخرى لرجل سعودي يبلغ من العمر 60 سنة قام

باغتصابها أيضا. وبعد خمسة عشر يوما اقتيدت إلى بيت رجل آخر من افراد داعش قام باغتصابها ورفض اعطاء الطعام لبناتها. بعد ذلك بيعت الشاهدة مرتين الأولى لرجل فلسطيني هددها باغتصاب بناتها عندما حاولت مقاومة هجومه عليها، ومن ثم إلى رجل سوري أجبرها على العمل كعاملة نظافة في منزله لكنه لمّ شملها مع ابنها الذي اخذ الى الرقة. وبيعت في وقت لاحق إلى رجل قطري الذي باعها في نهاية المطاف الى أحد المهربين.

كما ان النساء اللواتي أجرى معهن مكتب حقوق الانسان في بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق اشرن الى بقائهن في الأسر لفترة تتراوح ما بين ثلاثة الى تسعة أشهر. وقد اطلق تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام سراح عدد قليل من النساء من بين مجموعة من كبار السن والمعاقين من الإيزديين الذين تم تحريرهم في نيسان 2015. في حين تمكنت احدى النساء من الهرب في احدى القرى في تلعفر ضمن مجموعة من ثلاثة عوائل إيزيدية في شهر آب 2015 كما تم تحرير عدد من النساء بمساعدة المهربين الذين دفعت عوائلهم مبالغ من الأموال مقابل اطلاق سراحهم.

سادساً: المقابر الجماعية

مع استعادة الأراضي التي كانت خاضعة لسيطرة تنظيم داعش في المناطق الشمالية من محافظة نينوى، تم العثور على مواقع للقتل الجماعي أو ما ذكرته التقارير بانه مقابر جماعية. وقد حصلت البعثة والمفوضية على تقارير تفيد بان مواقع القتل و/أو المقابر الجماعية تم اكتشافها في قضاء سنجار بالإضافة الى مناطق تلعفر وأقضية الموصل. وقد قامت احدى المنظمات غير الحكومية بتوثيق ما يقرب من 35 موقع للمقابر الجماعية والتي تضم رفات الإيزديين في منطقة سنجار، مختلفة عن مواقع القتل، والتي يقع البعض منها في مناطق لا تزال خاضعة لسيطرة تنظيم داعش [1] وبسبب عدد المواقع ونقص الموارد والخبرات، عانت حكومة اقليم كردستان من القيام بحماية تلك

([1]) مشروع توثيق يازدا، المقابر الجماعية للإيزيديين الذين قتلوا على أيدي تنظيم الدولة الاسلامية او المتعاونين معهم من السكان المحليين في او بعد 3 اب 2014 ، 28 كانون الثاني ٢٠١٦. متوفر في الموقع الاتي:

http://www.yazda.org/yazda-issues-public-report-on-yazidi-mass-graves-in-sinjar-shingal/

المواقع والحفاظ عليها وتنقيبها بشكل مناسب. ولحين القيام بأعمال تنقيب مناسبة، يبقى من المستحيل تحديد عدد الرفات التي تضمها تلك المقابر والتعرف على أصحابها وكذلك الحصول على أدلة محتمله يمكن ان تساعد في تحديد الفاعلين.

كما وردت تقارير ايضا بأن افراد العوائل عمدوا الى نبش المقابر الجماعية بغية التعرف على رفات ابنائهم. وتستمر جهود حماية وحفر تلك المواقع من قبل الخبراء بالتعاون مع سلطات حكومة كردستان ولكن تبقى هناك حاجة الى المزيد من الموارد.

سابعاً - دعم الناجين الايزيديين وعوائلهم

أشار أغلب الأشخاص الذين التقتهم بعثة الأمم المتحدة والمفوضية السامية لحقوق الانسان، الى انهم بحاجة الى الدعم الانساني.

ويتم توفير الاحتياجات الأساسية مثل المأوى والرعاية الصحية والخدمات التعليمية في مخيمات النازحين عن طريق مجاميع من المنظمات الحكومية وغير الحكومية فضلا عن الأمم المتحدة.

وبالرغم من ذلك، تبقى الخدمات التي يتم تقديمها لأولئك الذين يعانون من الصدمة غير كافية لتلبية احتياجاتهم الكبيرة، فهناك نقص شديد في الرعاية النفسية المتخصصة وأصبح واضحا للبعثة والمفوضية خلال فترة توثيقه لإفادات شهود العيان والناجين من أن اعداداً كبيرة من النساء المتضررات والأطفال والرجال هم بحاجة الى مساعدة خاصة.

وحينما يتحرر أحد الأفراد من أسر تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام، فان التقارير تفيد بعدم وجود نظام رسمي منهجي يمكن من خلاله تقويم وتوفير الاحتياجات النفسية والطبية وغيرها من الاحتياجات. وقد اعتمد الإيزديون على المجتمع وعلى الشبكات غير الرسمية للحصول على المساعدة في التعرف على أماكن تواجد افراد عائلاتهم الآخرين والحصول على المأوى، والذي غالبا ما يكون في مخيمات النازحين، والحصول على الخدمات الأساسية الأخرى ان كانت متوفرة. وبعد الانتهاء من اجراء الفحوصات الطبية، افادت العديد من النسوة بأنهن قد خضعن فقط للفحوصات الطبية الأساسية مثل اختبار الدم ولم يحصلن على أي دعم طبي اضافي. وطالب الكثير منهن بتوفير الدعم النفساني لأطفالهن على خلفية ما شهدوه في اثناء وقوعهم في اسر تنظيم داعش. وقد أفادت احدى النساء بانه قد اجري معها قرابة 20

مقابلة من قبل مختلف المنظمات ووسائل الاعلام، ولكن رغم ذلك، لم تحصل من اي من تلكم المقابلات على اية خدمات لها أو لأطفالها.

ثامناً - الخاتمة والتوصيات

تستمر بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق ومكتب مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان بجمع الوثائق والأدلة حول الانتهاكات الخطيرة لحقوق الانسان والقانون الانساني والتي يتم ارتكابها ضد افراد الديانة الإيزيدية في المناطق الخاضعة لسيطرة تنظيم داعش ويتضمن ذلك الاستهداف بالقتل وحالات الاجبار لتحويل الدين الى الاسلام قسرا وحالات الخطف والعبودية والانتهاكات الجنسية والجسدية والتعذيب بالإضافة الى محاصرة مكونات كاملة بناء على انتماءاتهم العرقية والدينية والمذهبية[1].

كما ان المزارات والمواقع الدينية والأماكن ذات الأهمية الثقافية التابعة للإيزديين قد تم تدميرها بشكل متعمد وممنهج من قبل تنظيم داعش[2] ولا يزال آلاف النساء والأطفال والرجال من الإيزديين مفقودين أو في الأسر أو نازحين.

ويبين هذا التقرير معاناة المجتمع اليزيدي من الانتهاكات والاعتداءات على أيدي تنظيم داعش ويظهر جليا ان تلك الانتهاكات الواردة في التقرير قد ارتكبت بطريقة ممنهجة وواسعة النطاق، تستهدف مدنيين ينتمون الى الديانة الإيزيدية، وقد ترقى هذه الانتهاكات إلى مستوى جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية، وربما الإبادة الجماعية[3] في حين ان جرائم ضد الإنسانية والإبادة الجماعية يمكن أن يستدل عليها ليس فقط من

---

(1) ذكرت سابقا في التقارير العامة ليونامي / مفوضية حقوق الإنسان. انظر على سبيل المثال، تقرير يونامي / المفوضية بشأن حماية المدنيين في الصراعات المسلحة في العراق، 6 يوليو - 10 سبتمبر عام 2014، الصفحة 13، المتاحة في:

http://www.ohchr.org/Documents/Countries/IQ/UNAMI_OHCHR_POC_Report_FINAL_6July_10September2014.pdf

(2) تقرير يونامي / المفوضية بشأن حماية المدنيين في الصراعات المسلحة في العراق ١١ ايلول – ١٠ كانون الاول ٢٠١٤، صفحة 12 والمتوفر في:

http://www.ohchr.org/Documents/Countries/IQ/UNAMI_OHCHR_Sep_Dec_2014.pdf

(3) انظر الهامش رقم ٤.

الإجراءات والظروف المحيطة، بل من المواقف والتصريحات المعلنة التي أدلى بها تنظيم داعش في عزمه على ارتكاب إبادة للديانة الإيزيدية، إما عن طريق قتلهم أو قسرهم على تغيير ديانتهم.

ويستمر قلق البعثة والمفوضية الكبير على وضع المدنيين في المناطق الواقعة تحت سيطرة تنظيم داعش وبوجه الخصوص قرابة 3500 أمرأه وفتاة وبعض الرجال جلهم من المكون الايزيدي ولكن ايضا عدد من المكونات العرقية والدينية الأخرى، والذين لا يزالون في قبضة تنظيم داعش. ويتوجب على الحكومة العراقية والمجتمع الدولي بذل كل جهد ممكن لضمان سلامة أولئك المدنيين وإطلاق سراحهم بأمان. وعلى ذات القدر من الأهمية تأتي الحاجة الملحة لتوفير الدعم النفسي والطبي وغيرها من أنواع الدعم وعلى وجه الخصوص الى الناجين من العنف الجنسي والعبودية الجنسية. بالإضافة الى ذلك، يتوجب القيام بكل شيء من شأنه ان يخلق الظروف الملائمة للعيش الكريم والأمن للايزيديين مع غيرهم من النازحين من المكونات الأخرى لتأمين عودتهم الى مناطقهم الأصلية.

إن ضمان محاسبة تنظيم داعش وعناصره على الجرائم التي ارتكبوها وبخاصة تلك الجرائم التي ترتقي الى جرائم ضد الانسانية المرتكبة ضد الإيزديين والمكونات العرقية والدينية الأخرى مهم جدا. وفي الوقت الذي تتحمل جميع الدول، وفقا لمبدأ تسليم المجرم ومحاكمته، أن تقوم بتوجيه التهم الى اي فرد تشير الأدلة الى ضلوعه بالاشتراك في ارتكاب تلك الجرائم او القيام بتسليم أولئك الأشخاص الى الدولة صاحبة السلطة القضائية اللازمة، فان حكومة العراق تتحمل مسؤولية ضمان أن يكون للمحاكم العراقية السلطة القضائية المناسبة على الجرائم الدولية المرتكبة خلال الصراع الحالي. وفي الوقت الذي يمكن ان تشمل الجرائم المرتكبة التي يذكرها التقرير الحالي بنصوص قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة ١٩٦٩، لا تمتلك المحاكم العراقية ولاية قضائية محددة بخصوص الجرائم الدولية المرتكبة في العراق. بالإضافة الى ذلك، لازال العراق غير منضم الى النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية وبذلك لم يتبن خيار احالة الصراع الحالي الى السلطة الخاصة للمحكمة الجنائية وفقا للمادة 12 من النظام الأساسي للمحكمة. وقد طلب العراق من مجلس الأمن الدولي المساعدة في ضمان المساءلة من

خلال تأسيس آلية قانونية دولية إلا ان هذا لا يعالج التزامات العراق لضمان المساءلة عن طريق القضاء العراقي [1].

وتوصي البعثة والمفوضية على وجه الاستعجال، بالتالي:

أولاً- للحكومة العراقية:

١- اتخاذ جميع الإجراءات اللازمة و بذل كل الجهود، امتثالاً صارما بالقانون الدولي المعمول به، ومن ضمنه القانون الدولي الانساني، والقانون الدولي لحقوق الانسان، لوضع حد لانتهاكات حقوق الإنسان التي يرتكبها تنظيم داعش و لحماية المدنيين من آثار هذه الانتهاكات.

٢- التحقيق بفعالية وسرعة ودقة وحيادية في جميع مزاعم الانتهاكات والتجاوزات للقانون الدولي ومحاسبة المسؤولين عن هذه الجرائم وتسليمهم للمساءلة مع ضمان الشفافية ونشر نتائج التحقيق للجمهور.

٣- ضمان الاحترام الكامل لحقوق جميع الضحايا وذويهم عبر توفير الحلول الفعالة، بما في ذلك الحق بالمساواة والوصول الفعال إلى العدالة، والتعويض الفوري عن الضرر الذي لحق بهم.

٤- تشكيل هيئة تحقيق شبه قضائية عامة وغيرها من الآليات الأخرى المناسبة لجمع المعلومات وتوثيق الأدلة التي تتعلق بالجرائم وانتهاكات حقوق الإنسان وسوء المعاملة التي أرتكبت في سياق النزاع المسلح الراهن في العراق، لغرض تحديد الحقائق وتوفير المعلومات التي من شأنها ان تساعد الحكومة في إعداد وتنفيذ استراتيجية استجابات بشأن رعاية وحماية ضحايا هذه الانتهاكات وحالات سوء المعاملة والناجين منها وجمع الأدلة بشكل منهجي والتي يمكن الاعتماد عليها في تحديد ومحاكمة الجناة المزعومين فضلا عن المساهمة في المصالحة المجتمعية والوطني.

٥- بذل كل الجهود بما يتماشى مع الموارد المتاحة لضمان ان جميع الضحايا والناجين من انتهاكات حقوق الإنسان وسوء المعاملة يتلقون الدعم الطبي والدعم

---

[1] في 6 ايار2016 ، دعا ممثل العراق الدائم في الامم المتحدة السيد محمد علي الحكيم مجلس الامن الدولي الى " وضع الية قانونية دولية محددة للتحقيق وتقديم مجرمي تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام الى العدالة ;.مجلس الامن الدولي، الاجتماع ٧٦٨٩ (٦ ايار ٢٠١٦)، وثائق الامم المتحدة S/PV.7689,5.

النفسي والاجتماعي الملائم وفي الوقت المناسب فضلا عن سائر اشكال الدعم الأخرى وفقا لاحتياجاتهم.

٦- تعديل قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969 لضمان اكتساب المحاكم الوطنية العراقية الولاية القضائية فيما يتعلق بالجرائم الدولية التي ارتكبت في العراق.

٧- الانضمام الى نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية . وكخطوة اولى، إحالة الوضع الخاص في البلد الى الولاية القضائية للمحكمة عملا بالمادة رقم (3) 12 لنظام روما.

٨- اتخاذ كافة الإجراءات الضرورية لضمان عودة النازحين الى مناطقهم الاصلية بصورة طوعية وآمنة وكريمة وفق الالتزام الكامل بالمعايير الانسانية الدولية.

٩- ضمان حماية المقابر الجماعية، حيثما يسمح الوضع المني، جنبا إلى جنب مع الرعاية والتدابير اللازمة لحفر مثل هذه المواقع واستخراج الجثث والتعرف على رفات الموتى، و حفظ الأدلة على الجرائم المرتكبة بما في ذلك اي دليل يمكن ان يقود الى التعرف على مرتكبي تلك الجرائم . وكذلك القيام بأعمال الطب الشرعي المستقلة في كل مقبرة جماعية بهدف التعرف على كل ضحية وجمع الدلة على الاعتداءات واجراء التحقيق الكامل وتحديد الظروف الى ادت الى مقتل الأفراد المعنيين، والتوصل الى أسباب الوفاة وتحديد الأدلة التي من شانها محاكمة أفراد معينين وضمان تزويد عوائل الضحايا والمفقودين بجميع المعلومات المتوفرة والمساعدة المالية والمادية وغيرها من انواع المساعدات في الوقت المناسب.

١٠- التنسيق مع الأمم المتحدة ومفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان والولايات الخاصة الأخرى التي بوسعها تقديم الدعم الفني وسائر انواع الدعم الأخرى بشأن آليات تعزيز وضمان المساءلة في الجرائم الدولية.

١١- تنفيذ التوصيات الصادرة عن اللجنة الدولية المستقلة للتحقيق حول الجمهورية العربية السورية في تقرير اللجنة الصادر في ١٥ حزيران ٢٠١٦ (A/HRC/32/CRP.2)[1]

---

(1) جاؤا ليدمروا داعش ترتكب الابادة الجماعية ضد الايزيديين - تقرير صادر عن لجنة التحقيق الدولية المعنية بالجمهورية العربية السورية ١٥ حزيران ٢٠١٦ (A/HRC/32/CRP.2 PARA 209)

ثانياً- للمجتمع الدولي:

١- ينبغي ان تستأثر الأوضاع في العراق باهتمام المجتمع الدولي بما فيه مجلس الأمن التابع الى الأمم المتحدة ومجلس حقوق الإنسان يجب أن تبقي المسألة تحت النظر في العراق بهدف ضمان تقديم مرتكبي الانتهاكات الجسيمة وانتهاكات حقوق الإنسان والانتهاكات الخطيرة للقانون الإنساني الدولي، والجرائم الدولية وتقديم المسؤولين للمساءلة والمحاسبة.

٢-على الدول بذل جميع الجهود لضمان ان اي شخص توجد ضده ادلة تثبت تورطه في ارتكاب جرائم دولية في العراق، ان يتم اتهامه ومحاكمته او تسليمه الى دول اخرى بموجب ولاية قضائية أكثر ملائمة طبقا لمبدأ "إما التسليم أو المقاضاة".

٣-على المجتمع الدولي بذل قصارى جهده لضمان تقديم المساعدات الطبية والنفسية الاجتماعية وسائر انواع المساعدات الأخرى الضرورية والملائمة لضحايا انتهاكات حقوق الإنسان وسوء المعاملة والناجين منها والاخذ في عين الاعتبار احتياجاتهم الخاصة ومن خلال التشاور التام مع الطراف المحلية المعنية.

٤-على المجتمع الدولي بذل قصارى جهده لضمان تقديم كافة اشكال الدعم المادي وغير المادي للحكومة العراقية لمساعدتها في تلبية الاحتياجات الامنية والإنسانية لأولئك الذين نزحوا بسبب النزاع المسلح الدائر ولضمان عودة النازحين الى مناطقهم الأصلية في الامتثال الكامل للمبادئ الإنسانية، ولا سيما المبادئ التوجيهية بشأن النزوح الداخلي.

٥- دعم الجهود الرامية الى ضمان أن جميع انتهاكات حقوق الإنسان والجرائم الأخرى يتم التحقيق فيها بشكل سريع ومستقل وحيادي وشامل وتقديم المسؤولين عنها للمساءلة ووضع الآليات لتوفير سبل الانتصاف للضحايا بما في ذلك، عند الاقتضاء، من خلال آليات العدالة البديلة والمصالحة المجتمعية وعمليات العدالة الانتقالية.

٦- تقديم كل المساعدة اللازمة للحكومة العراقية (فنية ومالية) في جهودها التي تبذلها لتحديد وحفر المقابر الجماعية، والتحقيق في جرائم المقابر الجماعية وكذلك المواقع التي ارتكبت فيها الجرائم.

الملحق (٢)

سنجار (شنكَال) خلال نصف قرن .. دراسة وثائقية عن سياسة التعريب والتطهير العرقي في قضاء سنجار (١٩٤٧ – ٢٠٠٢) م

عن موقع حكومة اقليم كوردستان

http://cabinet.gov.krd/a/d.aspx?a=8682&l=14

المدخل: لقد شهدت مدينة سنجار(شنكَال) قيام أولى المستوطنات البشرية قبل آلاف السنين[١]، حيث وضع الإنسان الأول بواكير محطات استراحته فوق أديم (تبه) و(كَرى رش) و(شلو) ونقش على الصخور أولى دلائله لتؤشر للقادمين من بعده خلاصة أفعاله. وهكذا دواليك الأيام والسنين وجيل بعد جيل وزمان بعد زمان تنهض هذه المدينة وتخبو، ولكنها تبقى على مدى الأزمان محافظة على تاريخها وهويتها، ويكفى سكانها فخرا وأديمها مجدا إن اسمها (شنكَال) لا يزال ينطق من شفاه سكانها منذ آلاف السنين وحتى الآن.

تقع مدينة شنكَال في أقصى غرب كوردستان الجنوبية – كوردستان العراق – وتشكل جناحها الغربى الممتد عند تخوم الصحراء، وتبعد ما يقارب ١٢٠ كم غرب مدينة الموصل، وفي دائرة عرض (٢٢–٣٦) شمالا وخط طول (٤٧–٤١) شرقا، وقد أقيمت منذ القدم على سفح جبل سنجار الذي يمتد أكثر من ٧٠ كم ويرتفع في أعلى قممه (٤٨٠٠) قدم عن مستوى سطح البحر[٢]، ويعتبر موقع المدينة عند أقدام الجبل ذو أهمية خاصة لأنها أي المدينة تعتبر نقطة ارتكاز واختلاط أقاليم إنتاجية مختلفة وهي أقاليم الجبل والسهل والصحراء، فكلها تصب في الدينة، مما أعطاها عبر التاريخ أهمية خاصة ظهرت في عدد سكانها واتساع مبانيها، ففى عام ١٠٧٥م تجاوز عدد سكانها أكثر من ٣٠ ألف نسمة حسب ما تم تحليله من نتائج موقعة سنجار لتلك السنة التى استباحها السلاجقة [٣]. كما تجاوز عدد بيوتها ٣٥ ألف بيت عام ١٣٩٤م حسب ما ذكر الدملوجي عما حققه توفيق فكرت في مؤلفه المعروف بـ

---

(١) سيتون لؤيد ، مجلة العراق الاركيولوجية ١٩٣٩.

(٢) خالد عبد المنعم ، موسوعة العراق الحديث ج٣.

(٣) سبط ابن الجوزي.

(تقويم الموصل) لسنة ١٣١١هـ – ١٨٩٣م، حيث ورد النص التالي: "إن تيمور لنك لم يبقِ في سنجار بيتا واحدا بعد أن كانت تحتوي على أكثر من خمس وثلاثين ألف بيت".

بعد هذه المقدمة التاريخية المختصرة لمورفولوجية سنجار قديما سنرتحل وبسرعة إلى القرن الأخير من الألفية الثانية حيث تختص دراستنا بهذه الحقبة التي تمتد من بداية النصف الثاني من القرن العشرين وحتى مطلع الألفية الثالثة.

(الجزء الأول)
سنجار (شنكَال) من١٩٤٧ إلى١٩٨٠

بعد سقوط سنجار بيد الإمبراطورية العثمانية في حدود ١٥١٦م دخلت المدينة كبقية مدن كوردستان فترة مظلمة تعرضت خلالها لعشرات الحروب (الفرمانات) التى كانت تشنها القوات العثمانية ضد المدينة وسكانها الكورد حتى دخلت القرن العشرين وهى لا تتجاوز في نهاية نصفه الأول (أي بحدود ١٩٤٧م) ما يقارب ستمائة دارا سكنية موزعة على أحيائها الخمس الرئيسة: السراي والبرج وكلاهي وبرسهى وبربروش.

كانت سنجار مدينة صغيرة كما رأينا من عدد دورها السكنية حيث يحدها من الشمال وادي قلاشكي ومن الشرق قرية تبه ومن الغرب وادي قنبر علي ومن الجنوب قرية نسيريه، ولغياب التخطيط العمرانى والتصاميم الأساسية للمدينة فقد كانت الأبنية موزعة بشكل عشوائي تتحكم فيها طبيعة النظم العشائرية والاقتصادية وأحيانا الدينية، ولم تكُ مساحات الدور السكنية تعتمد قاعدة معينة لأن ذلك يرتبط بالمستوى ألمعاشى والاجتماعى لصاحب الدار. خلال هذه الفترة كانت المدينة تضم سوقا واحدا يقع جنوب شرق المدينة، تصب فيه كل فعاليات القرى الزراعية والحيوانية، إضافة إلى خانين ومجموعة محلات حرفية وجامعا كبيرا وكنيستين ودارا للحكومة والبلدية، بلغ عدد سكانها حسب إحصاء ١٩٤٧م ما يقارب ٢٥١٣ نسمة [١] موزعة على أحيائها الخمسة كما يلى: بربروش ٩٨٧ نسمة ـ السراي ٦٩١ نسمة ـ كلاهي ٥١٢ نسمة ـ البرج ٤٠١ نسمة ـ بر سهى ١٢٢ نسمة.

---

(١) دائرة إحصاء نينوى / تعداد ١٩٤٧.

ويقع ضمن هذه الأعداد مجاميع من البيوت كانت تقع خارج الأحياء الخمسة مثل محلة (جوسقى) على حافة البساتين جنوبي المدينة، ومنطقة (بير زكر) حول المرقد، وبعض البيوت المتناثرة قرب ينابيع الماء.

لقد تميزت هذه الحقبة (١٩٤٧ – ١٩٨٠) بأحداث حادة أدت إلى تغيرات فظيعة في بنيان المجتمع داخل وخارج المدينة، فقد بدأت عمليات التعريب المنظم للمنطقة، وأولى هذه العمليات كانت في طرفي المدينة جنوبا وشمالا حيث تم تمليك عشرات الآلاف من الدونمات الزراعية للعشائر العربية المستقدمة من خارج القضاء والمحافظة. حيث منحت هذه الأراضى عالية الخصوبة في القرى الكوردية: خراب بازار، أبو خشب، أرفيع، وما يُسمى الآن بقرى ميزر، رديف، الكرامة، النوفلى، تل العرج، تل عاكول، قبة الوهبى، عين فتحي جنوبي، نارنجوك، وعين غزال إلى عشائر عربية لا تمت بأي صلة جغرافية أو عرقية إلى المنطقة، وفيما يلي مساحات الأراضي التي سلخت من أصحابها ووزعت للمستوطنين [1]:

اسم القرية	المساحة بالدونم
عين غزال	7435
أرفيع	440
تل عاقول	3685
نارنجوك	275
قبة الوهبى	5500
خراب بازار	4020
أبو خشب	2000
المجموع ٢٣٣٥٥ دونم	

هذا ما حصل في جنوب وجنوب شرق المدينة، أما في غربها فقد صادرت الأنظمة السياسية أكثر من ٦٠ ألف دونم من أراضى الكورد الإيزيديين من عشائر القيران والفقرا، والى شمال المدينة المعروف بناحية الشمال (سنون)، فقد تم الاستيلاء على عشرات الآلاف من الدونمات وتمليكها للعشائر العربية المستقدمة من

(١) شعبة زراعة سنجار/ الأراضي.

خارج الناحية والقضاء كما حصل في قرى: خازوكَه، الفاو، مجولى، كارت الشيخ، بير جاري، زكو،حصاويك، بنى سبعة، وبير قاسم، التي شكلت حزاما أمنيا عربيا حول القضاء بمحاذاة الحدود الدولية مع سوريا.

أما داخل المدينة فلم يكن هناك أي تغيير يُذكر بعد عام ١٩٤٧م، باستثناء نشاط الحركة التجارية وما آلت إليه بعد توقف الحرب العالمية الثانية من استقرار أدى إلى توسع السوق التجاري ومن ثم بدايات تكوين طبقة تجارية وإقطاعية، إضافة إلى زيادة ملحوظة في عدد سكان المدينة، كما أظهرته نتائج التعداد العام للسكان عام ١٩٥٧م. حيث بلغ عدد سكان مدينة سنجار ٣٢٠٤ نسمة موزعين على أحيائها الخمس كالآتي [١]:

اسم الحى	عدد السكان
بربروش	902نسمة
السراى	886 نسمة
كلاهى	615نسمة
البرج	503نسمة
برسهى	298نسمة
ألمجموع ٣٢٠٤ نسمة	

لقد أدت الزيادة في عدد السكان إلى زيادة في عدد الدور السكنية إلى ما يقارب ٧٦٥ داراً، إما مضافة – أي الزيادة – لنفس الدور كملاحق أو دور سكنية مستقلة. إلا إن ذلك لم يُضفْ حيا جديدا إلى مجموع الأحياء حيث كان التوسع ضمن الأحياء الخمسة فقط، وبعد عام ١٩٥٨ والتغيير الذي حصل في طبيعة نظام الحكم وانعكاساته الاجتماعية والاقتصادية التى أدت إلى زيادة الهجرة من الريف إلى المدينة مما أظهرت زيادة في عدد الدور السكنية حيث بلغ تعداد السكان في عام ١٩٦٥ ما يقارب ٤٤٠٢ نسمة موزعة على أحيا ئها الخمسة كآلاتي [٢]:

---

(١) دائرة إحصاء نينوى/ تعداد١٩٥٧.

(٢) دائرة إحصاء نينوى / تعداد ١٩٦٥.

اسم الحى	عدد السكان
بربروش	1205نسمة
السراى	1112نسمة
كلاهى	842نسمة
البرج	795نسمة
برسهى	451نسمة
ألمجموع 4402 نسمة	

لقد صاحب ازدياد عدد السكان والدور السكنية توسعات في سوق سنجار الرئيسى وزيادة في عدد المحلات التجارية وتنوعها، ومن مقارنة عدد السكان في تعداد ١٩٥٧ مع تعداد ١٩٦٥، يتضح لنا إن نسبة الزيادة في السكان بلغ ١١٩٨ فردا، أي بمعدل ١٥٠ نسمة سنويا تقريبا وخلال هذه الفترة أيضا حصلت زيادة في عدد المبانى العامة حيث بنيت مدرستين ابتدائيتين، ولم يتغير وضع المدينة من ناحية الاتساع المساحي خلال السنوات العشر اللاحقة.

لقد بدأت عمليات التعريب في مركز المدينة منذ بداية السبعينات، ولكنها لم تكن معلنة بشكل واضح لوجود الحزب الديموقراطى الكوردستانى في السلطة المركزية والمدينة، حيث بدأت تلك العمليات بشكل مطلق ومعلن بعد انتكاسة ١٩٧٥ واكتسحت في طريقها الأخضر واليابس، حيث قامت السلطات المحلية بتدمير وإزالة خمسة أحياء بكاملها من على أرض المدينة وهى أحياء: البرج وكلاهى وبرسهى و جوسقى و بير زكر وأكثر من ٦٠٪ من بربروش وتهجير سكانها إلى خارج المدينة (مجمعات قسرية) والى خارج القضاء حيث ترحيل أكثر من ١٣٣ عائلة إلى مناطق أخرى من كوردستان العراق وتمليك بيوتهم وأملاكهم إلى ازلام النظام. وخلال عامين بعد الانتكاسة أي من آذار ١٩٧٥ وحتى إحصاء ١٩٧٧ كانت عمليات التعريب قد هجرت أكثر من نصف سكان المدينة إلى مناطق أخرى من إقليم كوردستان أو إلى مجمعات قسرية في جنوب المدينة وأجبرت النصف الأخر على تغيير قوميته من الكوردية إلى العربية، وبذلك الكم الهائل من عمليات التطهير العرقي جاءت نتائج التعداد العام لسكان العراق ولمدينة سنجار تحديدا كالآتي [1]:

(1) دائرة إحصاء نينوى / تعداد ١٩٧٧.

أسم ألحي	عدد ألسكان
بربروش	1101نسمة
السراى	1113نسمة
كلاهي	782نسمة
البرج	793نسمة
برسهي	405نسمة
ألمجموع 4194 نسمة	

وبمقارنة بسيطة بين تعدادي عام ١٩٦٥ الذي بلغ ٤٤٠٢ نسمة وعام ١٩٧٧ الذي بلغ ٤١٩٤ نسمة نكتشف فظاعة ما حدث خلال سنتين بين ١٩٧٥ و ١٩٧٧. لقد تم تدمير أجمل أحياء المدينة التي كانت تضم قرابة نصف السكان، وبعد ترحيل سكانها آلت ممتلكاتهم العقارية والزراعية إلى وزارة المالية التي قامت ببيعها إلى أزلام السلطة من العرب والمستعربين من خارج المدينة وداخلها بأسعار رمزية، وبذلك تم زرع بذور الكراهية والأحقاد بين أفراد المجتمع، وغدت المدينة خالية من سكانها باستثناء القلة التي قاومت بكل الوسائل والأساليب للإبقاء على الهوية الكوردستانية للمدينة.

لم تكتف السلطات العنصرية بفظاعة عملياتها في مركز المدينة، بل انتقلت إلى قرى سنجار المتاخمة لجنوبها وشمالها حيث دمرت وأحرقت أكثر من ١٥٠ قرية وعشرات الآلاف من البيوت والعشرات من البساتين وينابيع المياه، وهجَّرت سكانها من الكورد الايزيديين والمسلمين إلى مجمعات قسرية بائسة وخاوية حتى يومنا هذا من أبسط مقومات الحياة المتحضرة، ولكي تأخذ عمليات التطهير العرقي مداها العنصري البشع قامت السلطات العنصرية بتغييرات إدارية استحدثت بموجبها قضاء البعاج، وهو قرية صغيرة تقع إلى الجنوب من مدينة سنجار بحوالي ٣٥ كم، كان يسكنها بضع عشرات من العوائل البدوية الرُّحَل، وبموجب تلك التغيرات سلخت أكثر من ثلث مساحة قضاء سنجار، وأضيفت إلى قضاء البعاج، كما تم استحداث ناحية القيروان، وهي الأخرى قرية صغيرة كانت تسكنها عشرات العوائل من عشيرة المتيوت العربية، وتقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة سنجار بحوالي ٢٠ كم، وضمت اليها أكثر من ثلث مساحة قضاء سنجار، وبذلك مزقت السلطات العنصرية قضاء سنجار جغرافياً واجتماعياً واقتصادياً.

(الجزء الثانى)
شنكال من ١٩٨٠م إلى ٢٠٠٢م

بعد أن استقرت الأوضاع لصالح السلطات العنصرية وإخلاء المدينة من أكثر من نصف سكانها وترويض ما تبقى من السكان بأساليب الاستعراب الإرهابى وتغيير القومية القسرى، لم تكتف السلطة بذلك، بل بدأت بإملاء الفراغ الذى تركه السكان، وذلك لتوزيع الآلاف من القطع السكنية للعشائر العربية المستقدمة من خارج القضاء، بل وأحيانا من خارج المحافظة والعراق، إما مجانا أو لقاء مبالغ رمزية لا تكاد تذكر. والجدول التالى يوضح لنا بالأرقام أعداد القطع السكنية التى وزعت حسب الشرائح المنتقاة من سلطة البعث وتوجيهاتها لإدارة المدينة (الطابو – البلدية)[1]:

عدد القطع	مساحة القطعة	الشريحة والملاحضات
1450	200-250م	عسكريين ومتطوعين (باستثناء الكورد إن وجدوا)
1170	250-300م	عشائر عربية
461	300-350م	شهادات عليا (من حملة الماجستير فما فوق – العاملين في جامعة الموصل من العرب تحديدا)
236	200-250م	أسرى ومفقودين (اشترط على الكورد إن وجدوا بتغيير قوميتهم مقابل حصولهم على الأرض)
650	250- 300م	أصدقاء صدام حسين – حاملى شارة الحزب – أعضاء اتحاد الصداميين – المبعدين من الكويت بعد تحريرها
المجموع ٣٩٦٧		

مع مطلع الثمانينات، بدأت أحياء جديدة بالظهور فوق أديم الكورد المُرَحَلين والمصادرة أراضيهم الزراعية حول المدينة، ففى شرق المدينة وزعت السلطات مئات القطع السكنية، لينبثق حيا جديدا أطلقوا عليه اسم (اليرموك) في عام ١٩٨١، وفي عام ١٩٨٢ بدأت السلطات بمصادرة عشرات الدونمات الزراعية والبساتين حول مرقد

(١) مديرية بلدية سنجار.

(بير زكر) من أصحابها الكورد وتقطيعها إلى أراضي سكنية وتوزيعها على عوائل (شهداء الحرب العراقية الإيرانية). وقد أدت تلك العمليات إلى تدمير معظم بساتين شنكال وحقولها، وتحويل أرضها إلى حى أطلقوا عليه اسم حى الشهداء. وفي عام ١٩٨٣ وإلى الغرب من المدينة، استولت السلطات على مئات الدونمات الزراعية المملوكة للمواطنين الكورد، وقامت بتوزيعها كقطع سكنية للعسكريين والمتطوعين العرب فقط، وبذلك انشأوا حيا آخر أسموه حى (النصر).

وفي عام ١٩٨٤(أكرمت) بلديات محافظة نينوى بالتنسيق مع بلدية سنجار عشرات القطع السكنية المتميزة والواقعة بين ما يسمى (حى اليرموك) و شنكال القديمة (السراي)، لحملة الشهادات العليا (الماجستير فما فوق) من العاملين في جامعة الموصل ومعاهدها من العرب تحديدا لينهض حياً رابعاً أطلقوا عليه اسم (القادسية)، وبذلك تكون خارطة الأحياء في المدينة تضم سبعة أحياء بعد تدمير وإلغاء أحياء ((البرج – كلاهى – بر سهى – جوسقى)) وأطلقوا على ما تبقى من أحياء شنكَال اسمى (السراي١) و(السراي٢)، وبذلك تكون أحياء شنكَال حسب كثافتها السكانية هى: (الشهداء – السراي١– السراي ٢ ـ بربروش – النصر – اليرموك – القادسية) ومع عام ١٩٨٧ تكون الصورة الرقمية للأحياء الخمسة حسب تعداد نفس السنة على الشكل التالي [١]:

الأحياء	عدد السكان
الشهداء	1859
السراى ١	1612
السراى ٢	1475
بربروش	1123
النصر	925
اليرموك	672
القادسية	594
المجموع ٨٢٦٠	

(١) دائرة إحصاء نينوى/ تعداد ١٩٨٧.

وخلال العقد الذي تلى هذه الفترة لم يحصل أي تغيير باستثناء توزيع المئات من الأراضي السكنية لأفراد العشائر العربية والمستقدمة من البعاج والحضر وتل عبطة وربيعة والموصل، والمطرودين من الكويت بعد تحريرها، وبذلك تكون الصورة الرقمية في عام ١٩٩٧ حسبما جاء في نتائج التعداد العام لساكن العراق لنفس السنة موزعة على الأحياء كما في الجدول التالي [١]:

الأحياء	عدد السكان
الشهداء	4469
السراي ١	2405
السراى ٢	2153
بربروش	1321
النصر	1814
اليرموك	1241
القادسية	1105
المجموع	14608

لقد صاحب ازدياد السكان والاتساع المساحي للمدينة تحول نوعي في سوق شنكَال الرئيسي، إذ تحولت كافة الفروع الخارجة منه شمالا وجنوبا إلى أسواق فرعية، بعدما كانت محلات سكنية (أحياء صغيرة)، إضافة إلى تحويل كثير من البيوت الواقعة على الشوارع الرئيسية إلى عمارات تجارية وأسواق، وتحول شارع منطقة المنارة وهو(كورنيش يطل على البساتين)، إلى سوق يجمع معظم عيادات الأطباء والصيدليات. وبهذا تكون مجمل المباني حسب إحصاء ١٩٩٧ في مدينة شنكَال قد بلغ (٦٢٢٢) مبنى، يقابله عدد الأسر البالغ (١٩٦٧) أسرة أي (١٤٦٠٨) نسمة حسب تعداد ١٩٩٧ أما الريف فقد بلغ عدد المباني (٩٢٧٥) مبنى، تشغله (٩١٢٠) عائلة، ليكون عدد السكان في الريف (٦٩٨٧٢) نسمة. وبذلك يكون عدد نفوس شنكال بعد سلخ أكثر من ثلثه ما يقارب (٨٤٤٨٠) نسمة، موزعين على (١١٠٨٧) أسرة ويشغلون (١٥٤٩٧) مبنى حسبما جاء في بيانات إدارة إحصاء

---

(١) دائرة إحصاء نينوى / تعداد ١٩٩٧.

نينوى (غير المنشورة) لعام١٩٩٧ ومن مقارنة نتائج تعداد علم ١٩٨٧ والبالغ (٨٢٦٠) نسمة، مع نتائج تعداد ١٩٩٧ والبالغ (١٤٦٠٨) نسمة، يتبين لنا مدى الزيادة في عدد السكان، ويعود سبب ذلك إلى سياسة التعريب، وتشجيع الهجرة من القرى العربية خارج القضاء إلى المدينة، إضافة إلى انتشار البطالة في معظم أرياف شنكال. وتؤشر لنا هذه المعطيات فوضى التخطيط الاقتصادي والخدمي والعمراني، حيث لم يقابل هذا النمو أي زيادة في الخدمات البلدية والتربوية والصحية والإنتاجية. إذ تعاني المدينة من اختناقات في معظم مرافق الحياة فهناك نقص هائل في عدد الصفوف والمدارس، حيث بلغ متوسط أعداد التلاميذ في الصف الواحد ستون تلميذاً، إذ لا تحتوي المدينة إلا على خمس مدارس ابتدائية مزدوجة على نفسها ومدرستين ثانويتين مكتظتين بعدد الطلاب، أما في القطاع الصحي فهناك مستشفى واحدة تم تشييدها مع بدايات قيام الدولة العراقية، ولا تضم أكثر من خمسين سريرا، إضافة إلى مركز صحي واحد بني في أواخر السبعينات، أما في قطاع الخدمات البلدية فمعظم الأحياء تعاني من انعدام الشوارع المبلطة وندرة أجهزة الاتصال، إضافة إلى تخلف شبكة الكهرباء في معظم المدينة وأطرافها، أما الماء وهو المادة الأساسية للحياة، فهناك مشروع واحد يعاني من تخلفه وقلة الكادر المختص فيه وبعد أن كان يضخ الماء لمدة ٢٤ ساعة للمواطن، أصبح الآن كل ٤٨ ساعة أو ٧٢ ساعة، وذلك بسبب قلة الماء والشبكة القديمة وسوء التوزيع خصوصا وان أكثر من ٤٠٪ من ماء المدينة ينقل بواسطة السيارات الحوضية إلى ناحية القيروان والبدو الرحل.

ويستمر مؤشر الزيادة في عدد السكان بالارتفاع، حتى يصل تعداد سكان القضاء في الربع الأول من عام ٢٠٠٢ حسب إحصائية دائرة نفوس سنجار ما يقارب (١١٣١٥٩) نسمة يقابلها ازدياد في عدد الوحدات السكنية بحيث تكون الصورة الرقمية موزعة على الأحياء حسب الشكل التالي [١]:

(١) مديرية بلدية سنجار / قسم المساحة.

الأحياء	عدد الوحدات السكنية
الشهداء	2535
اليرموك	2085
النصر	1850
القادسية	670
بربروش	560
السراي	500
المجموع	8200

ونستنتج من معطيات هذه الإحصائيات لعام ٢٠٠٢، انه هناك خطة لإيقاف نمو أحياء سنجار العريقة بل وإزالتها كما حصل لأحياء: البرج، كلاهى، بر سهى، جوسقى. فقد منعت السلطات أي محاولة للبناء أو حتى الترميم في معظم مناطق سنجار القديمة، بحجة اما أصحابها من الكورد أو إنها تقع ضمن محرمات دائرة آثار الموصل، وبذلك توقف نموها بشكل كامل مع اضطراد النمو في أحياء: الشهداء واليرموك وانصر والقادسية، على حساب إتلاف عشرات الدونمات من البساتين والحزام الأخضر، ومئات الدونمات من الأراضي الزراعية العالية الخصوبة. فلم تزرع أو تستحدث أي بستان منذ عام ١٩٧٥ ولحد الآن، مما أدى إلى انخفاض مريع في إنتاج التين والزيتون والخضروات التى اشتهرت بها المدينة تاريخيا، وكانت تصدرها إلى كل انحاء العراق، وغدت مدينة مستوردة لهذه المنتوجات في الوقت الذي كان يمكن أن يكون التوسع السكني باتجاه المرتفعات الشمالية للمدينة، حيث البيئة الصحية الصالحة للسكن.

لقد تعرضت سنجار (شنكَال) منذ مئات السنين إلى حملات رهيبة ولم تكن الفرمانات العثمانية إلا واحدة منها، تلتها العديد من الفرمانات منذ قيام الدولة العراقية عام ١٩٢٠ لإلغاء هويتها الكوردستانية، والاستيلاء على ممتلكات سكانها الكورد وترحيلهم خارج القضاء، ولقد عاينا بلغة الأرقام ما تعرضت له المدينة خلال نصف قرن فقط والكم الهائل من الأموال والجهد والضحايا الذي بعثرته دولة البعث في تشويه صورة المدينة، وإلغاء هويتها، وزرع الأحقاد والكراهية بين سكانها

والمستقدمين إليها، في الوقت الذي لو كانت قد استثمرت نصف تلك المبالغ والجهود في بناء المشاريع العمرانية والاقتصادية، لأصبحت سنجار واحدة من أجمل مدن الشرق، لما حباها الله بموقع رائع وجو لطيف وتربة خصبة وشعب حيوي.

ورغم ذلك وبعد ٣٥ عاما من التخريب والتمزيق لشعب سنجار وثراها، وخلال ساعات بعد سقوط النظام، نهضت شنكَال أو سنجار تنفض عن كاهلها كل تلك التشويهات، وتحمل هويتها الأصيلة لتعزف سيمفونيتها الخالدة (شنكَال) من على شفاه أطفالها ونسائها ورجالها، حتى اعتاد الذين جاؤوا لتعريبها أن ينطقوا اسمها هكذا (شنكَال)، هذه مدينة واحدة من مدن كوردستان تعرضت خلال نصف قرن فقط لهذا الكم الكبير من التطهير العرقي والاضطهاد، وحاولت سلخها من الوطن حيث عمدت كل الأنظمة المتتالية على حكم العراق في تحريم التعليم باللغة الأم في المدينة، فليس هناك أي مدرسة كوردية منذ أكثر ٣٣ عاما، بل زادوا على ذلك ومنعوا استخدام أو تداول الأسماء الكوردية في دوائر النفوس والمدارس وبقية الدوائر.

إننا في هذه الدراسة لا نتهم العرب كشعب بأي ذنب، لأننا في الأساس ليس لدينا أية إشكالات فيما بيننا، إن مشكلتنا على طول الزمن مع النظم السياسية العنصرية التي حكمت هذا البلد منذ تأسيسه وحتى سقوطه في ٢٠٠٣/٤/٩. ولم يكن العرب في المنطقة إلا ضحايا حتى وان خدم البعض منهم أهداف ذلك النظام.

الملحلق (٣)

روورداو تنشر القصة الكاملة للفتاة الكُوردية الإيزيدية التي التقت بمختطفها "الداعشي" في المانيا..... روورداو ـ أربيل ترجمة وتحرير: أوميد إبراهيم وشونم خوشناو

أشواق حجي، فتاة كوردية إيزيدية، اختطفت على يد تنظيم "الدولة الإسلامية" داعش، مع الآلاف من الكورديات الإيزيديات في صيف عام ٢٠١٤، وتعرضت للمتاجرة بين مسلحي التنظيم الذين لم يتوانوا عن التناوب على الاعتداء عليها، قبل أن يتم تحريرها؛ لكن مأساة "أشواق" لم تنتهِ عند هذا الحد، لأن شبح "داعش" لاحقها في المانيا أيضاً، بعد لقائها مع مختطفها "أبو هُمام" الذي قال إنه يمتلك معلومات كاملة عنها، ما أجبرها على أن تعود أدراجها إلى إقليم كوردستان. وفي هذه المقابلة مع شبكة روورداو الإعلامية، تكشف أشواق "١٩عاماً" تفاصيل جديدة عن قصتها المأساوية مع داعش في الوطن والمهجر، مشيرةً إلى أنها تفضل الانتحار على مجرد تصور احتمال تعرضها للخطف مرة أخرى على يد داعش، وفيما يلي نص المقابلة:

روورداو: أين التقيتِ بأبي همام عندما كان لا يزال في صفوف داعش؟

أشواق حجي: أشكركم جداً. في ٣ آب ٢٠١٤ اختطف ٧٧ شخصاً من عائلتي على يد داعش، ولا يزال مصير أغلبهم مجهولاً، حيث نقلنا مسلحو التنظيم إلى سوريا، وبقينا هناك لمدة أسبوع برفقة الكثير من العوائل الإيزيدية، وبعد أسبوع أعادونا إلى العراق، ثم فصلوا الفتيات من عمر ٨ سنوات فما فوق عن أهاليهن، ومن ثم باعوهن واغتصبوهن، وأنا أناشد المجتمع الدولي بالعمل على كشف مصير آلاف النساء والفتيات اللواتي ما زلن في قبضة تنظيم داعش.

روورداو: في أي عام تحديداً التقيتِ بأبو همام؟

أشواق: كان ذلك في عام ٢٠١٤، حيث بقينا لحوالي أربعة أو خمسة أسابيع برفقة فتيات إزيديات أخريات، وبعد ذلك اشتراني "أبو همام" من "البعاج" واصطحبني معه إلى منطقة "رمبوسي"، وبقيتُ معه لثلاثة أشهر كاملة.

روورداو: قلتِ إن "أبو همام" قام بشرائك مقابل ١٠٠ دولار من شخص آخر، من كان ذلك الشخص؟

أشواق: ذلك الشخص اسمه، محمد العراقي.

روورداو: ما المنطقة التي ينحدر منها "أبو همام" ؟

أشواق: هو من بغداد، واسمه الحقيقي، محمد رشيد، وأنا واثقة من أن نصف أفراد أسرته يعيش في بغداد، والنصف الآخر في المانيا، ونحن نواجه الخطر حتى في العراق، كما أنني شاهدت ذلك الشخص في المانيا.

روورداو: أين كان يقع منزل "أبو همام" حينما قام بشرائك؟

أشواق: بعد أن اشتراني في "البعاج"، اصطحبني إلى منطقة "رمبوسي" مباشرةً، كما كان يأخذني معه خلال تنقلاته، سواء إلى سوريا أو "البعاج" أو الموصل، لقد كان يصطحبني معه إلى جميع المناطق التي كان يتنقل بينها، وكان يتخذني درعاً له، وقد بقيت معه ٣ أشهر كاملة في منطقة "رمبوسي"، حيث كان أبو همام "أميراً شرعياً"، كما كان أحد المسؤولين عن الأسرى.

روورداو: متى انتقلتِ إلى المانيا؟

أشواق: لقد تحررت من قبضة تنظيم داعش بتاريخ ٢٢ أكتوبر وبقيت لمدة ٦ أشهر مع والدي وشقيقي، ومن ثم سافرت إلى المانيا عام ٢٠١٥.

روورداو: كنت تتعلمين الألمانية، فلماذا عدت من المانيا، وهل هربت من هناك إلى إقليم كوردستان؟

أشواق: المانيا لم تقصر مع جميع اللاجئين، خصوصاً مع الإيزيديين، حيث قدمت لهم الكثير، ولكن في عام ٢٠١٦ التقيت بذلك الداعشي، والذي يبدو أنه كان يراقبني خلال تنقلي بين منزلي والسوق، وقد شعرت مرتين بأن هناك شخص ما يلاحقني، ولكنني لم أهتم بالأمر، ولم أكن أتوقع أن يكون هو ذلك الشخص، فمن غير المعقول أن يأتي داعش إلى المانيا، وعندما أخبرت والدتي بالقصة، قالت لي "لا يوجد شيء كهذا في المانيا"، وعليه استأنفت حياتي اليومية بشكل طبيعي، وفي عام ٢٠١٨، وبينما كنت عائدة من المدرسة في تمام الساعة ١٢:٠٠ ظهراً، جاء "أبو همام" برفقة شخص آخر، وكانوا يستقلون سيارة بيضاء وقفت بجواري، ومن ثم خاطبني قائلاً: "هل أستطيع أن أطرح عليكِ سؤالاً"، حيث خاطبني بدايةً باللغة الألمانية، فقلت له تفضل، فسألني: "هل أنتِ أشواق؟"، فقلت له لا، أنا لستُ أشواق، وحين

سألته عن هويته، خلع نظارته وقال: "أنا أبو همام، وأعلم أنك أشواق"، فقلت له لا أعرفك ولا أعرف أشواق، فقال لي: "بلا، وأنت تعيشين في المانيا منذ عام ٢٠١٥، وأعلم أين ومع من تعيشين، فلا تكذبي علي، لأنك أنت أشواق"، لقد كان يعلم كل شيء عن حياتي في المانيا، ولم أكن أعلم أين أختبئ من شدة الخوف.

روورداو: في أي مدينة التقيتِ بـ "أبو همام" للمرة الثانية، وفي أي شهر؟

أشواق: التقيت به للمرة الثانية في شهر شباط/فبراير، وفي شتوتغارت أيضاً.

روورداو: لو تطلعينا على تفاصيل لقائك به في المانيا، وماذا كنت تفعلين حينها؟

أشواق: كنت منشغلة بهاتفي حين خرجت من العمل، حيث توجهت إلى السوبرماركت لشراء بعض الحاجيات، ومن ثم العودة إلى العمل، وعندما وصلت إلى الشارع تقدم نحوي بالسيارة ووقف بجانبي وكأنه كان يراقبني منذ الصباح ليعرف متى سأخرج من العمل.

روورداو: هل حاول خطفك بالسيارة، وكيف استطاع جمع كل هذه المعلومات عنكِ؟

أشواق: لا أعلم، وربما يكون هو قد تصور ذلك، ففي المرة الأولى التي لاحقني فيها، تعرف على مكان إقامتي، وفي المرة الثانية أراد أن يخبرني بأنه يعيش في المانيا، وربما كان سيختطفني لو التقى بي مجدداً، ولو أن ذلك حصل بالفعل، فإن الناس ما كانوا ليقولوا إنه هو من خطفني، بل كانوا سيقولون إنها تبلغ من العمر ١٨ عاماً وتعيش في المانيا بمنتهى الحرية، وإنها رافقته برضاها، وما كان أحد ليقول إن داعشياً جاء إلى المانيا وخطف هذه الفتاة، وأؤكد أن هناك المئات من الفتيات مثلي في المانيا، ويلتقون بمسلحي داعش، ولكن لا أحد يصغي إليهن.

روورداو: وكيف استطاع جمع كل هذه المعلومات عنكِ؟

أشواق: أنا أيضاً مستغربة من ذلك، فكيف استطاع جمع هذه المعلومات عن حياتي، وأنني في المانيا منذ ٢٠١٥.

روورداو: هل هذا يعني أن عناصر داعش في أوروبا ما زالوا يمارسون عملهم السابق ويلاحقون الفتيات الكورديات الإيزيديات؟

أشواق: الكثير من الفتيات موجودات في شتوتغارت، حيث انتقلنا إلى هذه المدينة بموجب برنامج للجوء، والكثير منهن التقين بخاطفيهن، لكنهن لا يتحدثن عن ذلك، إلا أنني حين التقيت بذلك الداعشي، تخليت عن المانيا كلها، وقررت أن أكون ضحية من أجل النساء والفتيات الإزيديات اللواتي حُررن من قبضة تنظيم داعش.

روورداو: قالت الشرطة الألمانية بمدينة "بادن روتنبرغ" في تغريدة على حسابها بتويتر في ١٣ آذار الماضي إنها أجبرت على إنهاء التحقيقات لتعذر التواصل معكِ بسبب عودتكِ إلى كوردستان، فهل حجة الشرطة صحيحة؟

أشواق: لا أعلم إن كان هذا صحيحاً أم لا، ولكنني لم أقصر من جهتي، حيث توجهت إلى مسؤولنا وإلى الشرطة ورفعت دعوى قلت فيها إن هذا الرجل اغتصبني وخطفني وهو الآن موجود في المانيا، وانتظرت لمدة شهر ونصف دون أن تفعل السلطات الألمانية شيئاً، ولم ينشروا دعوتي بل تكتموا عليها، فعدت إلى العراق.

روورداو: هل عدت من المانيا بسبب الخوف؟

أشواق: طبعاً، فلو أنه اختطفني هناك، فلن يصدق أحد أنني خُطفت، بل سيقولون إنها تعيش في المانيا بمنتهى الحرية، وإنها ذهبت برضاها.

روورداو: كيف كانت معاملة الشرطة الألمانية معكِ حين أخبرتهم بقصتك؟

أشواق: حين سردتُ لهم القصة، أخبروني بضرورة وجود أدلة، فأخبرتهم بأنه لا بد من وجود كاميرات في السوبر ماركت الذي تقابلنا أمامه، فقالوا حسناً، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً.

روورداو: هل تعنين أن الشرطة لم تكن جدية بخصوص اعتقاله؟

أشواق: لقد أخبروني بأنهم سيحاولون، ولن يقصروا، وأنا بدوري أخبرتهم عن صفات الرجل وهيئته، وهم من جهتهم قاموا برسمه، وتبين أنه الشخص ذاته، ومن ثم أعطوني رقماً للاتصال في حال تعرض لي مرة أخرى، ولكن لو التقيته مرة أخرى واختطفني أو قتلني، فكيف سأخبر الشرطة، ومن سيعرف الجهة التي اختطفتني؟.

روورداو: إذاً أنت تقولين إن الشرطة قصرت في مسألة اعتقاله؟

أشواق: هم قالوا إنهم سيبحثون عنه ويعتقلونه، وانتظرت لمدة شهر ونصف دون أن يفعلوا شيئاً، ولم يعيروني أي اهتمام، فعدتُ برفقة والدتي وشقيقي.

روورداو: "أبو همام" كان يقول إنه يعرف عائلتك ومكان إقامتك، فهل فكرت بكيفية حصوله على كل هذه المعلومات؟

أشواق: أنا أيضاً استغربت من ذلك، وتساءلت كثيراً عن كيفية حصوله على مكان إقامتي وعملي، ولكن حين قال لي إنه يعلم بأنني أعيش في الشارع الفلاني، عرفت أنه هو من كان يلاحقني في المرة الأولى، ولكنني لم أهتم بالموضوع لاعتقادي بأنه لا يمكن لداعشي أن يأتي إلى المانيا.

روورداو: من هنا، ما هي رسالتك إلى الشرطة ووزارة العدل الألمانيتين؟

أشواق: أطالب بالقبض على ذلك الرجل، وطرد كل عناصر داعش من المانيا، وأن يجدوا حلاً لمعاناة فتياتنا الإزيديات، فلو تعرضن للخطف، فمن سيعلم من الذي اختطفهن؟، وهناك الكثير منهن في المانيا وخاصة في مقاطعة شتوتغارت، ممن التقين بعناصر من داعش، وأنا جعلت من نفسي ضحية من أجل أولئك النساء والفتيات اللواتي حُررن من داعش، لإيصال صوتنا ومعاناتنا مع عناصر داعش الذين يلاحقوننا حتى في أوروبا ويحاولون اختطافنا.

روورداو: هل هناك ما تودين قوله لإنجيلا ميركل؟

أشواق: هناك أكثر من ٣ آلاف إزيدي مختطف، ومنذ أربع سنوات لا نعرف عنهم شيئاً، من بينهم ٤١ شخصاً من عائلتي التي اختطف جميع أفرادها، نريد الكشف عن مصيرهم، وإيجاد حل لوضع النساء والفتيات الإزيديات، سواء في المانيا أو العراق أو في أي مكان آخر، وكذلك طرد عناصر داعش من المانيا، وإلا فإن الكثير من الفتيات سيهربن من المانيا، وسيعيث الدواعش فيها خراباً.

روورداو: ما هي رسالتك للاتحاد الأوروبي؟

أشواق: أطالب جميع المسؤولين وعلى كافة المستويات، وأصحاب القرار في كل مكان، بمعرفة مصير أكثر من ٣ آلاف إلى ٣ آلاف و٦٠٠ أو ٧٠٠ إزيدي، وكذلك إيجاد حل لوضع الفتيات اللواتي حُررن من قبضة داعش، وتجنب ملاقاة مسلحي داعش بعد كل العذاب والاغتصاب الذي تعرضن له على يد مسلحي داعش.

روورداو: هل تطالبين دول الاتحاد الأوروبي بعدم منح اللجوء لعناصر داعش لكي لا يشكلوا تهديداً للإيزيديين ولباقي المواطنين؟

أشواق: طبعاً، فعناصر داعش الذين اغتصبوني واغتصبوا باقي الفتيات الإزيديات، يجب أن يعاقبوا، فلا زلت أذكر كيف اغتصبوا حتى الفتيات اللواتي لم تتجاوز أعمارهن ٦ أعوام، وكانوا يشتروهن بعدة دولارات، ولن ننسى ذلك ما حيينا، ويجب أن تعلموا أن الفتيات اللواتي ما زلن في قبضة التنظيم، يعانين من أوضاع أسوء بكثير مما كنا عليه نحن، والانتحار أفضل لنا من الاختطاف على يد داعش مرة أخرى، وأتمنى أن توصلوا صوتي إلى العالم أجمع، فأنا لا أتحدث عن نفسي فقط، بل عن آلاف النساء والفتيات الإيزيديات، سواء اللواتي تحررن من قبضة التنظيم، أو اللواتي ما زال مصيرهن مجهولاً.

رووداو: بماذا تطالبين حكومة إقليم كوردستان؟

أشواق: أطالب جميع الحكومات بمعرفة معلومات عن أهلنا المختطفين، ومعاقبة جميع الدواعش، سواء في الداخل والخارج، وكذلك إعادة المختطفين، وإلا فإن المانيا ستواجه مصير العراق، وكذلك لما حصل في سنجار حين اختطفونا وباعونا.

رووداو: قلتِ إن عائلة "أبو همام" موجودة في بغداد، فما هي مطالبكِ الموجهة للحكومة العراقية؟

أشواق: أن تعترف بالإبادة الجماعية للإيزيديين، والقيام بشيء لأجلهم، فلا يمكننا العيش في العراق أيضاً، فمع وجود نصف أفراد أسرة "أبو همام" في بغداد، والنصف الآخر في المانيا، لا يمكننا البقاء هنا، ولا التوجه إلى المانيا.

رووداو: لمن تعود تلك الصور التي علقتها على حائط منزلك؟

أشواق: إنهم ٤١ فرداً من عائلتي، حيث أن ٥ أشقاء وشقيقة، وعمَّين مع عائلتيهما، واثنين من عماتي مع عائلتيهما، صهري، وأبناء عمومتي مع عوائلهم، جميعهم مختطفون ولا نعلم عنهم شيئاً منذ ٤ أعوام، وأطالب المجتمع الدولي بتقديم العون للإيزيديين، خصوصاً الذين ما زال مصيرهم مجهولاً، فإلى متى سننتظر؟، نريد أن نعرف إن كانوا أحياءً أم أموات/

الملحق (٤)

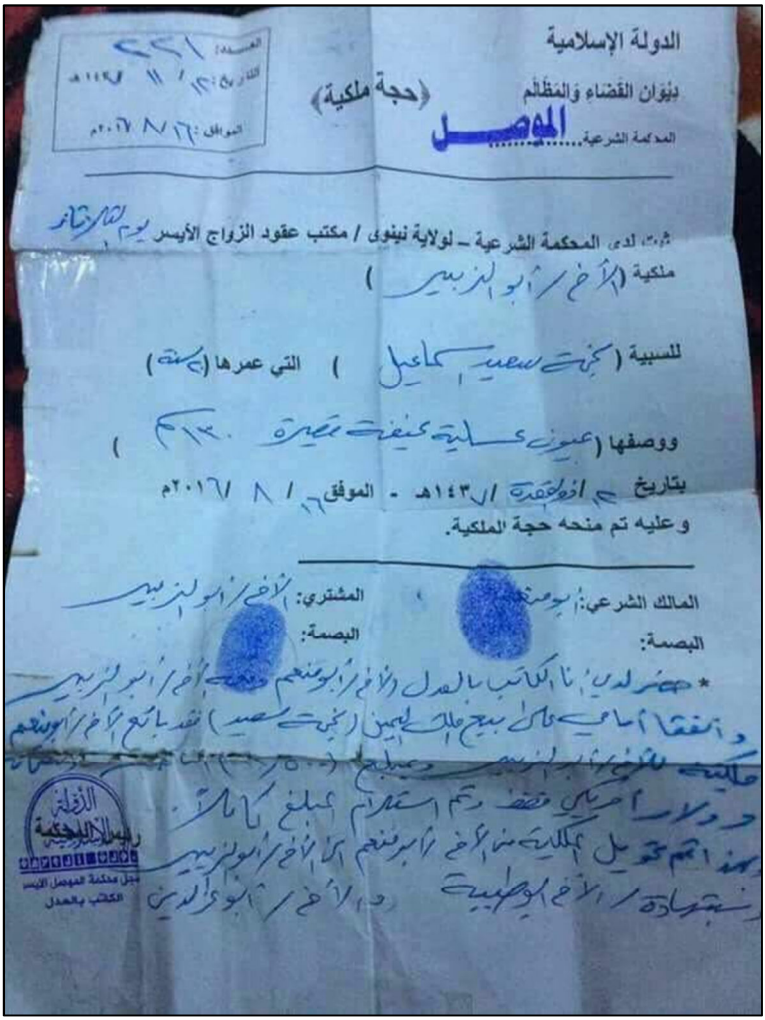

الدولة الإسلامية

ديوان القضاء والمظالم

المحكمة الشرعية: الموصل

﴿حجة ملكية﴾

العدد: ٢٢٢١

التاريخ: ١٤/ ١١/ ١٤٣٨هـ

الموافق: ١٦/ ٨/ ٢٠١٧م

تم لدى المحكمة الشرعية – لولاية نينوى / مكتب عقود الزواج الأيسر يوم الثلاثاء

ملكية (الأخ/ أبو الزبير)

للسبية (بنت سعيد إسماعيل) التي عمرها (٢٠ سنة)

ووصفها (عيون كحلية بشرة سمراء)

بتاريخ ١٤ ذو القعدة / ١٤٣٨هـ - الموافق ١٦/ ٨/ ٢٠١٧م

وعليه تم منحه حجة الملكية.

المالك الشرعي: [illegible] المشتري: الأخ/ أبو الزبير

البصمة: البصمة:

* حضر لدي أنا الكاتب بالعدل الأخ/ أبو منعم وأخبرني الأخ/ أبو الزبير

وأتفقا أمامي على بيع ملك اليمين (بنت سعيد) فقد بايع الأخ/ أبو منعم

[illegible] وسلم الأخ/ أبو الزبير [illegible]

وقد أخبرني قبض وتم استلام المبلغ كاملا

وبهذا تم تحويل الملكية من الأخ/ أبو منعم إلى الأخ/ أبو الزبير

وشهادة الأخ/ أبو عبيدة و الأخ/ أبو الدين

الدولة الإسلامية

ديوان القضاء والمظالم

المحكمة الشرعية الموصل الأيسر

الكاتب بالعدل

نموذج لعقد بيع الإيزيديات في الألفية الثالثة

الدولة الاسلامية العدد: ٢٢١

ديوان القضاء والمظالم **"حجة ملكية"** التاريخ: ١٤٣٧/١١/١٢ هـ

المحكمة الشرعية الموصل الموافق: ١٦/ ٨/ ٢٠١٦م

ثبت لدى المحكمة الشرعية ـ لولاية الموصل/ مكتب عقود الزواج الأيسر يوم الثلاثاء

ملكية (الأخ/ أبو الزبير)

للسبية (نجمة سعيد اسماعيل) التي عمرها (٢٠ سنة)

ووصفها (عيون عسلية نحيفة قصيرة ١٣٠سم)

بتاريخ ١٢/ ذو القعدة/ ١٤٣٧ هـ الموافق ١٦/ ٨/ ٢٠١٦م

وعليه تم منحه حجة الملكية

المالك الشرعي: أبو منعم المشتري: الأخ/ أبو الزبير

البصمة البصمة

*حضر لدي أنا الكاتب بالعدل الأخ/ أبو منعم (....) الأخ/ أبو الزبير واتفقا أمامي على بيع ملك اليمين (نجمة سعيد) فقد (...) الأخ/ أبو منعم ملكية للأخ/ أبو الزبير وبمبلغ (.....)..... دولار أمريكي فقط وتم استلام المبلغ كاملاً. وبهذا تم تحويل الملكية من الأخ/ أبو منعم إلى الأخ/ أبو الزبير وبشهادة الأخ/ أبو طيبة والأخ/ أبو عزالدين

الدولة الاسلامية

سجل محكمة الموصل الأيسر/ الكاتب بالعدل رئيس المحكمة

الملحق (٥)

اعلان

إلى جنود الدولة الاسلامية وكافة الدواوين والمفاصل في ولاية البركة (الحسكة)، نهنئكم بحلول شهر رمضان المبارك، وتقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام، وجعلنا الله وإياكم من العتقاء من النار، يعلن ديوان الدعوة والمساجد عن البدء بمسابقة حفظ سور من كتاب الله، وهي: سورة الأنفال، سورة التوبة، سورة محمد، سورة الفتح.

من تاريخ ١ رمضان ١٤٣٧ هجرية إلى تاريخ ٢٠ رمضان ١٤٣٧ هجرية.

ولمن يريد المشاركة، عليه التسجيل عند أئمة الجوامع التالية: جامع أبو بكر الصديق، جامع أسامة بن لادن، جامع أبو مصعب الزرقاوي، جامع التقوى.

وسوف يتم باذن الله فرز واختبار المتسابقين من تاريخ ٢١ رمضان ١٤٣٧ هجرية وحتى ٢٧ رمضان ١٤٣٧ هجرية، ويكون توزيع الجوائز أول أيام عيد الفطر المبارك باذن الله.

الفائزون في المركز الأول والثاني والثالث، يحصل كل منهم على "سبية"، أما المراكز الباقية، فيحصلون على مبالغ مالية من ٥٠ وحتى ١٠٠ ألف ليرة سورية.

نسأل الله العظيم أن ييسر لكم أمركم ويوفقكم لما يحبه ويرضاه.

الملحق (٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة الاسلامية، الرقم: ٩، ولاية حمص، التاريخ: ١٤٣٦/٨/٢٨

تعميم/ مسابقة دينية والجائزة سبية إيزيدية

على الأخوة الراغبين بشراء سبايا تسجيل أسمائهم عند اداريي الكتيبة أو المفصل.

أما الأخوة المرابطين، فيتم التنسيق مع أمير الكتيبة بنزولهم في الوقت المحدد الذي سنحدده للاداري لاحقاً خلال عشرة أيام على الأكثر من تاريخ هذا الاعلان.

من لا يسجل لا يحق له حضور "سوق النخاسة". وسيتم تقديم السعر بالظرف المختوم وقت الشراء، ومن يرسي عليه السعر يلتزم بالشراء.

والله ولي التوفيق.